حول
أساسيات المشروع الإسلامى
لنهضة الأمة

قراءة فى فكر

الإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا

تجميع

المركز الإسلامى للدراسات والبحوث

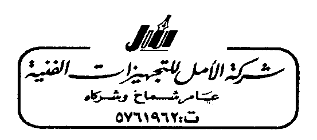
إعداد

أ. د. عبد الحميد الغزالى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

رقم الإيداع: ٢٢٥٤ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى :



دار التـوزيع والنشـر الإسـلامـيـة
٢٥١ ش بورسعيد ت ٣٩٠٠٥٧٢ فاكس ٣٩٣١٤٧٥

مكتبة السيدة: ٨ ميدان السيدة زينب ت ٣٩١١٩٦١ ص ب ١٦٣٦
مكتبة الاعلام: ١٢ ش ابن هانئ الأندلس ت ٢٦٠٠٧٣١
مكتبة نصر الدين: ٤٤٦ ش الهرم - أعلى النفق ت ٥٧٣٠٧٥٢

هـذه الصـفـحـات

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ..
فتعد هذه الصفحات محاولةً أوليةً للتعرف على أساسيات مشروع نهضة الأمة من جديد، من خلال «رصد» جزئى – فقط – لفكر الإمام الشهيد الأستاذ حسن البنا. ولهذا، كان عنوان هذه الصفحات: حول أساسيات مشروع النهضة – قراءة فى فكر الأستاذ البنا.

وبالرغم من أن هذه المحاولة هدفت إلى تقديم صورة منظمة وشاملة لأساسيات هذا المشروع، يتعين التوكيد – ابتداء – على أن الصورة المتكاملة حقًا والمترابطة فعلاً والشاملة عملاً لرؤية الإمام لمشروع النهضة لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال عرض ودراسة وتحليل «كامل لكل» ما قاله وكتب عنه الإمام حول القضايا التى عالجها – بشمول ووضوح – فى رسائله ومذكراته ودروسه ومواقفه وممارساته.

هذا، بالإضافة إلى عرض ودراسة وتحليل الواقع الذى عايشه الإمام، برموزه وقضاياه وظروفه. كل ذلك، بهدف تعريف وتحديد وتوحيد المصطلحات والمفاهيم والمدركات المرتبطة بهيكل المشروع وعناصره من أهداف ووسائل، وسياسات وإجراءات، ودعوة وآليات تحقيق ومتابعة وتقويم، ومن ثم تجديد لمواكبة المستجدات وملاحقة التطورات وتذليل العقبات، وصولاً إلى تحقيق النهضة المتوخاة.

وبعيداً عن المبالغة، وبحرفية شديدة، وموضوعية أشد، يمكن القول أن دراسة متأنية لبعض رسائل الإمام، وبالذات رسائل: **بين الأمس واليوم، والمؤتمر الخامس، والمؤتمر السادس، ونحو النور**، تقدم عرضًا واضحًا ومتكاملاً لما رآه الإمام كطريق للنهضة؛ ورسائل: **دعوتنا، وإلى أى شىء ندعو الناس، والإخوان تحت راية القرآن، والتعاليم**، تقدم الهيكل الأساسى لهذا الطريق؛ ورسائل: **هل نحن قوم عمليون؟، ومشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى** تقدم النموذج العملى لهذا المشروع.

ولقد اتسم فكر الإمام حول مشروع النهضة بسلاسة العرض، وسهولة الأسلوب،

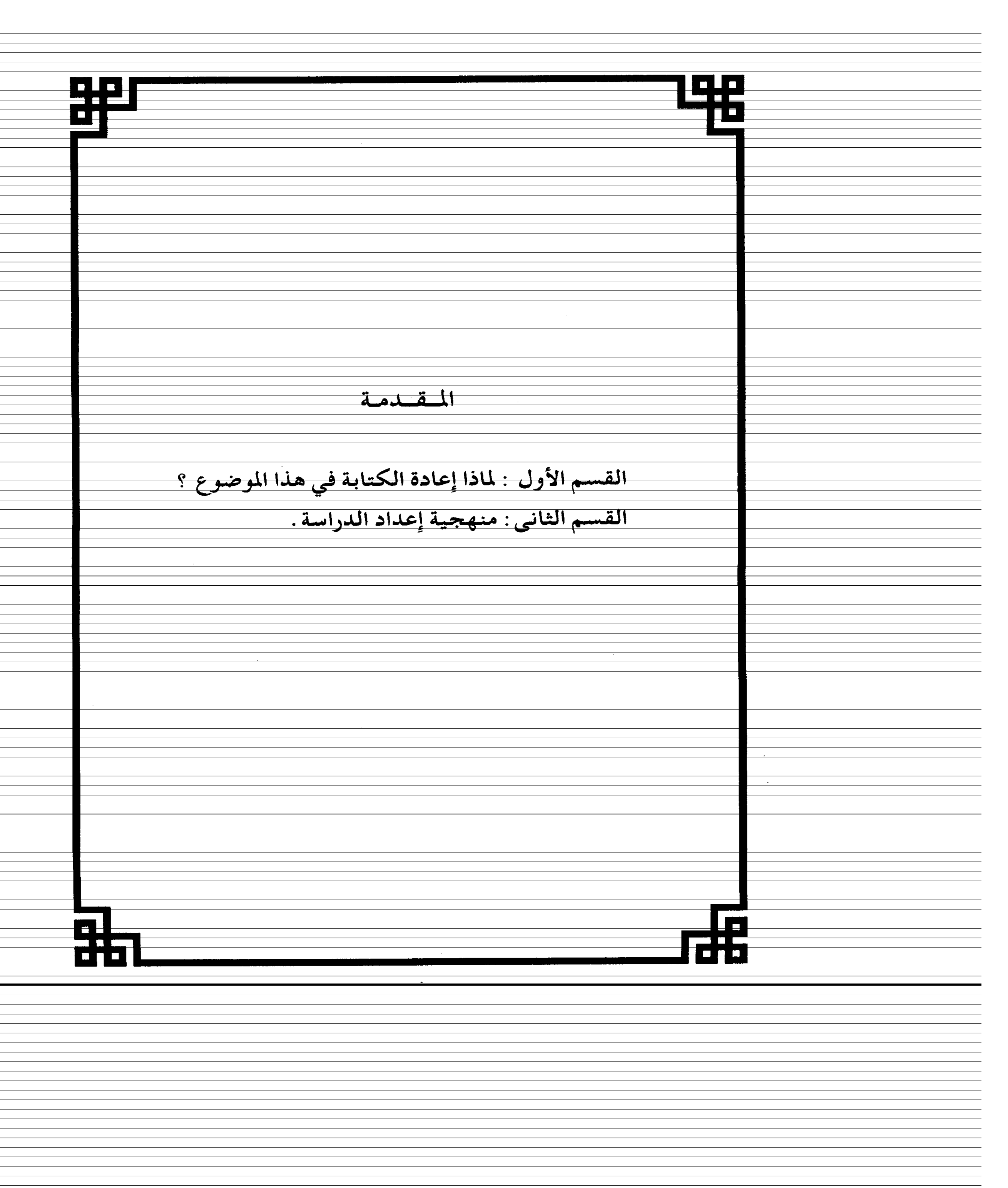
وتقديم الدليل الشرعى، والتركيز على تربية الرجال، وإيثار الناحية العملية، والتدرج فى الخطوات، والبعد عن مواطن الخلاف، والإيمان العميق بشمول الإسلام لكل مناحى الإصلاح إلى نهاية الزمان. فهو فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع، ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين.

وتشتمل هذه المحاولة للتعرف على فكر الإمام على مقدمة تحدد الهدف من هذه المحاولة ومنهجيتها، وثلاثة أبواب وخاتمة، حيث تحدد تفصيلاً أساسيات مشروع النهضة. فتعرض فى الباب الأول لمرتكزات النهضة، وتتناول فى الباب الثانى عناصر الدعوة الرئيسة لمشروع النهضة. ثم تقدم فى الباب الثالث والأخير: بناء الدولة النموذج وفقًا لمشروع النهضة. ولا نجد – فى النهاية – خاتمة لها أفضل من رسالة «الإخوان تحت راية القرآن»، لنؤكد للناس «أن شريعة القرآن هى أعدل الشرائع، **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾** [البقرة: ١٣٨]، وأن العالم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة، وكل ما فيه يمهد لها ويهيىء سبيلها، ويؤكد هيمنة نظام القرآن بالأدلة النقلية والتاريخية، وقبل ذلك كله وبعده شهادة الحق تبارك وتعالى فى قوله: **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾** [النحل: ٨٩]، ومن أصدق من الله قيلاً.

ولقد اقتصرت هذه المحاولة فقط على المقتطفات المباشرة والمتناثرة من فكر الإمام، وانحصرت فى جمعها وتنظيمها وترتيبها بشكل يقدم فى تسلسل منطقى هيكل ومكونات مشروع النهضة، دون تعليق أو تحليل أو تدخل يذكر، سوى النذر الضئيل لمجرد ربط الأفكار وتكامل مكونات المشروع. ومن ثم، خرجت هذه المحاولة بصورة يؤمل أن تكون متماسكة ومتكاملة وشاملة حول أساسيات مشروع النهضة، وفقًا لفكر الإمام البنا، لتكون خطوة جادة، ولتقدم فكرًا كاملاً وناضجًا، نحو فهم أعمق لثقافة المشروع، ونحو تنفيذ مأمول وشامل لنهضة الأمة. والله سبحانه وتعالى من وراء القصد، وهو وحده الهادى إلى سواء السبيل.

عبد الحميد الغزالى

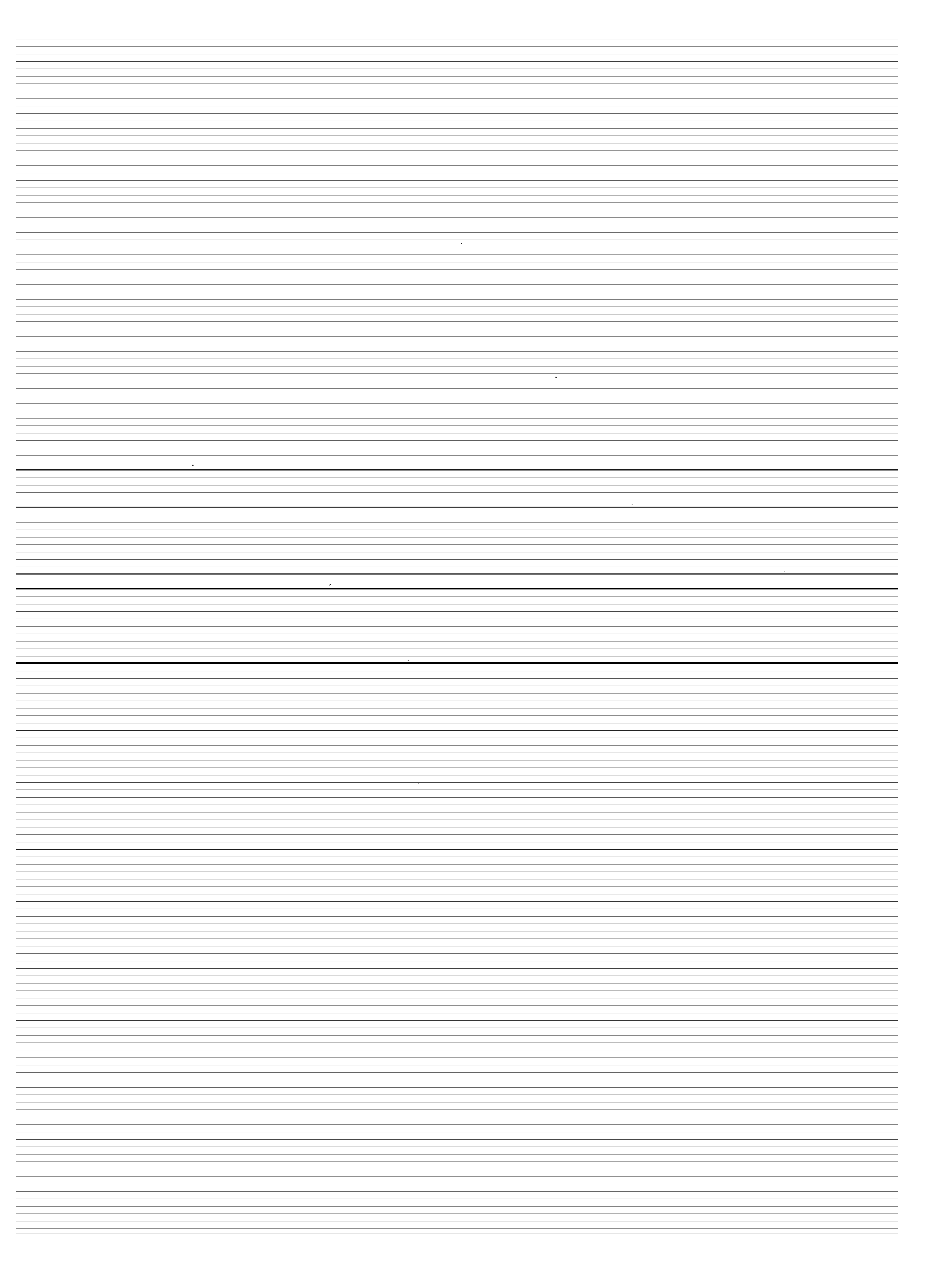
الزمالك – القاهرة – ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م



المقدمة

القسم الأول : لماذا إعادة الكتابة في هذا الموضوع ؟

القسم الثاني : منهجية إعداد الدراسة .



القسم الأول

لماذا إعادة الكتابة فى هذا الموضوع؟

إن الدافع للكتابة فى هذا الموضوع وإعادة طرحه من جديد يرمى إلى تحقيق أربعة أهداف أساسية:

الهدف الأول: رسم صورة متكاملة مترابطة لرؤية الأستاذ البنا لمشروع النهضة.

الهدف الثانى: تبيان جوانب التجديد والتطوير والتكميل التى يحتاج إليها مشروع النهضة.

الهدف الثالث: تقديم مادة علمية للباحثين والمتحدثين حول مشروع الأستاذ البنا.

الهدف الرابع: تعميق مفهوم ثقافة المشروع لدى المؤمنين بالنهضة.

وسوف نتناول هذه الأهداف، كلا على حدة، على الترتيب، فيما يلى:

الهدف الأول: رسم صورة متكاملة مترابطة لرؤية الأستاذ البنا لمشروع النهضة.

الإحاطة بكل جوانب الدعوة

إن للزمن أثراً كبيراً في كل الدعوات، وإن هذه الدعوة ليست استثناء في تعرضها وتعرض العاملين فيها لفعل الزمن وآثاره. وأخطر هذه الآثار هو اندراس أو غياب الصورة والأبعاد الكاملة لرؤية متكاملة لمشروع النهضة في أذهان الكثيرين من المؤمنين بالفكرة، وتحولها إلى أجزاء وتفاريق ومنثورات لا يربطها رابط ولا يجمعها نظام. الأمر الذى أدى إلى كثير من الاجتهادات المتباينة، التى تنذر بفقدان الأرضية المشتركة للعاملين فى حقل النهضة، إذا ماتركت هذه المساحة من الفراغ بدون عمل مكافئ يعيد رسم الصورة بأبعادها المختلفة إلى الأذهان. وفى هذا يقول الأستاذ البنا: « **هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من أحاطها من كل جوانبها** ». فالإحاطة بالدعوة أو تكامل أبعاد الصورة في ذهن الناشطين ضرورة لنجاح المشروع. ونحن إذ نذكر بذلك، فإننا نعلم أن هذه الدعوة تمثل أكبر التجمعات الداعية للنهضة، وتذكيرها بمنهج الاعتدال الذى

ساد فكر مؤسسها ضرورة تقتضيها المناصحة بين كل المهتمين بمشروع النهضة من منطلق الإسلام الرحب، وغياب هذه المناصحة خطر ماحق يشير إليه الأستاذ البنا فى أحد قوانينه التى اشتقها من دراسة حركات النهضة المختلفة حيث يقول:

«إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل في عدة أمور:

١ - إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف (الإرادة)

٢ - ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر (الوفـــاء)

٣ - وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل (التضحيــة)

٤ - ومعرفة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له: (المعرفــة)

أ) يعصم من الخطأ فيه. ب) والانحراف عنه.

جـ) والمساومة عليه. د) والخديعة بغيره.

على هذه الأركان الأولية التى هى من خصوص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا. وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه فهو شعب عابث مسكين لا يصل إلى خير ولا يحقق أملا وحسبه أن يعيش في جو من الأحلام والظنون والأوهام ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]. **هذا قانون الله تبارك وتعالى وسنته في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾** [الرعد: ١١]» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

إن معرفة المبدأ معرفة شاملة وافية أمر أساسي وجوهرى، يقى من الاختلاف عند المنعطفات الكبرى، وكثرة الاجتهادات المغايرة للمنهج، ويقى من علل التساقط، وعلل الحيرة والتشكك، وعلل الاغترار بكل طرح جديد؛ كل هذا يحصل فى غياب الميزان الصحيح الذى يقيس به داعية النهضة ما يحيط به من دعوات. الأستاذ البنا هنا

يضيف أمراً في غاية الأهمية، حيث يقول إن غياب المعرفة بالمشروع يعنى الفشل المؤكد. لذلك نعتقد أن أى جهد نصرفه في بيان صورة المشروع لطلاب النهضة هو من الضرورات وليس من الحاجيات أو التحسينات. ومن هنا تأتى هذه المبادرة المتواضعة لرسم صورة للمشروع الذى طرحه الأستاذ البنا من خلال رسائله وكتاباته، ولا نزعم كمالاً، ولكننا نأمل في إضافة لبنة مهمة في فهم أعمق لهذا المشروع العملاق.

وللشيء نفسه، يشير الأستاذ البنا إلى ضرورة المراجعة المستمرة والشاملة، واستحضار صورة المشروع، في مقدمة حديثه الشيق في مؤتمر الإخوان الخامس:

«أيها الإخوان: كنت أود أن نظل دائما نعمل ولا نتكلم، وأن نكل للأعمال وحدها الحديث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وكنت أحب أن تتصل خطواتكم اللاحقة بخطواتكم السابقة في هدوء وسكون، ومن غير هذا الفاصل الذى نحدد به جهاد عشر سنوات مضت لنستأنف مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الدائب في سبيل تحقيق فكرتنا السامية. ولكنكم أردتم هذا، وأحببتم أن تسعدونا بهذا الاجتماع الشامل فشكرا لكم، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة:

١ - فنستعرض برنامجنا.

٢ - ونراجع فهرس أعمالنا.

٣ - ونستوثق من مراحل طريقنا.

٤ - ونحدد الغاية والوسيلة.

٥ - فتتضح الفكرة المبهمة.

٦ - وتصحح النظرة الخاطئة.

٧ - وتعلم الخطوة المجهولة.

٨ - وتتم الحلقة المفقودة.

٩ - ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض.

لا بأس بهذا، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا، فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته؛ فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» (المؤتمر الخامس).

الهدف الثانى : تبيان جوانب التجديد والتطوير والتكميل التى يحتاج إليها مشروع النهضة :

تجديد المصطلحات والمفاهيم

أكد الأستاذ البنا ضرورة التجديد في أسلوب الدعوة بما يتفق وتجدد فكر وسلوك الناس، وبما يتمشى مع المستجدات المحيطة، وبما يحقق بطرق عملية غايتها. وفى هذا يقول:

«إن لكل عصر طريقًا في الكتابة تتناسب مع أسلوب أهله في الفهم وطريقهم في الدراسة، ولابد من هذا التجديد تبعًا لتجدد عقول الناس، وتغير طرق البحث والتفكير والاستنباط... ولم يعد يكفى في الجواب عن طبيعة أسلوبالتجديد المطلوب:

١ - كلام مرتجل.

٢ - أو خطابة تثير المشاعر.

٣ - أو عبارات تؤثر في العواطف.

٤ - بل صار واجبًا على أهل الدعوة أن يصوروها للناس تصويرًا منطقيًا دقيقًا واضحًا.

٥ - مبنيًا على أدق قواعد البحث العلمى.

٦ - وأن يرسموا أمام الناس الطرق العملية المنتجة التى أعدوها لتحقيق ما يريدون.

٧ - ولتذليل ما سيصادفون من عقبات لابد من وجودها فى الطريق»
(رسالة دعوتنا فى طور جديد).

زيادة البناء واستمرار التواصل

وشدد الأستاذ البنا على ضرورة وضوح المنهاج والهدف، وعلى ضرورة الإضافة إلى ماهو قائم.. واستمرار التواصل، منعًا للتكرار وتحاشيًا لهدر الإمكانية. وفي هذا يقول:

«رأيت القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم:

١ - منهاج محدد عليه يعملون.

٢ - وهدف محدد إليه يقصدون.

٣ - وضعه الداعون إلى النهوض، وعملوا على تحقيقه...

٤ - خلفهم من قومهم غيرهم:

أ) يعملون على منهاجهم.

ب) ويبدءون من حيث انتهى أولئك.

جـ) لا يقطعون ما وصلوا ولا يهدمون ما بنوا.

د) ولا ينقضون ما أسسوا وشادوا ولا يخربون ما عمروا.

هـ) فإما زادوا عمل أسلافهم تحسينًا.

و) أو مكنوا نتائجه تمكينًا.

ز) وإما تبعوهم على آثارهم.

ح) فزادوا البناء طبقة وساروا بالأمة شوطًا إلى الغاية» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

وعليه، فتتابع عمليات تطوير المشروع النهضوي ودفعه إلى الأمام أمر في غاية الضرورة لنجاح الأمة ووصولها إلى غايتها. وهو واجب على كل المهتمين بنهضة الأمة، بل على كل فرد فيها.

الهدف الثالث: تقديم مادة علمية للباحثين والمتحدثين حول مشروع الأستاذ البنا:

يعد هذا الهدف من الأهمية بمكان، فهذه المحاولة تقدم مادة علمية من فكر الأستاذ البنا حول مشروع النهضة، حيث إن الدعوة وهي تشق طريقها إلى الملايين من البشر

تلقى إقبالا متزايداً من الباحثين والناقدين الذين يصعب على الكثيرين منهم الوصول إلى أطروحات الأستاذ البنا. وربما وفق الله بعضهم إلى نصيحة غالية يحتاج إليها هذا المشروع العملاق. وفي ذلك يقول الأستاذ البنا:

«لا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه في غايتنا ووسيلتنا وخطواتنا، فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته؛ فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» (المؤتمر الخامس).

وعليه، فقد بات من الضرورى أن يهتم العاملون في مشروع النهضة بالخطاب النهضوى، وبإعداد مادة علمية تستند إلى المرجعية الإسلامية، والمعبرة عن المشروع الحضارى للنهوض بالأمة من جديد، بحيث يتناول هذا المشروع أهم وأبرز القضايا المعاصرة التى تشغل ذهن الفرد والمجتمع والأمة، مثل قضية الحريات وحقوق الإنسان، والمجتمع المدنى، والشورى (أو الديمقراطية)، وشكل النظام السياسى للدولة الإسلامية، والممارسة العملية للشوري، والأقليات.. وغيرها من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تخص حياة الناس. وتأتى هذه المحاولة المتواضعة في هذا السياق، وهى إذ تضع الإطار الكلى كما تبين من قراءة فكر الأستاذ البنا، فإن أملنا في الله أن تتضافر الجهود لزيادة البناء والتوصل إلي مرحلة جديدة أكثر تحديداً وتحديثا وتكاملاً.

الهدف الرابع: تعميق ثقافة المشروع لدى المهتمين بأمر النهضة:

ونحن إذ نمتلك العناصر الأولية للحراك النهضوى، وهى الإنسان والموارد والزمن والعقيدة المحركة، فإن أهم واجبات الدعاة هى إيجاد صورة كلية لمشروع النهضة المرتقبة، وخارطة حراك، في ظلها يتم تفاعل الإنسان والموارد والزمن، وتؤدي الطاقة العقائدية دورها لتصل بهذا التفاعل إلى قمته. إذ أن ثقافة المشروع تحتاج إليها الأمة كلها، ويحتاج إليها العاملون في مجال الدعوة بصورة أكبر، لأنهم قادة الركب وهداته.

* * *

القسم الثانى

منهجية إعداد الدراسة

١ - موضوع الدراسة :

دراسة وصفية للمشروع النهضوى الذى قدمه الأستاذ البنا من أجل النهوض بالأمة من جديد . ومن خلال جمع وتركيب المتناثر من إسهاماته وكلامه حول أهم القضايا التى عالجها في رسائله ومذكراته ودروسه ومواقفه وممارساته .

٢ - أهداف الدراسة :

كما حددت المقدمة، تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

١ - رسم صورة متكاملة مترابطة لرؤية الأستاذ البنا لمشروع النهضة .

٢ - تبيان جوانب التجديد والتطوير والتكميل التى يحتاج إليها مشروع النهضة .

٣ - تقديم مادة علمية للباحثين والمتحدثين حول مشروع الأستاذ البنا .

٤ - تعميق مفهوم ثقافة المشروع لدي المهتمين بأمر النهضة .

٣ - مجال وحدود الدراسة :

ركزت الدراسة على النموذج الذى قدمه الأستاذ البنا فقط، في ضوء مقولاته الفكرية والحركية والسياسية، دون الرجوع إلى المحاولات التفسيرية لمن كتب عنه، وإنما اكتفت الدراسة ببعض الإشارات البسيطة للمواقف المستجدة للإخوان لربط وشرح المعانى العامة .

٤ - أدوات البحث والدراسة :

اعتمد البحث على دراسة الرسائل مباشرة، وعلى إجراء بعض المقابلات والمناقشات مع شرائح متعددة ممن عاصروا الأستاذ البنا، وعلى الملاحظات والدروس المستقاة خلال مسيرة الدعوة .

٥ - الدراسات السابقة :

استند البحث إلى كتابات الأستاذ البنا فقط . ولفهم أدق لهذه الكتابات العميقة كان من الضرورى الرجوع إلى دراسات شرعية ودراسات في مجال التاريخ والسياسة، والاقتصاد، والإدارة، والتربية، والقانون، وعلم النفس، والاجتماع، والفلسفة . فقد كانت كثير من المقولات تحتاج إلى معرفة خلفياتها العلمية في كثير من فروع المعرفة الإنسانية المختلفة . ذلك لأننا عندما نتصدى بالقراءة لفكر الأستاذ البنا – رحمه الله –، نكون أمام فكر « موسوعى » بالمعنى العلمى الشامل لهذا المصطلح .

٦ - مكونات الدراسة :

تتكون الدراسة من مقدمة وثلاثة أبواب أساسية وخاتمة . فالباب الأول تناول المنهجية التى اتبعها الأستاذ البنا في وضع تصوره لمشروع النهضة أى مرتكزات النهضة، ويعالج الباب الثانى الدعوة الجديدة كأساس لمشروع النهضة، أى « دعوة البعث والإنقاذ »، بشقيها الفكرى والتنظيمى، كما صورتها كتابات الأستاذ البنا . ويعرض الباب الثالث الدولة أو الكيان السياسى الذى يمثل الفكرة أى بناء الدولة النموذج وفقًا لمشروع النهضة . وتنتهي الدراسة بخاتمة تلخص عناصر المشروع الإسلامى لنهضة الأمة عند الأستاذ البنا، كما جاءت فى دراسة «الإخوان تحت راية القرآن » .

* * *



الباب الأول

منهجية مشروع النهضة

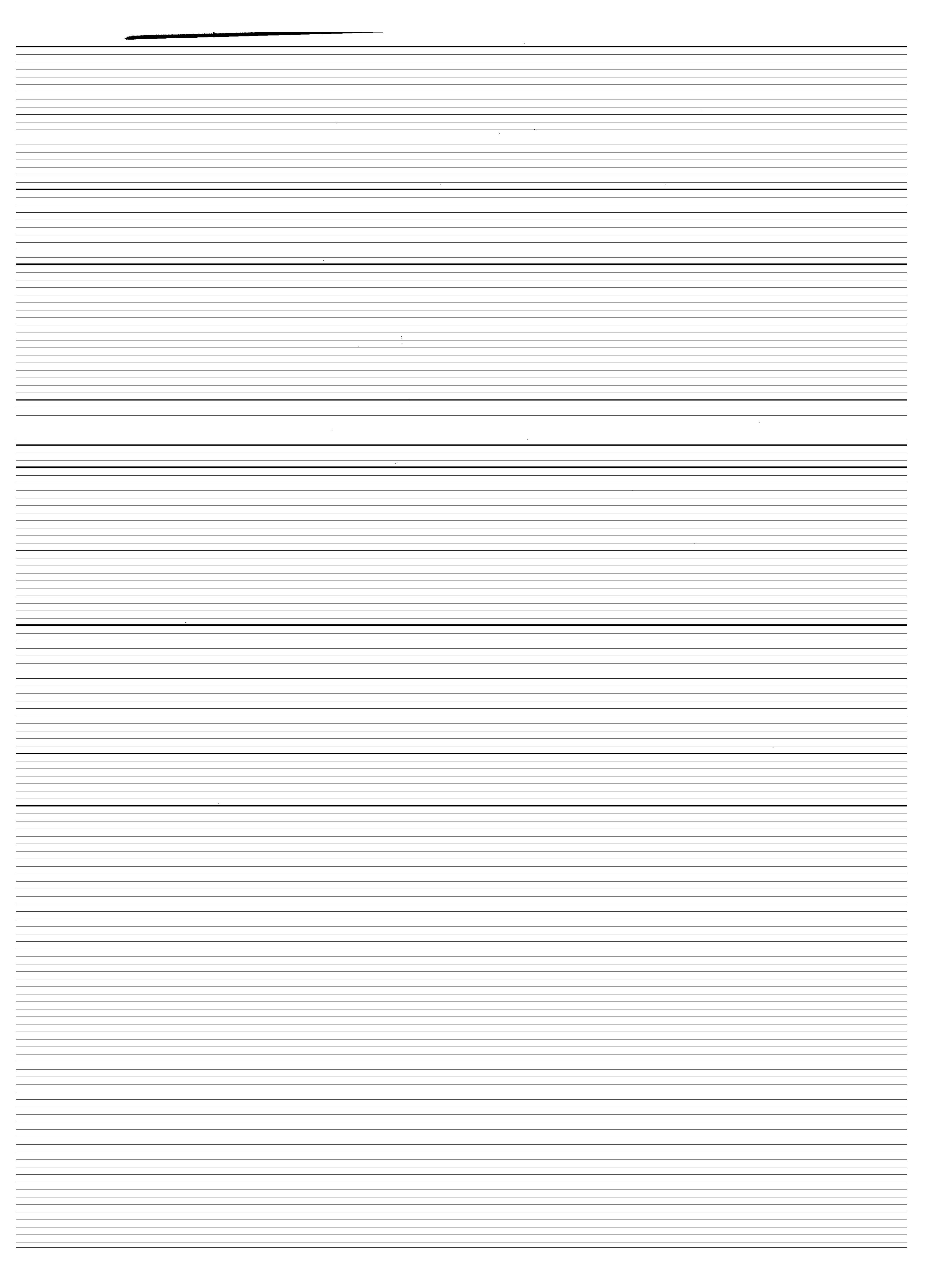
الفصل الأول : الأسس المنهجية لمشروع النهضة .

الفصل الثاني : دراسة التاريخ .

الفصل الثالث : دراسة الواقع .

الفصل الرابع : إمكانية النهوض من جديد .

الفصل الخامس : دروس التاريخ .



الفصل الأول

الأسس المنهجية لمشروع النهضة

القسم الأول : التفكير فى التحديات التى تواجه الأمة .

القسم الثانى : دراسة التاريخ والواقع .

القسم الثالث : استخلاص الدروس .

القسم الرابع : كيفية التعامل مع هذه الدروس .

تقديم : حول الأسس المنهجية لمشروع النهضة

أصبح من الضرورى على كل العاملين فى حقل العمل الدعوى، والمتطلعين إلى المساهمة الفاعلة فى بناء وتنفيذ المشروع النهضوى، والحاملين لهموم أمتهم، والساعين لاستئناف الحياة الإسلامية الحقة، أن يتعرفوا على الأسس التى بنى عليها الأستاذ البنا تصوره لمشروع النهضة، ويتتبعوا المسار الذى انتهجه فى وضع الأسس الفكرية للدعوة المعاصرة لهذا المشروع، ويعلموا فاعلية طريقه فى التحرك والانطلاق نحو تحقيق شروط هذا المشروع، ويعملوا فى النهاية، استمراراً لجهاد الإمام الشهيد، على وضع المشروع موضع التنفيذ بنقله من عالم الفكر إلى أرض الواقع.

ومن خلال التعرف على هذه الأسس، يمكن :

١ - التعرف على منهجية التفكير العلمى الذى يحتاج إليه مشروع النهضة.

٢ - التعرف على مدى النواقص الفكرية التى تعانى منها الجهود التربوية المرجوة لمشروع النهضة.

٣ - ضبط حركة الدعوة لمشروع النهضة وفق الدروس التى استخلصها الأستاذ البنا.

٤ - ربط الفكرة بجذورها الأساسية، وحمايتها من التيارات الفكرية الغريبة عنها.

٥ - تأكيد الثقة فى فكر حركة مشروع النهضة وسلامة منهجها فى العمل.

٦ - الارتفاع بمستوى الولاء لحركة مشروع النهضة من الولاء العاطفى إلى الولاء العقدى والذرائعى الشرعى.

٧ - بناء أرضية مشتركة للمهتمين بالدعوة للمشروع تنطلق منها قراراتهم فى المجالات المختلفة.

ويمكن إجمال المراحل التى مرت بها منهجية الأستاذ البنا لمشروع النهضة فيما يلى

القسم الأول : التفكير فى التحديات التى تواجه الأمة .

القسم الثانى : دراسة التاريخ والواقع .

القسم الثالث : استخلاص الدروس .

القسم الرابع : كيفية التعامل مع هذه الدروس .

* * *

القسم الأول

التفكير فى التحديات التى تواجه الأمة

لقد أحس الأستاذ البنا بالتحدى الخارجي القوى الذى يواجه الأمة، فدفعه إلى تفكير عميق واستجابة مكافئة، فى البحث عن إجابات للخروج من المأزق، واكتشاف الدواء والعلاج، وهذا ما عبر عنه قائلاً:

«ثم كانت فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى حوادث عدة ألهبت نفسي وأهاجت كوامن الشجن فى قلبى، ولفتت نظرى إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس... ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم فى وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحياناً والتشجيع أحياناً، والتريث أحياناً، ولكننى لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية... وليت وجهى شطر الأصدقاء والإخوان ممن جمعني وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب، فوجدت استعداداً حسناً... وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية، حتى يتحول العرف العام فى الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة».

«ليس أحد يعلم إلا الله كم من الليالى كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه فى مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء ونفكر فى العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلتنا إليه إلى حد البكاء... كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها، ألا تفكر فى مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها. ولهذا وأمثاله نعمل ولإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه» (رسالة المؤتمر الخامس).

فحالة الأمة كما يقول الأستاذ البنا دعت إلى :

١ - الانكباب على استعراض الحالة الإسلامية من مختلف جوانبها .

٢ - تحليل العلل .

٣ - البحث عن حلول .

* * *

القسم الثانى

دراسة التاريخ والواقع

إن تاريخ البشرية هو المحطة الثانية للباحثين فى موضوع النهضة حديثًا وقديمًا، وهكذا تحركت الفكرة عند الأستاذ البنا، وقادته إلى البحث فى كنوز التاريخ البشرى، حيث التاريخ البشرى مخزن التجارب الإنسانية الناجحة والفاشلة، وعلى كل من يتحرك لإحداث تغيير اجتماعى فى مجتمعه وأمته لابد أن يلم بالتاريخ الإنسانى كى يتجنب الوقوع فى عثرات مميتة، والتاريخ مدرسة التعليم الأساسية فى العلوم الإنسانية، منها يستقى المفكرون نظرياتهم وتصوراتهم عن مسيرة البشرية وإدراك العبرة من حركتها، ولهذا اهتم الأستاذ البنا بدراسة التاريخ دراسة عميقة. وقد أشار إلى ذلك فى أكثر من موضع فى رسائله، وسنفرد فصلاً كاملاً لهذا الموضوع، وهو الفصل الثانى وحسبنا هنا الإشارة.

ويكفى هنا أن نسجل النظرة التاريخية الثاقبة للأستاذ البنا فى رسالة: إلى أى شىء ندعو الناس، حيث يقول:

«إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبتغى ضرب من المحال، ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح. ومن ذات الذى كان يصدق أن الجزيرة العربية وهى تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحى والسياسى على أعظم دول العالم؟ ومن ذا الذى كان يظن أن أبا بكر، وهو ذلك القلب الرقيق اللين، وقد انتقضه الناس عليه وحار أنصاره فى أمرهم، يستطيع أن يخرج فى يوم واحد أحد عشر جيشًا تقمع العصاة وتقيم المعوج وتؤدب الطاغى وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله فى الزكاة من المانعين؟» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

* * *

القسم الثالث

استخلاص الدروس

إن الحديث عن الدروس التاريخية فى فكر الأستاذ البنا وكتاباته موضوع يجب أن يختص بدراسة مستقلة، ولكننا هنا معنيون بالمنهجية، ويكفينا أن نقول إن الأستاذ البنا كان يقرأ التاريخ بعينى قائد يبحث عما يعينه على إنجاز مشروعه. وسوف نتعرض فى مكان لاحق لكثير من تقديرات الأستاذ البنا فى هذا الشأن، ولكن حسبنا الإشارة إلى قوله معقبًا على حركة مشروع النهضة، بعد أن تتبع بعض الدروس التاريخية فى رسالته « هل نحن قوم عمليون » قائلاً :

«أعتقد يا عزيزى أن كل انقلاب تاريخى وكل نهضة فى أمة تسير طبق هذا القانون حتى النهضات الدينية التى يرأسها الأنبياء والمرسلون صلوات الله عليهم . . هذا كلام أعتقد أن القراء فيه قسمان : قسم درس تاريخ الأمم وأطوار نهوضها فهو مؤمن به معتقد له، وقسم لم تتح له الفرصة، فإن شاء درس ليعلم أنى لم أقل إلا الحق، وإن شاء وثق فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت. كان ذلك فى النهضات الموفقة، فهل سارت نهضتنا وفق هذا القانون الكونى والسنة الاجتماعية؟» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

دراسة التاريخ، فكرة النهضة، القانون الحاكم :

تلك هى العناصر الأساسية التى يشير إليها الأستاذ البنا فى هذه المرحلة.

* * *

القسم الرابع

كيفية التعامل مع هذه الدروس

إن أول شروط التعامل المنهجى السليم مع السنن الإلهية والقوانين الكونية فى الأفراد والمجتمعات والأمم، هو أن نفهم.. بل أن نفقه فقهًا شاملاً رشيداً هذه السنن أو الدروس، وكيف تعمل ضمن الناموس الإلهى أو ما نعبر عنه بـ «فقه السنن»، ونستنبط منها على ضوء فقهنا لها القوانين الاجتماعية والدروس الحضارية، وفى هذا يقول الأستاذ البنا فى رسالة المؤتمر الخامس:

«لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها، واستخدموها، وحولوا تيارها. واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد» (رسالة المؤتمر الخامس).

من هنا ولد مشروع النهضة عند الأستاذ البنا. فمن دراسة حال الأمة، وتاريخها، وتاريخ العالم الناهض من حولنا، ومن خلال استقراء قوانين الحركة التاريخية، ومن خلال تكوين رؤية للتعامل مع هذه القوانين أو الدروس قامت حركة النهضة المعاصرة.

ويمكن إيجاز ذلك فى أن التحدى المتمثل فى (التخلف) ولد ضرورة (الاستجابة) فى فكرة مشروع النهضة والعمل على تنفيذه كمخرج وحيد من حالة التخلف التى تعيشها الأمة.

* * *

الفصل الثانى

دراسة التاريخ

القسم الأول : دراسة التاريخ الإسلامى .

القسم الثانى : دراسة تاريخ الأمم الناهضة .

القسم الثالث : دراسة تاريخ حركات النهضة والتغيير .

تقديم : أهمية دراسة التاريخ

إن التاريخ البشرى مخزن التجارب الإنسانية الناجحة والفاشلة. وعلى كل من يتحرك لإحداث تغيير اجتماعى فى مجتمعه وأمته أن يلم بالتاريخ الإنسانى كى يتجنب الوقوع فى عثرات مميتة. والتاريخ مدرسة التعليم الأساسية فى العلوم الإنسانية، منها يستقى المفكرون نظرياتهم وتصوراتهم عن مسيرة البشرية، وإدراك العبرة فى حركتها. ولهذا اهتم الأستاذ البنا بدراسة التاريخ دراسة عميقة. وقد أشار إلى ذلك فى أكثر من موضع فى رسائله فعلى سبيل المثال، يقول:

> **«أنت إذا راجعت تاريخ النهضات فى الأمم المختلفة شرقية وغربية قديمًا وحديثًا، رأيت أن القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم: منهاج محدد عليه يعملون... راجع تاريخ الهيئات والشعوب تر هذا القول واضحًا بينًا، وأنه أساس النجاح فى كل نهضاتها... وأنت إذا رجعت بذاكرتك إلى تاريخ الفرق الإسلامية، وإلى الأدوار التى سبقت، وقارنت قيام الدولة العباسية فى الشرق ثم إلى نهضة الدولة الحديثة الأوروبية من فرنسا وإيطاليا وروسيا وتركيا سواء فى الدور الأول وهو دور تكوين الوحدات وتأسيس الحكومات أو فى هذا الدور وهو دور تكوين المبادىء ومناصرة النظريات لرأيت كل ذلك يخضع إلى مناهج معروفة الخطوات تؤدى إلى النتيجة الحتمية التى تعمل لها الأمة»** (رسالة هل نحن قوم عمليون).

وعليه، يتناول هذا الفصل الأقسام التالية:

القسم الأول: دراسة التاريخ الإسلامى.

القسم الثانى: دراسة تاريخ الأمم الناهضة.

القسم الثالث: دراسة تاريخ حركات النهضة والتغيير.

* * *

القسم الأول

دراسة التاريخ الإسلامى

لقد شرح الأستاذ البنا فى رسالته «بين الأمس واليوم» تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها. وقد وضعت هذه الرسالة قبيل الحرب العالمية الثانية، وفيها تحديد دقيق للأطوار التى مرت بها الأمة الإسلامية، من بعثة الرسول الأمين وحتى سقوط آخر كيان سياسى للمسلمين بعد زوال الدولة العثمانية. هذه الدراسة للتاريخ الإسلامى، ونقطة تقاطعه مع المشروع الغربى، وعوامل انتصار المشروع الغربى، ليست أمراً يمكن أن تمر عليه التربية فى المجتمعات المسلمة مرور الكرام، لأن من يقرأ الظروف التى كتبت فيها هذه الرسالة، يعلم أنها كانت وصية الأستاذ البنا، وأنه حرص على أن يضع صورة الحدث أو المشهد التاريخى الذى جاءت فى سياقه «دعوة النهضة» أمام الدعاة بصورة متكاملة، نظراً لأهمية ذلك فى صحة التصور للدور الذى ستضطلع به الدعوة، وللمخاطر التى قد تحرفها عن مسارها إذا فقدت الرؤية الكلية أثناء سيرها نحو أهدافها.

إن الدراسة المتأنية لرسالة «بين الأمس واليوم»، تضعنا أمام الفهم المتكامل للمنطلقات الأساسية للمشروع الذى قدمه الأستاذ البنا للنهوض بالأمة من جديد، وعمق الأبعاد التاريخية التى شكلت الفكرة والحركة. ويمكن من هذه الرسالة استخلاص النقاط الهامة التالية:

١ - العرض الواضح للمشهد التاريخى لأحداث الأمة الإسلامية وأطوارها.

٢ - كيفية تقاطع وتدافع وتصارع الدعوة الإسلامية مع المشروعات المغايرة.

٣ - استعراض أهم الدروس التى أدت إلى حالة المشروع الإسلامى.

٤ - استعراض أهم معالم الدولة الإسلامية ونظامها الاجتماعى والاقتصادى.

٥ - وضع الحركة أمام دورها ومهمتها من خلال السياق التاريخى.

٦ - التعرف على نقاط القوة والضعف والمخاطر والفرص والنجاح والفشل.

لقد مرت الدعوة أو «الفكرة الإسلامية» - كما أشرنا - وحسب وصف الأستاذ البنا لها فى الأطوار السبعة التالية:

الطور الأول: إعلان ميلاد الدعوة الجامعة.

الطور الثانى: قيام الدولة الإسلامية الأولى.

الطور الثالث: بداية التحلل فى كيان الدولة الإسلامية.

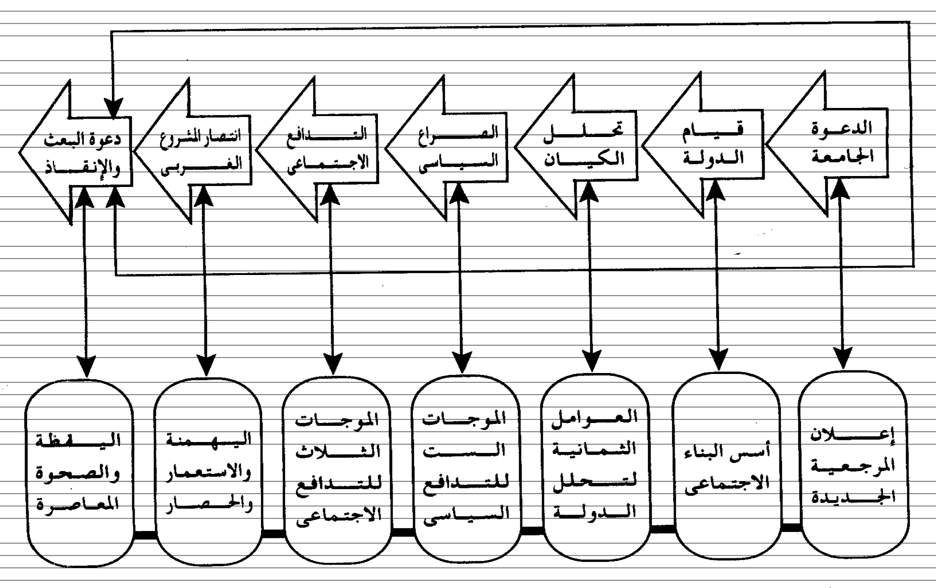
الطور الرابع: الصراع والتدافع السياسى.

الطور الخامس: الصراع والتدافع الاجتماعى.

الطور السادس: انتصار المشروع الغربى وهيمنته على الحضارة الإسلامية.

الطور السابع: طور اليقظة والصحوة الإسلامية وظهور دعوة البعث والإنقاذ.

والشكل التالى يختصر هذه الأطوار..



وسوف نعرض لهذه الأطوار بشىء من التفصيل، فيما يلى:

الطور الأول : إعلان ميلاد الدعوة الجامعة (الدعوة)

«منذ ألف وثلاثمائة سنة وسبعين نادى محمد بن عبد الله النبى الأمى فى بطن مكة وعلى رأس الصفا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] فكانت تلك الدعوة الجامعة حداً فاصلاً فى الكون كله، بين ماض مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلانًا واضحًا مبينًا لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة : ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [الشورى : ٥٢ - ٥٣] (رسالة بين الأمس واليوم).

ويتلخص هذا الطور فى المضامين التالية :

١ - إعلان ميلاد الدعوة الجامعة لتضع حداً فاصلاً فى الكون كله.

٢ - إعلان واضح مبين لنظام عالمى جديد محدد المرجعية والهوية.

٣ - تبيان الأصول الفكرية والعملية للإصلاح والتغيير الاجتماعى الشامل.

الطور الثانى : قيام الدولة الإسلامية الأولى (الدولة)

«على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانًا عميقًا، وتطبقه تطبيقًا دقيقًا وتنشره فى العالمين... وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة. فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة فى ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة فى العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية فى الجيوش، وفى بيوت المال، وفى تصرفات الولاة، إذ أن الجميع

يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد».

ولقد طاردت هذه المبادى القرآنية الوثنية الخرفة... وطاردت اليهودية الماكرة... وصارعت المسيحية... وتركز بذلك السلطان الروحى والسياسى بالدولة الإسلامية فى القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا، وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم فى غرب أوروبا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان».

«وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعًا، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصيغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعًا من غير أن يؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية أو السياسية» (رسالة بين الأمس واليوم).

وعليه، قام هذا الطور على العناصر التالية:

١ - إقامة الدولة على أسس النظام الاجتماعى القرآنى.

٢ - تحقيق الوحدة الاجتماعية الشاملة فى ظل النظام الإسلامى.

٣ - تحقيق الوحدة السياسية الشاملة تحت لواء الخلافة الإسلامية.

٤ - طرد القوى المعادية كالوثنية واليهودية والمسيحية المهاجمة.

٥ - انطلاق حملات الفتح الإسلامى فى الشرق والغرب والشمال والجنوب.

٦ - السيطرة على المجالات الحيوية وتحقيق السيادة البرية والبحرية.

٧ - الاتصال الحضارى بغيرها من الأمم ونقل المفيد من هذه الحضارات.

الطور الثالث: بداية التحلل فى كيان الدولة الإسلامية (التحلل)

«ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع، فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئًا فشيئًا

حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية فى القرن السادس الهجرى بأيدى التتار، وفى القرن الرابع عشر الهجرى مرة ثانية، وتركت وراءها فى كلتا المرتين أمما مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض، وكان أهم هذه العوامل ما يلى:

١ - الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرئاسة والجاه.	﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا...﴾ [الأنفال: ٤٦].
٢ - الخلافات الدينية والمذهبية والخلل فى الفهم الدينى.	«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» [حديث].
٣ - الانغماس فى ألوان الترف والنعيم..	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا..﴾ [الإسراء: ١٦].
٤ - سوء البطانة وإعطاءهم من النفوذ ما لا يستحقون.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ..﴾ [آل عمران: ١١٨].
٥ - إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية.	﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].
٦ - غرور الحكام والانخداع بقوتهم.. وعدم النظر إلى تطور الآخرين.	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].
٧ - الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].
٨ - ضعف الدافع العقائدى الذى يقود إلى التحلل الخلقى المدمر.	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. (رسالة بين الأمس واليوم)

إن كل قضية من هذه القضايا تحتاج إلى بحث تفصيلى، ولكن حسبنا هنا أن نشير إلى خطورة هذه القضايا التى أدت إلى انكسار خط الصعود للأمة ومازالت تفعل فعلها فى العامة والخاصة.

الطور الرابع: الصراع والتدافع السياسى

ولقد ظهر هذا الصراع والتدافع على شكل موجات عدة على مدار عدة قرون، ومن هذه الموجات:

الموجة الأولى: محاولات القضاء على الأمة الإسلامية:

١ – التتار وإسقاط الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هجرية.

٢ – تسع حملات صليبية والتمكن من إقامة دولة صليبية فى بيت المقدس.

الموجة الثانية: انتصارات متتالية للمسلمين:

١ – استعادة بيت المقدس فى معركة حطين.

٢ – رد التتار وطردهم من مصر فى عين جالوت.

٣ – إعادة قيام الخلافة الإسلامية متمثلة فى آل عثمان (دولة الأتراك العثمانية).

٤ – فتح القسطنطينية والامتداد إلى قلب أوروبا.

الموجة الثالثة: بواكير النهضة فى أوروبا:

١ – أخذ أوروبا بأسباب القوة والتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال.

٢ – إقامة الدولة الإسبانية على أنقاض الأندلس.

٣ – الاهتمام بإعمال الفكر والبحث العلمى والاكتشافات الجغرافية، فكان اكتشاف أمريكا وطريق الهند.

٤ – توالى الثورات الإصلاحية وتكوين القوميات وقيام الدولة الحديثة القوية.

٥ – تكوين أحلاف مقدسة بين الدول الأوروبية الفتية لتمزيق الخلافة الإسلامية.

الموجة الرابعة : هجوم أوروبى جديد على البلدان الإسلامية :

١ - وضع العديد من المشروعات لتمزيق الدولة الإسلامية .

٢ - اقتسام تركة الرجل المريض وافتعال المسألة الشرقية .

٣ - سلخ كثير من الأقطار عن جسم الخلافة ووقوعها تحت السلطان الأوروبى .

٤ - هزيمة تركيا وحلفائها فى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) .

٥ - اقتسام ميراث الدولة العثمانية باسم الاحتلال، والاستعمار والانتداب، والمصالح .

٦ - انتصار أوروبا فى هذا الصراع السياسى وتمزيق الامبراطورية الإسلامية وحذفها سياسيًا .

الموجة الخامسة : إلى القوة من جديد واشتعال ثورات الاستقلال :

١ - نيل بعض الأقطار الإسلامية بعض حقوقها واستقلالها .

٢ - ظهور المعنى القومى الخاص لكل دولة أو قطر إسلامى كأمة مستقلة .

٣ - تعمد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة .

الموجة السادسة : حرب عالمية جديدة ومعاهدات ظالمة :

١ - اشتعال الحرب العالمية الثانية وآثارها المدمرة .

٢ - تأصيل بذور الحقد والبغضاء فى صدور الدول الأوروبية على بعضها البعض .

٣ - ظهور أفكار جديدة ومبادىء متعصبة، تنذر بخلاف جديد وحروب طاحنة .

٤ - سنوح فرصة أخرى للأمة الإسلامية لتسوية صفوفها واسترداد دولتها ووحدتها .

وإذا كان هذا هو الخط التاريخى الذى أدركه الأستاذ البنا، فعلينا أن نمد الخط إلى الأمام لنعرف كيف تطور الوضع منذ الحرب الثانية إلى الآن، وهو أمر آخر يحتاج إلى كتابة مستقلة . وحسبنا فى هذا المجال أن نسير على المنهجية التى قدمها لنا الأستاذ البنا .

الطور الخامس : الصراع والتدافع الاجتماعى :

ولقد ظهر هذا الصراع والتدافع على شكل موجات عدة على مدار عدة قرون، ومن هذه الموجات :

الموجة الأولى : حضارة جديدة تتبلور :

«إن الأمم الأوروبية التى اتصلت بالإسلام وشعوبه فى الشرق بالحروب الصليبية، وفى الغرب بمجاورة عرب الأندلس وخالطتهم، ولم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوى أو التجمع والتوحد السياسى، ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علوماً ومعارف جمة» (رسالة بين الأمس واليوم).

وأبرز مظاهر هذه الموجة، كما أكد الأستاذ البنا، هى :

١ – ظهور نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق فى أوروبا.

٢ – نشوب صراع عنيف بين هذه النهضة وبين الكنيسة انتهى بانتصار الأولى.

٣ – قيام الثورة الصناعية الإنتاجية كثمرة من ثمرات النهضة العلمية الحديثة.

٤ – امتداد سلطان الدولة الأوروبية إلى كثير من البلاد والأقطار.

٥ – قيام الحياة والحضارة الأوروبية على قاعدة إقصاء الدين عن الدولة والمحكمة والمدرسة.

٦ – طغيان النظرة المادية وجعلها المقياس فى كل شىء، وتفشى قيم جديدة مثل: الإلحاد، والإباحية، والأنانية، والربا.

الموجة الثانية : غزو بلاد الإسلام ونقل الحياة المادية :

«وقد عمل الأوروبيون جاهدين على أن تغمر موجة الحياة المادية، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصر الصلاح والقوة من

العلوم والمعارف والصناعات والنظم النافعة. وقد أحكموا خطة هذا الغزو الاجتماعى إحكامًا شديدًا واستعانوا بدهائهم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا» (رسالة بين الأمس واليوم).

وأبرز مظاهر هذه الموجة، كما أكد الأستاذ البنا، هى:

١ – إغراء الحكام بالاستدانة منهم والتعامل معهم.

٢ – اكتساب حق التدخل الاقتصادى وإغراق البلاد برؤوس الأموال والمصارف والشركات، وإدارة دولاب العمل الاقتصادى كما يريدون.

٣ – تغيير قواعد الحكم والقضاء والتعليم وصبغ النظم السياسية والتشريعية بصبغتهم.

٤ – جلب النساء والخمور والمسارح والمراقص والملاهى والأدبيات والسلوكيات الماجنة.

٥ – إباحة الجرائم وتزيين الدنيا الصاخبة العابثة.

٦ – إنشاء المدارس والمعاهد العلمية والثقافية الغربية فى عقر ديار الإسلام للتشكيك والتغريب.

٧ – جعل أبناء الإسلام يحتقرون دينهم وأوطانهم ويقدسون كل ما هو غربى.

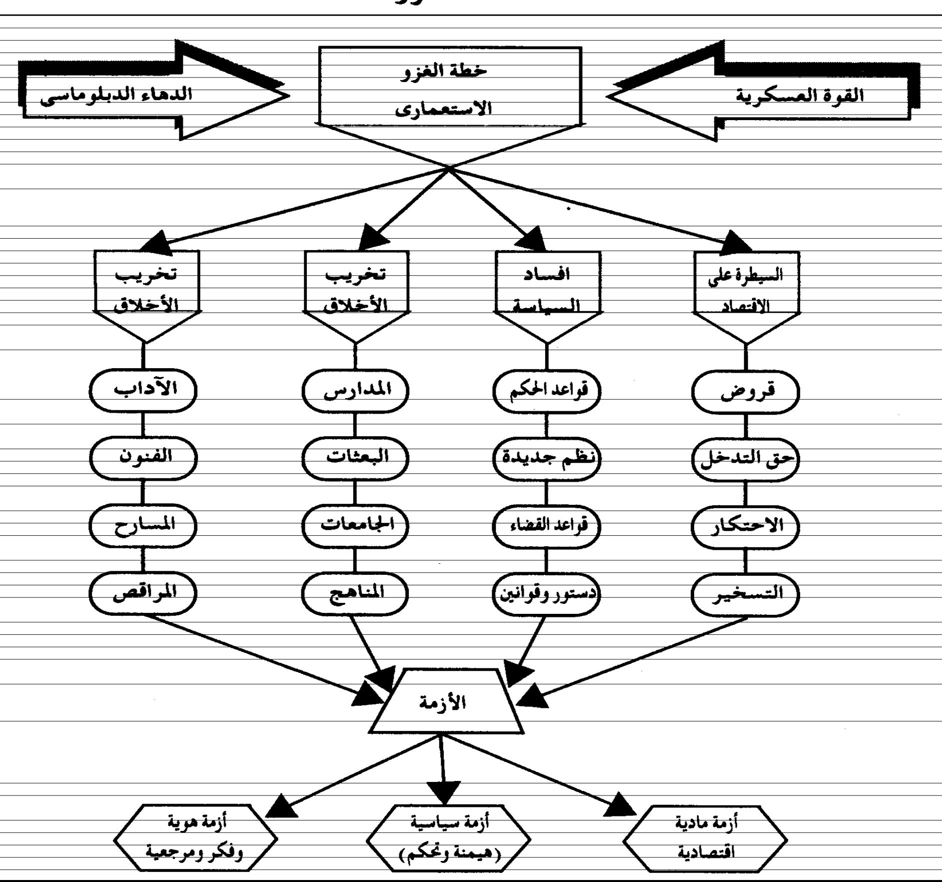
٨ – تلاحق البعثات الدراسية لاستكمال عملية الغزو الثقافى والاجتماعى المنظم.

الموجة الثالثة: محاولات خديعة عقلاء المسلمين:

«ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل إلى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع. ولقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستارًا كثيفًا أمام أعين الغير منهم، بتصوير الإسلام نفسه تصويرًا قاصرًا فى ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا إليه ورضوا به، وطال عليهم فى ذلك الأمد حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعى كامل يتناول كل شؤون الحياة» (رسالة بين الأمس واليوم).

والشكل التالى يوضح خطة الغزو الشامل :

خطة الغزو :



الطور السادس: انتصار المشروع الغربى وهيمنته على الحضارة الإسلامية:

«ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا فى أرض الإسلام نفسه، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى، ولا عجب فى هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعًا، والضعف ضعف فيها جميعًا كذلك: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وإن كانت مبادىء الإسلام وتعاليمه ظلت قوية فى ذاتها فياضة بالخصب والحياة جذابة أخاذة بروعتها وجمالها، وستظل كذلك لأنها الحق، ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها ولأنها من صنع الله وفى حياطته: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢] (رسالة بين الأمس واليوم).

وعليه، أكد الأستاذ البنا إن الحضارة الغربية انتصرت فى هذا الطور على نفوس المسلمين كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى. وفى الوقت نفسه أكد على قوة الإسلام بمبادئه وتعاليمه، والتى تكفل الحياة الإنسانية الكاملة والفاضلة.

الطور السابع: طور اليقظة والصحوة الإسلامية وظهور دعوة البعث والإنقاذ:

«وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتى قريبًا ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨]».

«وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] (رسالة بين الأمس واليوم).

هنا، أكد الأستاذ البنا حتمية العودة إلى الحق وضرورة الالتجاء إلى النور.. والعودة اليقظة إلى الإسلام العظيم وكتاب الله الكريم.

ورغم هذا الإيجاز الذى ساق به الأستاذ البنا هذا الإطار التاريخى، فإنه عند القراءة المتعمقة، يشكل نقطة ارتكاز لكثير من الدراسات الموجهة فى هذا المجال الحيوى مثل:

١ – الهوية والمرجعية.

٢ – أصول الإصلاح الاجتماعى فى التصور الإسلامى.

٣ – الصورة الموجزة لحركة الدولة الإسلامية الأولى تاريخياً.

٤ – عوامل الضعف فى التاريخ الإسلامى وسبل التعامل المستقبلى معها.

٥ – قراءة استراتيجية فى الفترة التاريخية المفصلة للقرن الثانى عشر إلى الخامس عشر.

٦ – دراسة الفترة نفسها فى أوروبا وعملية حشد وتحليل عوامل القوة.

٧ – دراسة عصر النهضة فى أوروبا دراسة نقدية فاحصة.

٨ – دراسة حركات الاستقلال استراتيجياً.

٩ – دراسة جذور الفكر الغربى وتطبيقاته السياسية المعاصرة.

١٠ – دراسة آلية حركة الاستعمار الاستيطانى وتطبيقاته المعاصرة.

إنه بدون دراسة حقيقية لمثل هذه المسارات الصعبة، وعلى أيدى أناس يجمعون مع المعرفة الشرعية قراءة عصرية للواقع وإحساساً علمياً وحركياً، مع القدرة على الكتابة التى تعتنى بالجوهر قبل الإنشاء والحشو، أقول بدون ذلك ستظل الثقافة التى نحتاج إليها للنهضة عندنا تعانى الضحالة الفكرية والمشكلات الحركية، وبالتالى ستظل الأحكام بعيدة عن معالجة إشكاليات الواقع.

* * *

القسم الثانى

دراسة تاريخ الأمم الناهضة

لقد امتدت دراسة الأستاذ البنا لمساحة واسعة من تجارب النهضة، لأنه اعتقد اعتقاداً جازماً بأنه لابد لكل حركة جادة تريد التغيير والنهوض، أن تقوم بدراسة عميقة لتاريخ الأمم التى سبقت، ولهذا يقول:

«وأنت إذا رجعت بذاكرتك إلى تاريخ الفرق الإسلامية، وإلى الأدوار التى سبقت وقارنت قيام الدولة العباسية فى الشرق ثم إلى نهضة الدول الحديثة الأوروبية من فرنسا وإيطاليا وروسيا وتركيا سواء فى الدور الأول وهو دور تكوين الوحدات وتأسيس الحكومات أو فى هذا الدور وهو دور تكوين المبادىء ومناصرة النظريات لرأيت كل ذلك يخضع إلى مناهج معروفة الخطوات تؤدى إلى النتيجة الحتمية التى تعمل لها الأمة..» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

وانظر بتمعن إلى قوله:

(نهضة الدول الحديثة الأوروبية... مناهج معروفة الخطوات)

فإن دراسة حركة النهضات الحديثة وأطوارها من التفصيل إلى التأمل التجريدى الذى تصاغ على أساسه قوانين النهضة وآفاق الحركة موضوع فى غاية الأهمية، والسؤال الهام هنا هو: كم نصيب هذه الدراسات عند العاملين فى مشروع النهضة الإسلامى وفى ثقافتهم؟ إذ أن الانتباه إلى مثل ذلك فى غاية الخطورة والحيوية لحاضر ومستقبل هذا المشروع.



القسم الثالث

دراسة تاريخ حركات النهضة والتغيير

من المفيد جداً لحركة النهضة أن تدرس وتحلل وتنقد تجارب غيرها من الحركات النهضوية السابقة واللاحقة، فإن فى ذلك لعبرة وعظة، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى فى أكثر من موقع فى القرآن الكريم بضرورة النظر والتفكر فى أحوال الأمم الغابرة وكيف مضت فيها سنة الله نصراً أو هزيمةً، وهذا ما يؤكده الأستاذ البنا بقوله:

«إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها إلى أن وصولها إلى ما تبتغى ضرب من المحال. ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة، القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح. ومن ذا الذى كان يصدق أن الجزيرة العربية وهى تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحى والسياسى على أعظم دول العالم؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

● الخلافة الراشدة:

«ومن ذا الذى كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين، وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره فى أمرهم، يستطيع أن يخرج فى يوم واحد أحد عشر جيشاً تقمع العصاة وتقيم المعوج، وتؤدب الطاغى وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله فى الزكاة من المانعين؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

● الدولة العباسية:

«ومن ذا الذى كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بنى على والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك القوى الواسع الأكناف ما بين

عشية أو ضحاها، وهي ما كانت يومًا من الأيام إلا عرضة للقتل والتشريد والنفي والتهديد ؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

● الدولة الأيوبية :

«ومن ذا الذى كان يظن أن صلاح الدين الأيوبى يقف الأعوام الطوال فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكًا من ملوكهم الأكابر ؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

● الدولة السعودية :

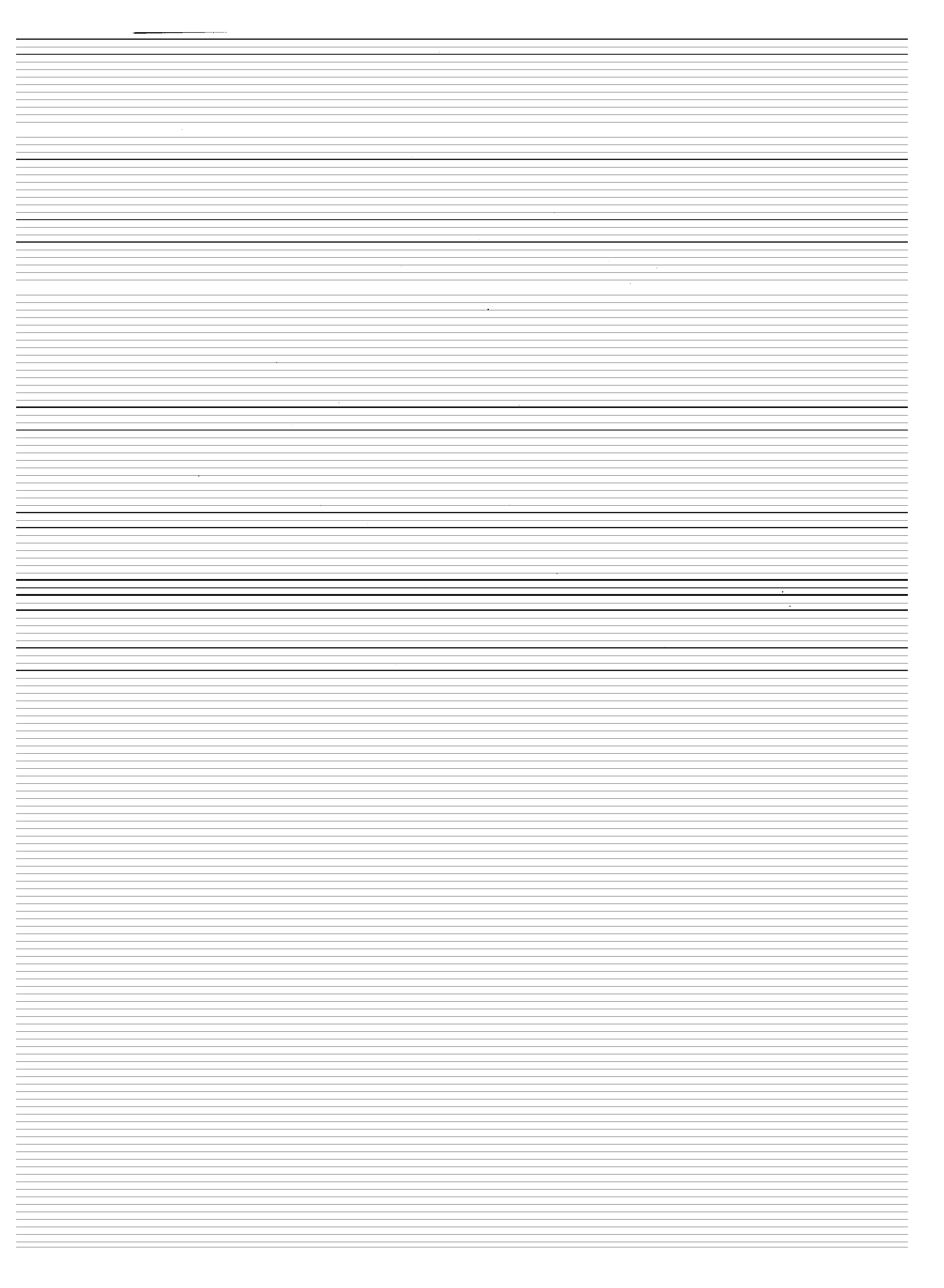
«ذلك فى التاريخ القديم، وفى التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك، فمن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

● الدولة الألمانية :

«ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألمانى (هتلر) يصل إلى ما وصل إليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية ؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

ورغم أهمية الدراسة العميقة لمثل هذه النماذج إلا أن ذلك لا يفيد الحصر والقصر، بل يفيد المنهجية الكلية. وعلى ذلك، فإن النماذج التاريخية البعيدة والقريبة كلها مجالات وحقول دراسية خصبة يجب أن توضع على مشرحة التحليل والنظر. وأن أخطر ما يمكن أن يقلل من سعة الفكرة وشمولها قصر الدراسات على التاريخ الإسلامى القديم وعدم الاعتبار بعموم التجربة الإنسانية.

* * *



الفصل الثالث

دراسة الواقع

القسم الأول : التحليل الوصفى (النوعى) .

القسم الثانى : التحليل الإحصائى (الكمى) .

تقديم : ضرورة دراسة الواقع

إن الذى يريد أن يتصدى لقضايا مجتمعه وأمته، ويسعى لإقامة مجتمع يرتفع فيه لواء العدل والمساواة والأخوة الإنسانية الحقة، إن الذى يريد أن يقوم بهذه المهمة لابد أن يدرس واقعه ومحيطه : محليًا وإقليميًا ودوليًا، دراسة عميقة ليتعرف من خلال هذه الدراسة على عوامل قوته بكل أشكالها، وعوامل ضعفه بكل أحوالها، وليعرف حجم التحديات والمخاطر التى تحيط به من الداخل والخارج، ويترقب الفرص السانحة له على كل الأصعدة، كما عليه أن يحدد مجالات نجاحاته، ومجالات إخفاقاته، بمعنى أشمل لابد أن يكون مستوعبًا تمامًا للواقع. وهذا ما نطلق عليه : «فقه الواقع». ومن هنا وجب التأكيد للقائمين على حركة النهضة أن يتبينوا هذه الحقيقة ويستدركوها فى مناهجهم التربوية وخططهم المستقبلية، وذلك من خلال عمل مؤسسى شامل يقوم على الدراسة والبحث العلمى الرصين.

وسنتناول هذه الدراسة فى هذا الفصل من خلال القسمين التاليين :

القسم الأول : التحليل الوصفى (النوعى)

القسم الثانى : التحليل الإحصائى (الكمى)

* * *

القسم الأول

التحليل الوصفي (النوعي)

الملفات الرئيسية التي سيواجهها المد النهضوى :

يعرض الأستاذ البنا تحليلاً وصفيًا لمظاهر أزمة الأمة قائلاً :

«وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحي، كثير الأعراض، قد نال من كل مظاهر حياتها. فهي مصابة في :

١- ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها .

٢- وفي ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها .

٣- وهي مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا في نفوس أبنائها .

٤- وفي ناحيتها الاجتماعية بالإباحية في عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الإنسانية التي ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربي يسري في مناحي حياتها سريان لعاب الأفاعي فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها .

٥- وبالقوانين الوضعية التي لا تزجر مجرمًا ولا تؤدب معتديًا ولا ترد ظالمًا، ولا تغني يومًا من الأيام غناء القوانين السماوية التي وضعها خالق الخلق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها .

٦- وبفوضى في سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها .

٧- وفي ناحيتها النفسانية بيأس قاتل، وخمول مميت، وجبن فاضح،

وذلة حقيرة، وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدي عن البذل، وتقف حجاباً دون التضحية، وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين.

وما يرجى من أمة اجتمعت على غزوها هذه العوامل بأقوى مظاهرها وأشد أعراضها، متمثلة في:

١- الاستعمار والحزبية.

٢- الربا والشركات الأجنبية.

٣- الإلحاد.

٤- الإباحية.

٥- فوضى التعليم.

٦- فوضى التشريع.

٧- اليأس، والشح، والخنوثة والجبن.

٨- الإعجاب بالخصم يدعو إلى تقليده..

«إن داء واحداً من هذه الأدواء يكفي لقتل أمم متظاهرة، فكيف وقد تفشت جميعاً في كل أمة على حدة؟ لولا مناعة وحصانة وجلادة وشدة في هذه الأمم الشرقية التي جاذبها خصومها حبل العداء من بعيد، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمناً طويلاً حتى باضت وأفرخت، لولا ذلك لعفت آثارها ولبادت من الوجود. ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون. يا أخي: هذا هو التشخيص الذي يلمسه الإخوان في أمراض هذه الأمة، وهذا هو الذي يعملون في سبيل أن يبرئها منه ويعيد إليها ما فقدت من صحة وشباب» (رسالة دعوتنا).

وعلى ذلك يأتي:

- ملف الاستعمار.
- وملف الاقتصاد والاحتكارات الأجنبية.
- وملف الحالة الاجتماعية.

● وملف التعليم.

● وملف التشريع.

● وملف الحالة النفسية.

لتشكل أهم محاور الاهتمام النهضوى للدعوة المعاصرة.

* * *

القسم الثانى

التحليل الإحصائى (الكمى)

وقد اتبع الأستاذ البنا -أيضًا- طريقة التحليل الإحصائى، أو ما نطلق عليه فى دراستنا اليوم (التحليل الكمى) لواقع الأمة، كمنهجية أخرى لدراسة الواقع، لما لهذه الخطوة من أثر كبير على خطط الحركة وسياستها ومواقفها. وهنا لابد من أن يلتفت القائمون على أمر النهضة إلى ضرورة استدراك ذلك فى مناهجهم التربوية والثقافية، وأن يتخذوا لهم مؤسسات للبحوث والدراسات ومراكز للمعلومات تمدهم بما يلزم لتجعلهم على بصيرة من أمرهم كما أشرنا إلى ذلك آنفا. وفى ذلك يقول الأستاذ البنا:

«فاذكروا أيها الإخوان أن أكثر من (٦٠٪) من السكان يعيشون معيشة الحيوان.. وأن مصر بها أكثر من (٣٢٠) شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة فى جميع أنحاء البلاد، وأن أكثر من (٩٠٪) من الشعب مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض، وأن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس بما فى ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام، وأن الجرائم تتضاعف..» (رسالة بين الأمس واليوم).

«إليكم أيها الإخوان بعض الأرقام التى تنطق بما يهددنا من أخطار اجتماعية ماحقة ساحقة، إن لم يتداركنا الله فيها برحمته، فسيكون لها أفدح النتائج وأفظع الآثار:

- فالفلاحون.....

- والعمال.....

- وشركات الاحتكار.....

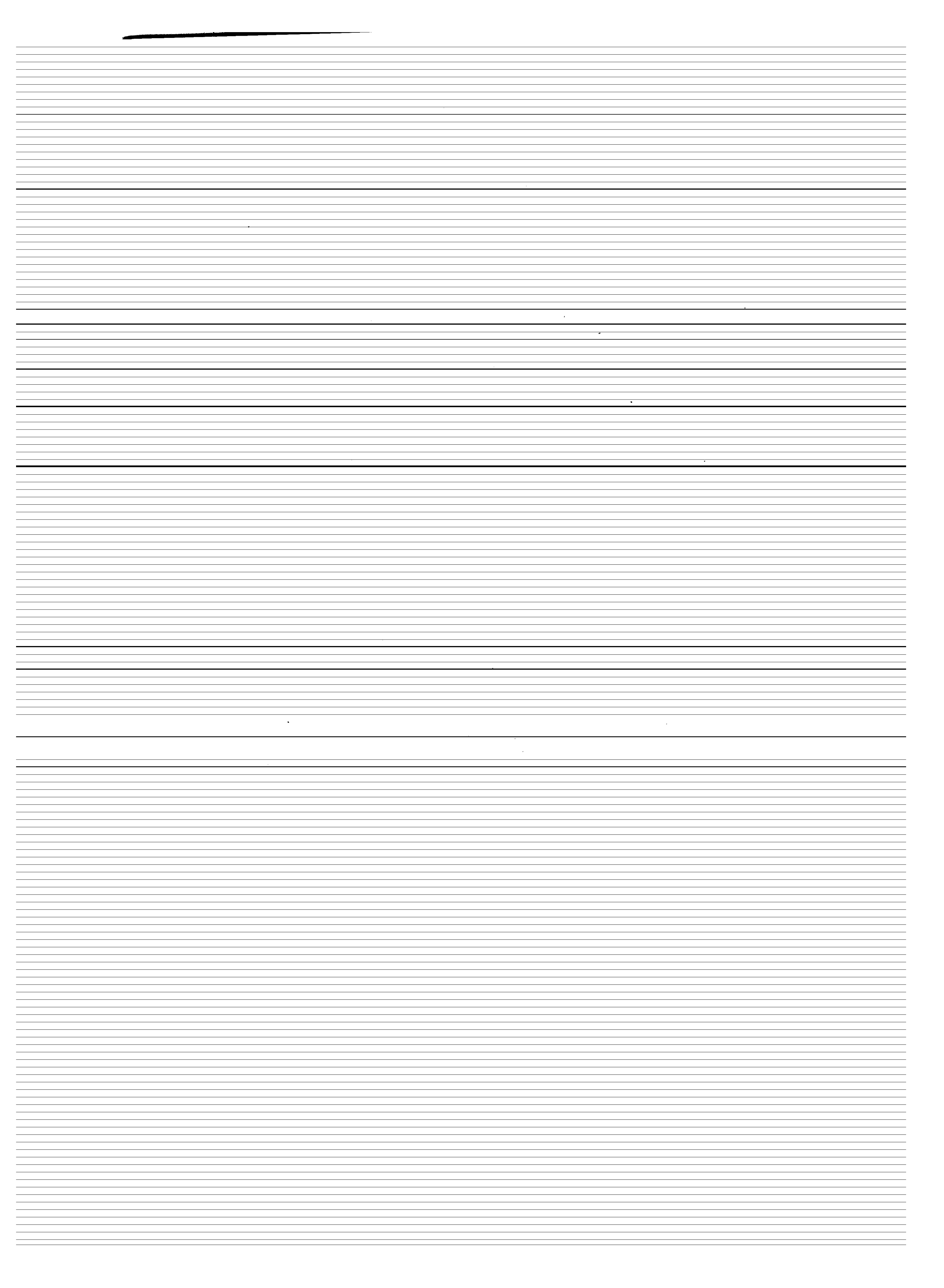
- والعيادات الحكومية.....
- والأمية.....
- والجرائم.....»(*).

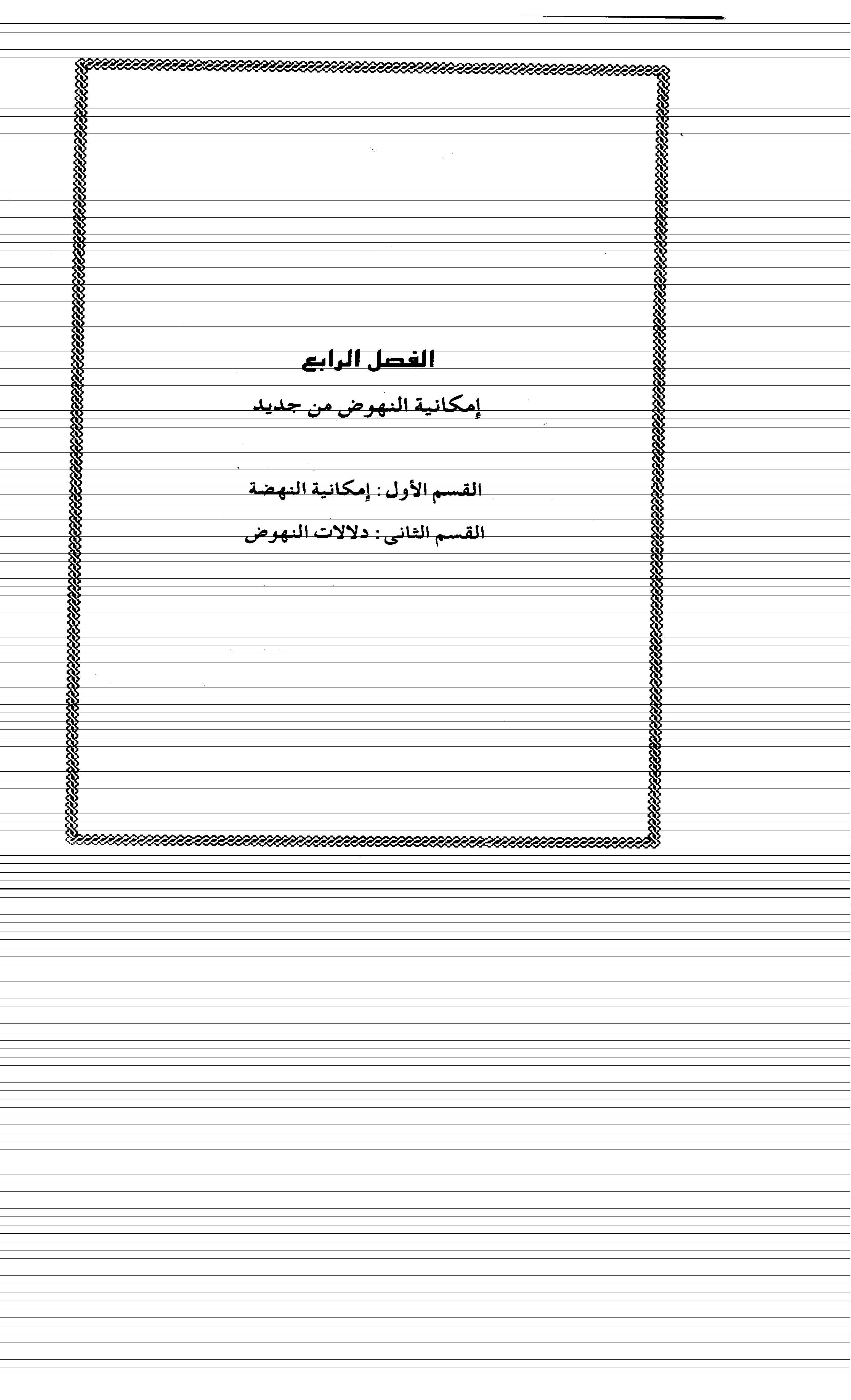
«أيها الإخوان.. هذه لغة الأرقام، وهذا قليل من كثير من مظاهر البؤس والشقاء في مصر، فما سبب ذلك كله؟.. ومن المسئول عنه؟.. وكيف نتخلص منه، وما الطريق إلى الإصلاح؟..» (رسالة المؤتمر السادس).

وعلى ذلك، نستطيع أن نقيس فى مجمل العملية النهضوية وفى تفصيلاتها، ونقول علينا بجمع الإحصاءات المعبرة كمياً عن مجالات حياة المجتمعات المسلمة اليوم، ونعمل على تمحيصها ودراستها وتحليلها.. لنرسم المنهج العملى للتخلص من مظاهر البؤس والشقاء.. ونحدد الطريق القويم لإحداث مشروع النهضة.. ونموذج التنمية المستدامة.

* * *

(*) وردت بالرسالة أرقام حسب الإحصائيات الثابتة حين ألقيت الرسالة عام ١٩٤١. وبالطبع تعد الصورة الآن أكثر فداحة وأفظع آثاراً وأشد ظلمة.





الفصل الرابع

إمكانية النهوض من جديد

القسم الأول : إمكانية النهضة

القسم الثاني : دلالات النهوض

تقديم : الاستعداد للنهوض

بعد الدراسة العميقة للتاريخ، والدراسة الفاحصة للواقع، والتعرف على مواطن الداء، كان لابد من العمل على مواجهة هذا الواقع والعمل على إنقاذ الأمة مما هي فيه، ووصف الدواء المناسب لها. وهذا ما دفع الأستاذ البنا إلى ضرورة الاستعداد للنهوض بالأمة من جديد، فاسمعه يقول :

« كذلك شاءت ظروفنا أن نواجه كل ذلك، وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية. وإن الأمة التي تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأماني، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف وصراع قوي شديد بين الحق والباطل، وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين، وإن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد والجهد هو التعب والعناء وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره وعند الصباح يحمد القوم السرى » (رسالة هل نحن قوم عمليون).

إذا كانت معطيات واقعنا الإسلامي هي كما بينتها الملفات الرئيسة السابقة والإحصاءات الاستقرائية المعروفة، فتبقى عدة مسائل هامة نجملها فيما يلي :

القسم الأول : إمكانية النهضة.

القسم الثاني : دلالات النهوض.

* * *

القسم الأول

إمكانية النهضة

يقول الأستاذ البنا فى هذا.. بثقة المسلم وعزة المؤمن:

«.. إن مهمتنا سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التى لا يمكن بغيرها أن يسعد الناس..» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

ثم يؤكد هذه الحقيقة بقوله:

«إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه، ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع فى انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التى تحملون مشعلها وتبشرون بها» (رسالة إلى الشباب).

ويوضح الأستاذ البنا بجلاء عهد الانتقال من حالة الضعف والركود فى حياة الأمم إلى حالة القوة والنهوض بقوله:

«وإن أخطر العهود فى حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال، إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التى يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها؛ فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة، وبشر قادتها إلى هذا الفوز، وأدلتها فى هذا الخير، بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة» (رسالة نحو النور).

وأخيرًا يقرر الأستاذ البنا إمكانية النهضة.. وطريقها القويم، فيقول:

«دعوت قومي إلى أن يختاروا، أو بعبارة أصح وأوضح، إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع أنفسهم، فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية فى كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التي شملت كل شيء، والتى وقفت بنا عن كل تقدم، والتى حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوى إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة فى الداخل والخارج. وقلت إنه لا سبيل إلى النجاة إلا هذا الاتجاه عقيدةً وعملاً بكل ما نستطيع من حزم وسرعة» (رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى).

* * *

القسم الثانى

دلالات النهوض

يقدم الأستاذ البنا دلالات أربعًا لنهوض الأمة، كما يلى:

الدلالة الأولى: الدلالة الاجتماعية

وفى هذه الدلالة النهضوية يقول الأستاذ البنا:

«يقول علماء الاجتماع إن حقائق اليوم هى أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان، بل هى محور تقدم الإنسانية وتدرجها مدارج الكمال، فمن ذا الذى كان يصدق أن يصل العلماء إلى ما وصلوا إليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين، بل إن أساطين العلم أنفسهم أنكروها لأول عهدهم بها، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان، والمثل على ذلك كثيرة، وهى من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الإطالة بذكرها» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

الدلالة الثانية: الدلالة التاريخية:

يقول الأستاذ البنا فى هذه الدلالة:

«إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبتغى ضرب من المحال. ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح.

ومن ذا الذى كان يصدق أن الجزيرة العربية وهى تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحى والسياسى على أعظم دول العالم؟. ومن ذا الذى كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك

القلب الرقيق اللين، وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره فى أمرهم، يستطيع أن يخرج فى يوم واحد أحد عشر جيشًا تقمع العصاة وتقيم المعوج، وتؤدب الطاغى وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله فى الزكاة من المانعين؟ ومن ذا الذى كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بنى على والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك القوى الواسع؟ ومن ذا الذى كان يظن أن صلاح الدين الأيوبى يقف الأعوام الطوال، فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين؟ ومن كان يظن أن الملك عبد العزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً؟ ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألمانى (هتلر) يصل إلى ما وصل إليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية؟» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

وقس على ذلك النهضة اليابانية والصينية والهندية وكل الأجنة النهضوية المعاصرة كشواهد على هذه الحقيقة البسيطة.

الدلالة الثالثة: الدلالة المنطقية:

وعن هذه الدلالة، يقول الأستاذ البنا متأملاً:

«وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها، وتوجهان قلب الغيور إلى العمل توجيهًا قويًا صحيحًا.

– أولاهما: إن هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها فى بناء النهضات بناء صحيحًا، وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية.

– وثانيتهما: أن العامل يعمل لأداء الواجب أولاً، ثم للأجر الأخروى ثانيًا، ثم للإفادة ثالثًا، وهو إن عمل فقد أدى الواجب، وفاز بثواب الله، ما فى ذلك من شك، متى توافرت شروطه؛ وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتى فرصة لم تكن فى حسابه تجعل عمله يأتى بأبرك الثمرات، على حين أنه إذا قعد عن العمل فقد لزمه إثم التقصير، وضاع منه أجر الجهاد، وحرم الإفادة قطعًا. فأى الفريقين خير مقامًا وأحسن نديا؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى صراحة ووضوح فى الآية الكريمة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا

شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾

[الأعراف: ١٦٤ - ١٦٥] (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

الدلالة الرابعة: الدلالة الدينية:

وفى النصوص والبشائر والتطمينات الربانية ما يقطع شك المشككين فى إمكانية النهضة. وحديث البنا فى مثل هذه الشواهد كثيرٌ، ولكن نسوق هنا شاهداً من شواهده وهو قصة موسى عليه السلام، حيث يشير عرض الأستاذ البنا لهذه القصة القرآنية على قدرته التجريدية فى التوصيف المبسط. إذ يقول عن مراحل الصراع:

١- مرحلة الضعف والاستضعاف:

﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٣ - ٦].

٢- مرحلة الزعامة المؤهلة:

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٧) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢٠) فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦-٢١]

٣- مرحلة الصراع والتدافع:

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧) قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[الأعراف: ١٢٧، ١٢٨]

٤- مرحلة الإيمان والتحدى:

﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ٧٢ - ٧٣]

٥- مرحلة الانتصار والنجاح:

فإذا رأينا كل ذلك، رأينا عاقبته فى القسم الخامس وما أدراك ما هى؟ فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المهضومين، وأمل يتحقق للحالمين، وصيحة الحق المبين تدوى فى آفاق الأرض:

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ ﴾ [طه: ٨٠] (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

وعلى ذلك:

فالأدلة الاجتماعية

والأدلة التاريخية

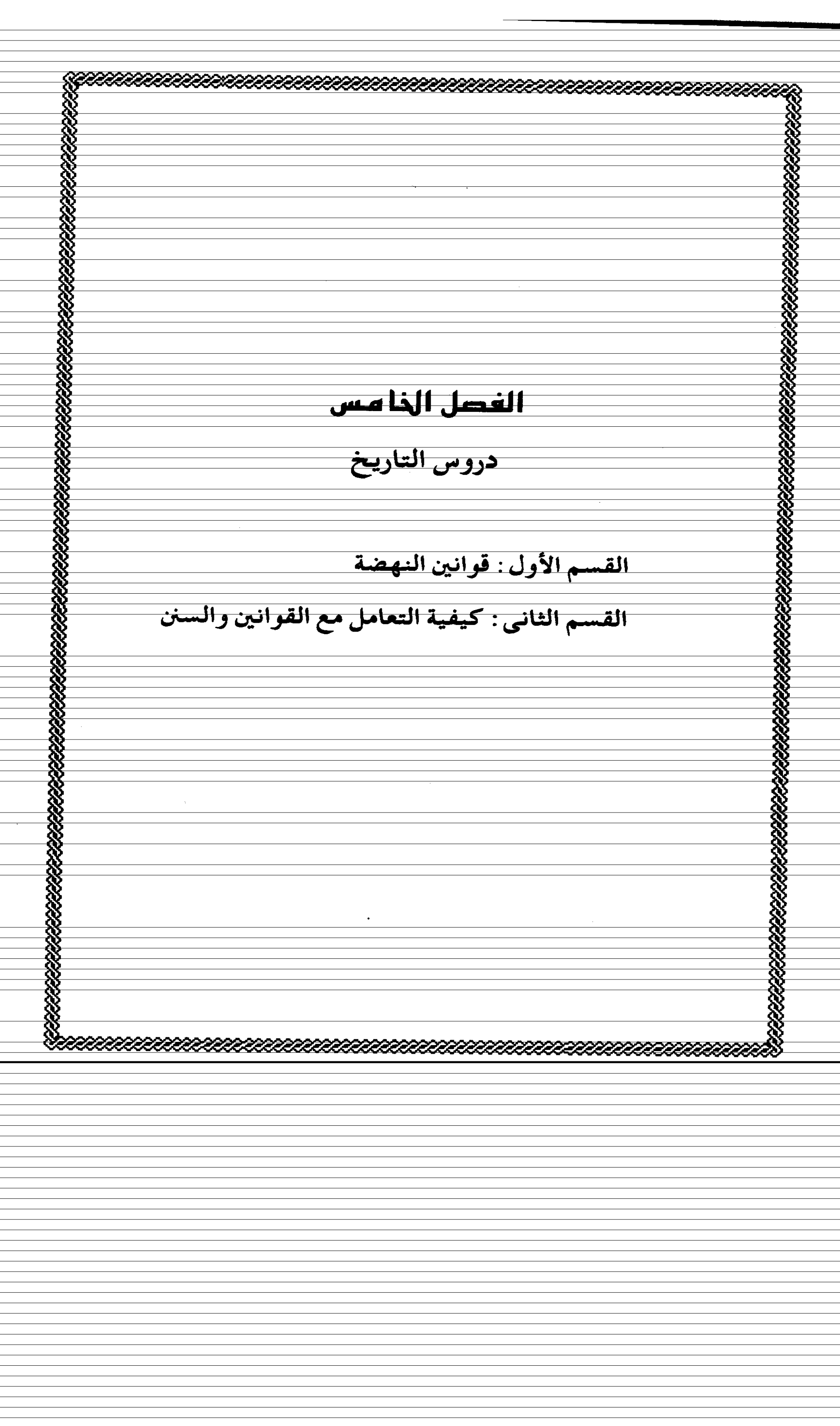
والأدلة المنطقية

والأدلة الدينية

تؤكد إمكانية النهوض والانطلاق.

والسؤال الذى يطرح نفسه بعد هذا التأكيد هو: إذا كانت النهضة ممكنة، ما القوانين والقواعد التى تحكم عملية النهضة؟ هذا هو موضوع الفصل التالى.

* * *



الفصل الخامس

دروس التاريخ

القسم الأول : قوانين النهضة

القسم الثانى : كيفية التعامل مع القوانين والسنن

القسم الأول

قوانين النهضة

لما كانت النهضة ممكنة بدلالات وبشارات عديدة من مشاهد علم الاجتماع، والتجربة التاريخية المتكررة، والمنطق المجرد، والنص القرآنى الكريم، دعونا نتساءل بعد ذلك عن ماهية القوانين أو السنن الحاكمة لعملية النهضة.

ويبدو لنا من خلال هذه السياحة فى فكر الأستاذ البنا أن الأستاذ ومن خلال دراسته العميقة للتاريخ واستيعابه الدقيق للواقع واستشرافه للمستقبل، بالإضافة إلى ثقافته الشرعية والإنسانية الشاملة، كل ذلك مكنه من استخلاص مجموعة من القوانين والدروس التاريخية والاجتماعية التى تعمل وفق السنن الإلهية فى الأفراد والجماعات والأمم. ومن خلال تأملنا فى فكره ندرك أن هناك مجموعة من القوانين التى ينبغى عدم إغفالها ونحن نستعد للنهوض بهذه الأمة من جديد، وأهمها القوانين التالية:

١- الفكرة المركزية.

٢ - قانون القوة الدافعة.

٣- قانون التغيير الذاتى.

٤- قانون الانطلاق والبدء.

٥ - قانون نجاح الأفكار.

٦ - قانون إعداد الرجال.

٧ - قانون المتطلبات الأولية للنهضة.

٨ - قانون مقياس العمل الدعوى.

٩ - قانون التدافع الإنسانى.

١٠- الاستشراف والفرصة.

١١- قانون التداول والاستبدال الحضارى.

١٢- قانون الدعائم السبعة للنهضة.

ولنتناول كل قانون من هذه القوانين، أو درس من هذه الدروس بشيء، من التفصيل من خلال فكر الأستاذ البنا، فيما يلى:

القانون الأول: الفكرة المركزية

يقول الأستاذ البنا:

«يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمداً ﷺ ورضى لهم الإسلام ديناً، وضع فى هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(إلى أى شيء ندعو الناس ص ٤٦)

القانون الثانى: القوة الدافعة (المكنة النفسية)

وفى هذا يشدد الأستاذ البنا فيقول:

«وينظر الناس فى الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية، ويهملون كثيراً النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التى هى فى الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها. وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارها. إن من وراء المظاهر جميعًا فى كل دعوة روحًا دافعة، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له فى دعوتنا، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة. فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح فى النواحى العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز فى النفوس هذه الفكرة.

نحن نريد نفوسًا حية قوية فتية، قلوبًا جديدة خفاقة، مشاعر غيورة ملتهبة متأججة، أرواحًا طموحة متطلعة متوثبة، تتخيل مثلاً عليًا، وأهدافًا سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها، ولابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل، ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً ولا تحتمل شكًا ولا ريبًا. وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه فى البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه، فما حدود الأهداف وما منتهاها؟! (دعوتنا فى طور جديد).

لنقف بين يدى الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين رسولنا ﷺ، لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد.. إن النبى ﷺ قذف فى قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة، فأشرقت بها وانطبعت عليها. هذه المشاعر هى:

الشعور الأول: الإيمان بعظمة الرسالة

قذف النبى ﷺ فى قلوب صحابته أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين، وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتًا فى النفس وتمسكًا فى القلب. إذ تلا عليهم قول الحق تبارك وتعالى:

- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].
- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨].
- ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

الشعور الثانى: الاعتزاز باعتناقها

وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق ومادامـوا حـملة رسالة النور وغيرهم يتخبط فى الظلام، ومادام بين يديهم هدى السماء لإرشاد الأرض، فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس... وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده وضوحاً، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحى السماء:

- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].
- ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

الشعور الثالث: الأمل فى تأييد الله إياها

وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوذهم النصير، وهو معهم أينما كانوا. وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزّل عليهم المدد من جند السماء، وأخذوا يقرأونهذه المعانى واضحة فى كتاب الله:

- ﴿ إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

● ﴿ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] .

● ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] .

● ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة : ٢١] .

● ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] .

● ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال : ١٢] .

● ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم : ٤٧] .

● ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥] (دعوتنا فى طور جديد) .

إن تركيب المكنة النفسية، وإيجاد الكتلة الحرجة من المشاعر فى كل أمة هو فن استراتيجى، ولنا أن نسأل كيف نجح الغرب فى تركيب هذه المكنة لشعوبه المهزومة طوال عشرة قرون؟

وكيف نجح اليابانيون والألمان والصينيون واليهود فى فعل ذلك، وكيف نزعت المكنة النفسية من أمتنا بعد أن اجتاحت وتقدمت الأمم قبلها حتى منتصف القرن السادس عشر؟؟ ذلك سؤال فى غاية الخطورة والأهمية، ونسوقه لكل المهتمين بعملية النهضة، ولكل المثبطين من أبناء هذه الأمة الداعين للارتهان للغرب اليوم.

ولكن، لنعود.. ونؤكد أن من أهم شروط وقوانين قيام نهضة مستدامة هو بالقطع القوة الدافعة أو المكنة النفسية، كما حددها بوضوح الأستاذ البنا.

القانون الثالث : التغيير الذاتى

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] وفى هذا، يقرر الأستاذ البنا أن :

> «هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] وهو أيضا القانون الذى عبر عنه النبى ﷺ فى الحديث الشريف الذى رواه

أبو داود: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت).

أو لست تراه ﷺ قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهن نفوسها وضعف قلوبها، وخلاء افئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة، وإن كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها. وإن الأمة إذا رتعت فى النعيم وأنست بالترف وغرقت فى أعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة فى سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

إن المطلوب هو تغيير إيجابى فى عالم الأفكار وعالم المشاعر وعالم النظم والعلاقات، أى عالم النفوس، ليتغير من حولنا عالم الأشياء، تلك هى الحقيقة الثالثة.

القانون الرابع: مستلزمات الانطلاق والبدء

ويحدد الأستاذ البنا مستلزمات مشروع النهضة بقوله:

«إن تكوين الأمم وتربية الشعوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبادئ تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور:

١- إرادة قوية لا يتطرق إليها ضعف.

٢- وفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر.

٣- تضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل.

٤- معرفة بالمبدأ والإيمان به وتقدير له يعصم من الخطأ فيه، والانحراف عنه والمساومة عليه، والخديعة بغيره.

على هذه الأركان الأولية التى هى من خصوص النفوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكون

الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً.

وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الإصلاح فيه، فهو شعب عابث مسكين، لا يصل إلى خير ولا يحقق أملاً. وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والأوهام: (إن الظن لا يغنى من الحق شيئًا)» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

وهنا تأتى نقطة البدء الصحيحة فى الحالة النفسية الصحيحة. وكل أمة تهزم نفسيًا فقد كتبت على نفسها الذل والضياع. إن جهودنا الأساسية ابتداء يجب أن ترتكز على البعث النفسى والمعرفى. والأمة التى تحس بذاتها وقدراتها عن يقين، وتمتلك المعرفة بالطريق للنصر لا يمكن أن يخطاها قانون العدل الإلهى.

القانون الخامس: مقومات نجاح الأفكار (الشباب)

ولنجاح المشروع، ركز الأستاذ البنا بحق، على العمود الفقرى لإحداث النهضة وهم الشباب. وأكد على الخصائص الأربعة اللصيقة بالشباب، والكفيلة بإحداث نهضة قوية مستدامة، وفى ذلك يقول:

«إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها، وتوفر الإخلاص فى سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة:

١- الإيمان.

٢- والإخلاص.

٣- والحماسة.

٤- والعمل

من خصائص الشباب. لأن أساس الإيمان القلب الذكى، وأساس الإخلاص الفؤاد النقى، وأساس الحماسة الشعور القوى، وأساس العمل العزم الفتى، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا فى كل أمة عماد نهضتها، وفى كل نهضة سر قوتها، وفى كل فكرة حامل رايتها، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] (رسالة إلى الشباب).

ويترتب على ذلك أن تهتم الأمة التى تريد النهوض : بغرس فكرة النهضة، والعمل لها، فى الشباب فهم الجينات الاجتماعية الرئيسة التى تحمل هذه المواصفات أكثر من غيرها.

القانون السادس : إعداد الرجال

« إنها (أى الأمم المجاهدة) فى مسيس الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة، حتى يصمدوا لما يقف فى طريقهم من عقبات ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب.

يقول الأستاذ البنا عن المقياس الحقيقى للنهضة، والمؤشر الأساسى لقوة الأمم :

«إن الرجل سر حياة الأمم ونهضتها، وإن تاريخ الأمم جميعًا إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات. وإن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها فى إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

وعلى ذلك، تخرج قضية التربية لتحتل قلب العملية النهضوية، وتنتقل من شأن محلى لقضية وجود للأمة والمجتمع.

القانون السابع : المتطلبات الأولية للنهضة

يقول الأستاذ البنا :

«أنت إذا راجعت تاريخ النهضات فى الأمم المختلفة شرقية وغربية قديمًا، وحديثًا رأيت أن القائمين بكل نهضة موفقة نجحت وأثمرت كان لهم منهاج محدد عليه يعملون، وهدف محدد إليه يقصدون، وضعه الداعون إلى النهوض وعملوا على تحقيقه ما امتد بهم الأجل وأمكنهم العمل، حتى إذا حيل بينهم وبينه وانتهت بهم تلك الفترة القصيرة فترة الحياة فى هذه الدنيا، خلفهم من قومهم غيرهم يعملون على منهاجهم ويبدءون من حيث انتهى أولئك، لا يقطعون ما وصلوا ولا يهدمون ما بنوا ولا ينقضون ما أسسوا وشادوا ولا يخربون ما عمروا. فإما زادوا عمل أسلافهم تحسينًا أو مكنوا نتائجه تمكينًا. وإما تبعوهم

على آثارهم فزادوا البناء طبقة وساروا بالأمة شوطًا إلى الغاية حيث يصلون بها إلى ما تبتغى. أو ينصرفون راشدين ويخلفهم غيرهم وهكذا دواليك حتى تحقق الآمال وتصدق الأحلام ويتم النهوض ويثمر الجهاد وتصل الأمة إلى ما إليه قصدت وله عملت ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] (رسالة هل نحن قوم عمليون).

وعليه، فمتطلبات النهضة تتمثل فيما يلى:

١- هدف محدد.

٢- منهاج محدد للوصول إلى الهدف المبتغى.

٣- داعين يعملون لتطبيق المنهاج.

٤- أتباع يعملون وفقًا للمنهاج ويواصلون البناء.

وهنا، يركز الأستاذ البنا على قضية أساسية يجب أن تصح عند الاضطلاع بمشروع النهضة، وأن تحيا فى عملية التنفيذ، وهى وضوح الهدف والمنهاج وتجميع طاقات العاملين للنهضة، ثم تتابع أداء الأجيال من حيث انتهى من سبقوهم، أى عملية «التواصل»، بدلاً من البدء من الصفر فى كل مرة، وفى هذا ضياع للجهد وهدر للإمكانية وتخبط فى التنفيذ وصعوبة متزايدة فى تحقيق المشروع.

القانون الثامن: مقياس العمل الدعوى

استنتج الأستاذ البنا قانونًا حدد فيه مقياسًا ومؤشرًا جيدًا يستدل به على نتيجة الجهد والعمل المبذول لدعاة النهضة ورجالاتها:

«إن الغاية الأخيرة، والنتيجة الكاملة، لا تتحقق إلا بعد:

١- عموم الدعاية (الرأى العام).

٢- وكثرة الأنصار (شبكة العلاقات).

٣- ومتانة التكوين (بناء المؤسسات). (رسالة المؤتمر الخامس)

وعليه، فحركة النهضة تحتاج إلى كل شرائح الأمة لكى تشترك فى هذا المشروع

الفارق بين الحياة والموت، على أساس من الانتشار وإقامة العلاقات والبناء المؤسسى.

القانون التاسع: التدافع الإنسانى:

- ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [الحج: ٤٠].
- ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].
- ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٧].
- ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الشورى: ٢٤].
- ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

يقول الأستاذ البنا:

ولقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ فى هذا الجيل الذى تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع البقاء أشد التنازع، وتكون الغلبة دائمًا للقوى السابق. وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضى ونتجرع مرارتها وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا».

«كذلك شاءت لنا ظروفنا أن نواجه كل ذلك وأن نعمل على إنقاذ الأمة من الخطر المحدق بها من كل ناحية. وإن الأمة التى تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة كمهمتنا، وتواجه واجبات كتلك التي نواجهها، لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأماني، وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، وصراع قوى شديد بين الحق والباطل وبين النافع والضار، وبين صاحب الحق وغاصبه، وسالك الطريق وناكبه، وبين المخلصين الغيورين والأدعياء المزيفين، وإن عليها أن تعلم أن الجهاد من الجهد والجهد هو التعب والعناء وليس مع الجهاد راحة حتى يضع النضال أوزاره وعند الصباح يحمد القوم السرى» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

ولا يوجد حراك ونهضة من غير فعل ومواجهة وتدافع وصراع وكفاح وجهاد، هذا الحشد من الكلمات يشهد له التاريخ كما يؤكده الحاضر. فإذا قررت الأمة أن تنهض فلا خيار أمامها إلا أن تحشد طاقاتها فى المواجهة. تلك هى الحقيقة الثانية التى يسوقها الأستاذ البنا.

القانون العاشر : قانون الاستشراف والفرصة

يقول الأستاذ البنا :

«إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينتظر دعوتكم؛ دعوة الهداية، والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام. وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وترجون من الله ما لا يرجون، فاستعدوا واعملوا....» (رسالة المؤتمر الخامس).

هذه هى الدروس أو القوانين التى تحكم – وفقًا لفكر الأستاذ البنا – عملية النهضة، وتوفر – بعون الله وتوفيقه – مقومات نجاح مشروعها، ومن ثم إقامة مجتمع نهضوى يتمتع بالحياة الطيبة الكريمة، وينعم بتقدم وتنمية مستدامة.

القانون الحادى عشر : التداول والاستبدال الحضارى

يقول الأستاذ البنا :

«اعلم وتعلم أن مثل الأمم فى قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء.. وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة: معرفة موطن الداء، والصبر على آلام العلاج، والطبيب الذى يتولى العلاج» وهذا مصداق لقول الله فى سورة آل عمران: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٧–١٤١] (رسالة دعوتنا).

ونحن نقول إن قانون التداول يسرى على الجميع، فكل من فاته قطار اليوم يجب أن يعد العدة لقطار الغد، فهو قادم لا محالة. والعبرة بالاستعداد والفعل الإنسانى، والأخذ بالأسباب، ومن ثم التوكل على الله.

إن القرآن الكريم يطرح فى هذا المقطع التاريخى ذى المغزى العميق، والذى ترد فيه كلمات ذات علاقة عضوية بالمسألة مثل: سنن، مداولة، تمحيص، قاعدة أساسية فى موقفه إزاء الدول والتجارب البشرية والحضارات، إنه يقرر منذ البدء عدم ديمومة أى من هذه المعطيات، ولا يستثنى الإسلام والمسلمين. وقد قال الله تعالى فى الآية «بين الناس» بمعنى عموم هذا «القانون» أو «السنة» التى لا محيص عنها، والتى تقوم بلا ريب على أسبابها ومقدماتها فى صميم الفعل الإنسانى نفسه، حيث توحى هذه المداولة بالحركة الدائمة وبالتجديد وبالأمل البشرى الذى يرفض السكون، ويرغب فى الانطلاق نحو الفعل الحضارى الإيجابى الذى يمكنه من استعادة ذاتيته الحضارية.

إن الإسلام يعترف بسقوط الدول والحضارات، عندما تتكاثف الأمراض الحضارية فى شكل ظاهرة يطلق عليها القرآن الكريم: «الاستبدال» أو «الاستخلاف». وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ [يونس: ١٤].

إن أمتنا تقف على مفترق الطريق، وهى إذا تجذر عندها الوعى بهذا القانون، فيبقى أن تعد العدة وترتب أوراقها لتأخذ دورها.

القانون الثانى عشر: الدعائم السبعة للنهضة

يقول الأستاذ البنا:

> **«ليس فى الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الإسلام بذلك كله أممه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة، وضرب الأمثال فيها بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى، وعالج هذه النواحى علاجًا دقيقًا واضحًا، لا تأخذ به أمة حتى تصل إلى ما تريد»** (رسالة نحو النور).

فالإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة، وفقًا لتحليل الأستاذ البنا، بالدعائم أو عناصر القوة التالية:

١- الأمل الواسع الفسيح.

٢- الاعتزاز بالقومية والتاريخ المجيد.

٣- القوة والاستعداد والجندية.

٤- العلم الغزير (علم الدنيا وعلم الدين).

٥- الخلق الفاضل القوى المتين، والنفس العالية الطموح.

٦- المال والاقتصاد.

٧- نظم للفرد والأسرة والأمة والشعب والحكومة والعلاقات بين الأمم.

ولقد فصل الأستاذ البنا هذه العناصر تفصيلاً دقيقًا فى رسالة نحو النور، ونجمل ما قدمه فيما يلى:

الدعامة الأولى: الأمل الواسع الفسيح: (الأمل)

يقول الأستاذ البنا إن الأمة الناهضة تحتاج إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمد القرآن أممه بهذا الشعور بأسلوب يخرج من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً إلى الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال. ولنقرأ قوله تعالى:

- ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥ - ٦].
- ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي

قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾
[الحشر: ٢].

● ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾
[البقرة: ٢١٤].

الدعامة الثانية: الاعتزاز بالقومية والتاريخ المجيد: (العزة)

ويقرر الأستاذ البنا أن الامم الناهضة تحتاج إلى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها، حتى تنطبع الصورة فى نفوس الأبناء، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم، ويعملون لخير هذا الوطن واعزازه وإسعاده، ولنقرأ قوله تعالى:

● ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

● ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾
[البقرة: ١٤٣].

● ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

الدعامة الثالثة: القوة والاستعداد والجندية: (القوة)

ويؤكد الأستاذ البنا حاجة الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولا سيما فى هذه العصور التى لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتى صار شعار أبنائها جميعاً:

«القوة أضمن طريق لإحقاق الحق»، ولنقرأ قوله تعالى:

● ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾
[الأنفال: ٦٠].

- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦].
- ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ﴾ [النساء : ٧٤].
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤].

الدعامة الرابعة : العلم الغزير (علم الدنيا وعلم الدين) : (العلم)

ويرى الأستاذ البنا، بحق، أنه كما تحتاج الأمم إلى القوة تحتاج كذلك إلى العلم الذى يوازن هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات . ولنقرأ قوله تعالى :

- ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ - ٥].
- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ [الزمر : ٩].
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر : ٢٧ - ٢٨].

الدعامة الخامسة : الخلق الفاضل والنفس الطموح : (الخلق)

ويشدد الأستاذ البنا على حقيقة أن الأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق الفاضل القوى المتين، والنفس الكبيرة العالية الطموح، إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد - عصر النهضة - ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة النابعة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكبيرة والاحتمال البالغ . ولنقرأ قوله تعالى :

- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩ - ١٠].

- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ١١] .
- ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٢٣ - ٢٤] .

الدعامة السادسة : المال والاقتصاد : (المال)

ويبرز الأستاذ البنا مدى أهمية المال والاقتصاد فى نهضة الأمم، فيقول إن الأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهى أهم الشئون فى هذا العصر. ولنقرأ قوله تعالى :

- ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء : ٥] .

ولنعم قول رسولنا (ﷺ) :

- **« نعم المال الصالح للرجل الصالح » (حديث شريف) .**

الدعامة السابعة : نظم للفرد والأسرة والأمة والشعب والحكومة والعلاقات بين الأمم : (النظم)

وأخيراً، أكد الأستاذ البنا أنه بجانب الدعائم السابقة والخاصة بنهضة الأمم مباشرةً، فإن الإسلام قد قدم نظماً على كافة المستويات من الفرد حتى المجتمع الدولى لإقامة المجتمع السوى الناهض المتقدم. وفى ذلك يقول الأستاذ البنا :

> **«هذه ناحيـة واحـدة من نواحي الجمـال في بعض النظم الإسلاميـة وهى النظم الخاصة بنهضة الأمم، على اعتبار أننا نستقبل عهد النهضة، أما كل نواحى الجمال فى كل النظم الإسلاميـة فذلك مـا يحتـاج إلى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الأطراف، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الإجمال وهى : أن نظم الإسلام فيمـا يتعلق بالفرد أو الأسرة أو الأمة حكومتها وشعبها، أو صلة الأمم بعضها ببعض، نظم الإسلام فى ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها، وأنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثًا أو قديمًا. هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق فى كل مظاهر حياة الأمة»** (رسالة نحو النور) .

إن كل مفردة من هذه المفردات السبعة تحتاج إلى البحث والتدقيق والنظر. وقد وضع الأستاذ البنا ثلاثية الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة في قلب هذه السباعية كمحرك أساسي لعملية النهضة. وكل عامل للنهضة يجب أن يدقق في مفهوم الخلق الفاضل ومفهوم العلم الغزير ومفهوم القوة السابغة سواء على مستوى حركة التجمعات والهيئات أو على مستوى الأمة والمجتمع ككل.

* * *

القسم الثانى

كيفية التعامل مع القوانين والسنن؟

إن أول شروط التعامل المنهجى السليم مع السنن الإلهية والقوانين الكونية فى الأفراد والمجتمعات والأمم، هو أن نفهم أو نفقه فقهًا شاملاً رشيداً هذه السنن.

وكيف تعمل ضمن الناموس الإلهى أو ما نعبر عنه بـ «فقه السنن»، ونستنبط منها على ضوء فقهنا لها القوانين الاجتماعية والمعادلات الحضارية.

يقول الأستاذ البنا فى تحديد منهجية التعامل مع السنن:

«لا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر. وما هى منكم ببعيد» (رسالة المؤتمر الخامس)

وعليه، يرى الأستاذ البنا أن منهجية التعامل مع السنن، تتطلب العناصر المحددة التالية :–

١ – عدم المصادمة.

٢ – المغالبة.

٣ – الاستخدام.

٤ – التحويل.

٥ – الاستعانة ببعضها على بعض.

٦ – ترقب ساعة النصر.

وبعد هذه السياحة فى دراسة التاريخ، ودراسة الواقع والدروس المستفادة والاستعداد للنهوض بالأمة من جديد، يخلص الأستاذ البنا إلى أن هذه المعرفة

والدراسة ليست للتخزين، وإنما للتحريك والدفع، لإقامة مشروع النهضة المبتغاة.
ولنقرأ معاً قوله:

«فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير، والله معكم ولن يتركم أعمالكم»

(رسالة المؤتمر الخامس)

وعليه، فإن انقاذ الأمة يحتاج إلى إعادة إحياء هذا المشروع من جديد، ليتناسب مع حجم الأزمة والمأزق التاريخى الذى تمر به، ويتكافأ مع الدور الجليل الذى أمرها الله به وخصها للقيام بأدائه لكونها الأمة الأفضل إذا تحققت بالشروط، صاحبة الرسالة الخاتمة، والموعودة بالاستخلاف، و المبشرة بالتمكين، والمكلفة بعمارة أرض الله، والمنوطة بالشهادة على الناس.

هذا المشروع – فى تقديرنا – يقوم على ثلاثة أركان أساسية هى:

١– الدعوة (تنظيم الجهود العملية).

٢– الدولة (الكيان السياسى)

وهذا ما سنفصله فى البابين التاليين بإذن الله وحوله وتسديده.

* * *



الباب الثانى

الدعوة لمشروع النهضة

تمهيد : إعادة بعث وإنقاذ

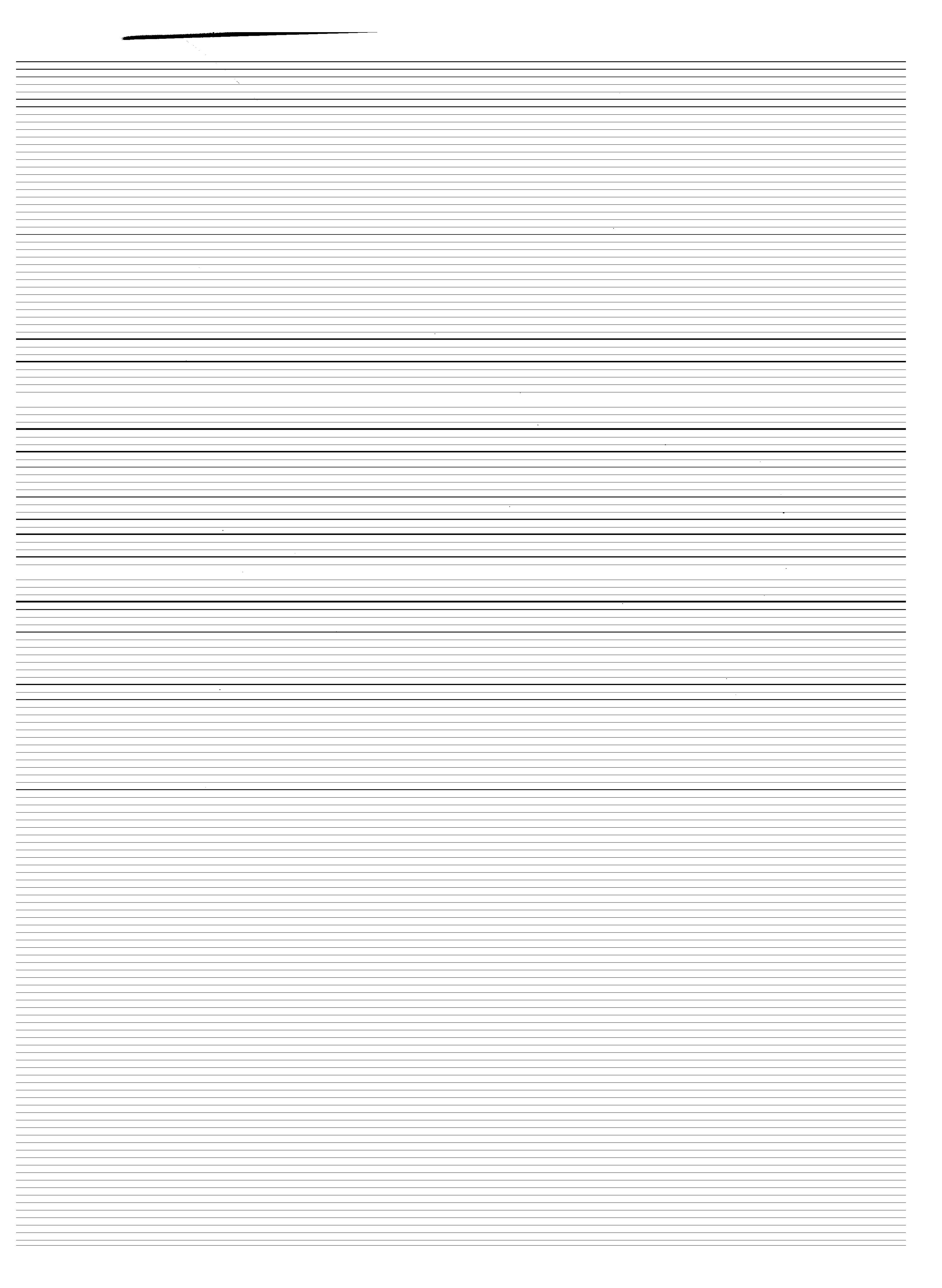
الفصل السادس : أسس الدعوة وخصائصها

الفصل السابع : مرجعية مشروع النهضة

الفصل الثامن : غاية الدعوة

الفصل التاسع : عناصر الدعوة

الفصل العاشر : البناء التربوى للدعوة



تمهيد

دعوة إعادة بعث وإنقاذ

يقول الأستاذ البنا فى رسالته التاريخية «بين الأمس واليوم» واصفًا السياق الذى جاءت فيه دعوة النهضة قائلا :

«ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا فى أرض الإسلام نفسه، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى. ولا عجب فى هذا، فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ، والقوة قوة فيها جميعًا، والضعف ضعف فيها جميعا كذلك ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران : ١٤٠].

وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتى قريبًا ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس : ٥٧ – ٥٨] (رسالة بين الأمس واليوم).

فى ظل المأزق التاريخى للأمة، جاءت دعوة الأستاذ البنا التى نادى بها، محاولاً أن يقدم مشروعه النهضوى الإسلامى، ليخرج الأمة من كبوتها، وينقذها من أزمتها. وكان واضحًا لديه منذ اللحظة الأولى مدى صعوبة هذا العمل، ومدى أهميته التاريخية، وها هو ينادى طلائع الإخوان مثبتًا ما أعتقده من دور لحركته :

« وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠] » (رسالة بين الأمس واليوم) .

* * *

الفصل السادس

أسس وخصائص الدعوة

القسم الأول : الأساس الفكرى

القسم الثانى : الخصائص الفكرية

القسم الثالث : الشرعية التاريخية

القسم الرابع : الامتداد الحضارى

القسم الأول

الأساس الفكرى (الإسلام)

لقد أكد الأستاذ البنا منذ اليوم الأول لدعوته أن مرجعية الدعوة العليا هى «الإسلام»:

«ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات، وننادى بفكرة الإسلام وهى أقوم الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وأن العالم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيئ سبيلها» (رسالة بين الأمس واليوم).

ويفصل ذلك بقوله:

«لقد آمنا إيمانًا لا جدال فيه ولا شك معه، واعتقدنا عقيدةً أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا «فكرة» واحدة هى التى تنقذ البشرية المعذبة، وترشد الإنسانية الحائرة وتهدى الناس إلى سواء السبيل، وهى تستحق أن يضحى فى سبيل إعلانها والتبشير بها وحمل الناس عليها بالأرواح والأموال وكل رخيص وغال، هذه «الفكرة» هى: «الإسلام الحنيف» الذى لا عوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٨ - ١٩].

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفى سبيل إعلاء كلمته تعمل. لا تعدل بالإسلام نظامًا، ولا ترضى سواه

إمامًا، ولا تطيع لغيره أحكامًا: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥]» (رسالة إلى الشباب).

وشدد الأستاذ البنا على الحقيقة الإيمانية بأن كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها وضعها الخالق تبارك وتعالى فى هذا الدين. ولنقرأ قوله:

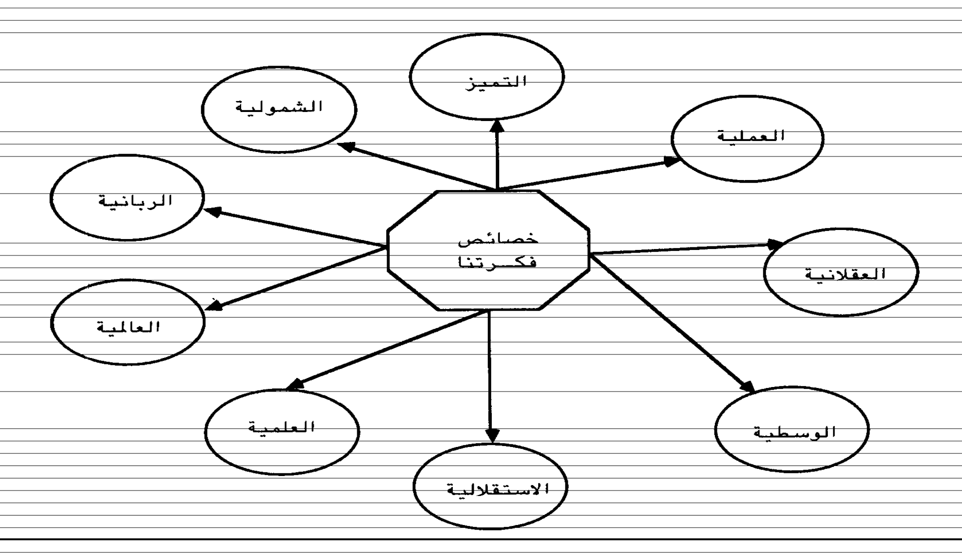
«يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمدًا ﷺ ورضى لهم الإسلام دينًا، وضع فى هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

* * *

القسم الثانى

الخصائص الفكرية

تتميز هذه الدعوة بمجموعة من الخصائص التى تميزها عن غيرها من الدعوات، وهى ليست خصائص شكلية، وإنما تمثل جوهر الفكرة التى يقوم عليها هذا المشروع الحضارى الذى يستنهض بالأمة من جديد. ولهذا، فإن كل خاصية من الخصائص المميزة لهذه الدعوة لها مدلولها على الجوانب المختلفة لحياة المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، إلخ. وتشمل هذه الخصائص تسع خصائص، ذكرها الأستاذ البنا فى أكثر من موقع فى رسائله، نلخصها فى الشكل التالى:



وسنلقى الضوء على هذه الخصائص، من خلال رسائل الأستاذ البنا فيما يلى:

١ - الربانية :

وفي ذلك يقول الأستاذ البنا :

«أما أنها ربانية، فلأن الأساس الذي تدور عليه أهدافنا جميعًا، أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا: «الله غايتنا». فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]. **وهذا في الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التي أوصدها الجمود والمادية في وجوه البشر جميعًا، فلم يستطيعوا إلى حلها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح»** (رسالة دعوتنا في طور جديد).

٢ - العالمية :

وعن هذه الخاصية، يقرر الأستاذ البنا :

«وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس في حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. **فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكننا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بني الإنسان»** (رسالة دعوتنا في طور جديد).

٣ - التميز :

وفي رسالة المؤتمر الخامس، يقرر الأستاذ البنا خاصية التميز فيقول :

«واسمحوا لى أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير (إسلام الإخوان المسلمين)، ولست أعنى به أن للإخوان المسلمين إسلاما جديدا غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ عن ربه، وإنما أعنى أن كثيراً من المسلمين فى كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتاً وأوصافاً وحدوداً ورسوماً من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخداماً ضاراً، مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية، فاختلفوا فى معنى الإسلام اختلافاً عظيماً، وانطبعت للإسلام فى نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذى مثله رسول الله ﷺ وأصحابه خير تمثيل. وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه، فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلاماً صحيحاً» (رسالة المؤتمر الخامس).

٤ - الشمولية:

وفى تحديده لهذه الخاصية، يفصل الأستاذ البنا فيقول:

«كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك، إن الإخوان المسلمين: دعوة سلفية، وطريقة سنية، وحقيقة صوفية، وهيئة سياسية، وجماعة رياضية، ورابطة علمية ثقافية، وشركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية. وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى، وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعاً، ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعاً» (رسالة المؤتمر الخامس).

ويلخص الأستاذ البنا معنى هذه الخاصية بقوله:

«الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهومادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء» (رسالة التعاليم).

ولتأكيد هذه الخاصية فكرًا وسلوكًا لجميع البشر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول الأستاذ البنا:

«... ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين» (رسالة تحت راية القرآن).

٥ - العلمية :

ولتأكيد ضرورة العلم فى مشروع النهضة، يقول الأستاذ البنا:

«كما تحتاج الأمم إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذى يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره، ... وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء، ولازم القرآن بين العلم والقوة فى الآيتين الكريمتين ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٢ - ١٢٣] **... ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعًا، وجمع علوم الكون فى آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته، وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا**

به ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧ - ٢٨] (رسالة نحو النور).

٦ - العقلانية :

وعن هذه الخاصية يقول الأستاذ البنا :

«أيها الأخوان المسلمون : ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها. واستعينوا ببعضها على بعض وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد» (رسالة المؤتمر الخامس).

٧ - الأستقلالية :

وعن هذه الخاصية، يؤكد الأستاذ البنا بأنها :

«دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين ويكون من المخلفين ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته قومًا آخرين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٥٤] (رسالة دعوتنا).

٨ - العملية :

وعن صفة « العملية »، يحدد الأستاذ البنا أسبابها الرئيسة فيقول :

«وأما إيثار الناحية العملية على الدعاية والإعلانات، فقد أثارها فى نفس الإخوان ودعا إليها فى مناهجهم أمور: منها ما جاء فى الإسلام خاصًا بهذه الناحية بالذات، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء

فيسرع إليها التلف والفساد، والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد فى إذاعة الخير، والأمر به والمسارعة إلى إعلانه ليتعدى نفسه، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق. ومنها نفور الإخوان الطبيعى من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج الذى ليس من ورائه عمل. ومنها ما كان يخشاه الإخوان من معاجلة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة ينتج عن كليهما تعويق فى السير أو تعطيل عن الغاية» (رسالة المؤتمر الخامس).

٩ - الوسطية :

وعن هذه الخاصية يقرر الأستاذ البنا ضرورتها للمشروع الإسلامى فيقول:

«هذا الإسلام الذى بنى على المزاج المعتدل والإنصاف البالغ، . . . ، والمسلمون اليوم بحاجة أكيدة لهذه الخاصية، تمكنهم من تقديم فكرتهم ومشروعهم الإسلامى كنموذج حضارى بديل للبشرية كلها يكون شاهداً عليها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] (رسالة نحو النور).

من هذا العرض المختصر لأساس الدعوة وخصائصها الفكرية، يتضح لنا جليًا أن أساس دعوتنا بعامة، ومشروعنا النهضوى بخاصة، والخصائص الفكرية التى يتصفان بها.. تنبثق جملةً وتفصيلاً، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، من إسلامنا العظيم كدين ونظام حياة شامل وكامل.

* * *

القسم الثالث

الشرعية التاريخية

ونعرض لها فى بندين:

البند الأول: نهج الدعوة الأولى

إن مفهوم الشرعية «لمشروع النهضة» ينبثق من تعاليم الإسلام وقواعده، وتتأسس مشروعيته على دروس الدعوة الأولى. وعليه، فمشروع النهضة يعد امتداداً طبيعياً لنهضة الرعيل الأول، يهتدى بنورها، ويقتدى بسيرتها، ويعى دروسها، ويترسم خطواتها. وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى، ونحاول أن تكون هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقياً لتلك الدعوة السابقة التى هتف بها الرسول ﷺ فى بطحاء مكة قبل ألف ومئات من السنين، فما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة، الزاهى بجلال الوحى، لنقف بين يدى الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين، لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

ويستطرد الأستاذ البنا فى تفصيل الدعوة الأولى قائلاً:

«وكانت تلك الدعوة الجامعة حداً فاصلاً فى الكون كله، بين ماضٍ مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلاناً واضحاً مبيناً لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة» (رسالة بين الأمس واليوم).

البند الثاني : انتعاش الفكرة الإسلامية

ولعله من المناسب أن نستعرض الأطوار التاريخية التى مرت بها الأمة الإسلامية – بإيجاز– كي يتضح السياق التاريخي الذى جاءت فيه الدعوة؛ لندرك جذورها التاريخية وامتدادها الطبيعي، مع العلم أننا أشرنا بشيء من التفصيل إلى ذلك فى الباب الأول. وهذه الأطوار هى :

١ – إعلان ميلاد الدعوة الجامعة (الدعوة)

٢ – قيام الدعوة الإسلامية الأولى (الدولة)

٣ – بداية التحلل فى كيان الدولة (التحلل)

٤ – الصراع والتدافع السياسى (التدافع السياسى)

٥ – الصراع والتدافع الاجتماعى (التدافع الاجتماعى)

٦ – انتصار المشروع الغربى على المشروع الإسلامى (الهيمنة الغربية)

٧ – ظهور دعوة البعث والإنقاذ من جديد. (إعادة البعث)

ويحدد الأستاذ البنا طور انتعاش الفكرة الإسلامية بعد العدوان السياسى على الأمة، فيقول :

«وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهم أحكامه وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتى قريبًا ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رؤوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧ – ٥٨]»

(رسالة بين الأمس واليوم).

ثم يوضح أن التركة التى ورثها الإخوان مثقلة بالتبعات. وفى ذلك يقول:

«وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام، وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهارشريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]» (رسالة بين الأمس واليوم).

وأخيراً، يحدد الأستاذ البنا بوضوح شديد نوعية الدعوة الجديدة كدعوة السلام والإنقاذ، وتوعية الرجال الذين يناصرون هذه الدعوة، فيقول:

«أحب أن تتبينوا جيداً من أنتم فى أهل هذا العصر؟... وما دعوتكم بين الدعوات.. وأية جماعة جماعتكم.. ولأى معنى جمع الله بينكم ووحد قلوبكم ووجهتكم، وأظهر فكرتكم فى هذا الوقت العصيب الذى تتلهف فيه الدنيا إلى دعوة السلام والإنقاذ؟ فاذكروا جيداً أيها الإخوة.. أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وأنكم العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل فى وقت التبس عليها فيه الحق بالباطل، وأنكم دعاة الإسلام، وحملة القرآن وصلة الأرض بالسماء، وورثة محمد ﷺ وخلفاء صحابته من بعده. وبهذا فضلت دعوتكم الدعوات، وسمت غايتكم على الغايات، واستندتم إلى ركن شديد، واستمسكتم بعروة وثقى لا انفصام لها، وأخذتم بنور مبين وقد التبست على الناس المسالك فضلوا سواء السبيل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١] (رسالة المؤتمر السادس).

وعليه، تتحرى الدعوة الجديدة لمشروع النهضة نهج الدعوة الأولى، كدعوة إعادة بحث وسلام وإنقاذ بعد ما تعرضت له الأمة من عدوان سياسى. وبالرغم من عظم المسئوليات وثقل التبعات الخاصة بتركة سنوات الركود، فإن الدعوة الجديدة جاءت لإخراج الأمة من جديد من ظلمات البعد عن الإسلام إلى نور إظهاره والأخذ بشريعة الله على أيدى رجال يرجون مناصرة هذه الدعوة والعمل تحت رايتها، لا يعتمدون إلا على الله، ولا يستمدون المعونة والتأييد إلا منه، ولا يرجون إلا ثوابه ولا يبتغون إلا وجهه.

* * *

القسم الرابع

الامتداد الحضارى

ونتناول هذه الخاصية فى البندين التاليين:

البند الأول: ورثة حضارة

إن قضية الأمة اليوم ليست فى الأرض، فطالما ضاعت واستعيدت، ولكنها قضية الحضارة والوجود والشهود. إن العنصر الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى قد يطغى حينًا، ولكن جوهر الصراع هو وجود الأمة الحضارى. وفى هذا يؤكد الأستاذ البنا على أهمية رؤية الصراع فى امتداده الحضارى، والذى أضاءت فيه الأمة ولقرون طويلة مصابيح الهداية، وقدمت للدنيا أعظم نموذج إنسانى فى العدالة والمساواة والحريات والحفاظ على حقوق الإنسان الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ورفعت مكانة العلم والعلماء ووضعتهم فى مصاف الأنبياء، ورفعت من مكانة المرأة وكرامتها وتوجتها ملكة فى اسرتها معززة مكرمة، وقدمت للبشرية أرقى فنون العمارة والمدنية تخطيطًا وتصميمًا وتنفيذًا. وهذا ما أكده الأستاذ البنا فى أكثر من موقع من رسائله، منها:

نحن ورثة حضارة عزيزة غالية

«نحن أمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد. لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية، تغلغلت فى الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب... هذا الإسلام، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته، ميراث عزيز غال علينا... وهذه مشاعرنا لا تهتز لشىء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام. كل ذلك حق، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قويًا عنيفًا بالعلم والمال، وبالسياسة والترف، والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

نحن أصحاب مدنية المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة

«... وبهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها، أحياها الراعى الأول ﷺ فى قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله، وحدد لهم أهدافهم فى هذه الحياة، فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة فى صدورهم أو مصاحفهم، بادية فى أخلاقهم وأعمالهم معتدين بتكريم الله إياهم، واثقين بنصره وتأييده، فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنية المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره» (دعوتنا فى طور جديد).

البند الثاني: الإحياء الحضارى

وهنا يؤكد الأستاذ البنا على حقيقة أننا مبعث المدنيات ومشرقنا مهبط الرسالات فيقول:

نحن مبعث المدنيات ومشرق الحضارات

«ومن جهة أخرى، فإن هذا الشرق الذى وضع فى صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات، وهومفيض ذلك كله على الغرب، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر. ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هى نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان، لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات، ومادام فى الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقًا، ويستظلون بظله الوارف الأمين، ولن يجدوا طريقًا معبدةً إلى ذلك كطريق الإسلام الذى يقول كتابه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ويقول نبيه ﷺ: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منامن مات على عصبية) رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

إحياء الحضارة الإسلامية واجب وضرورة

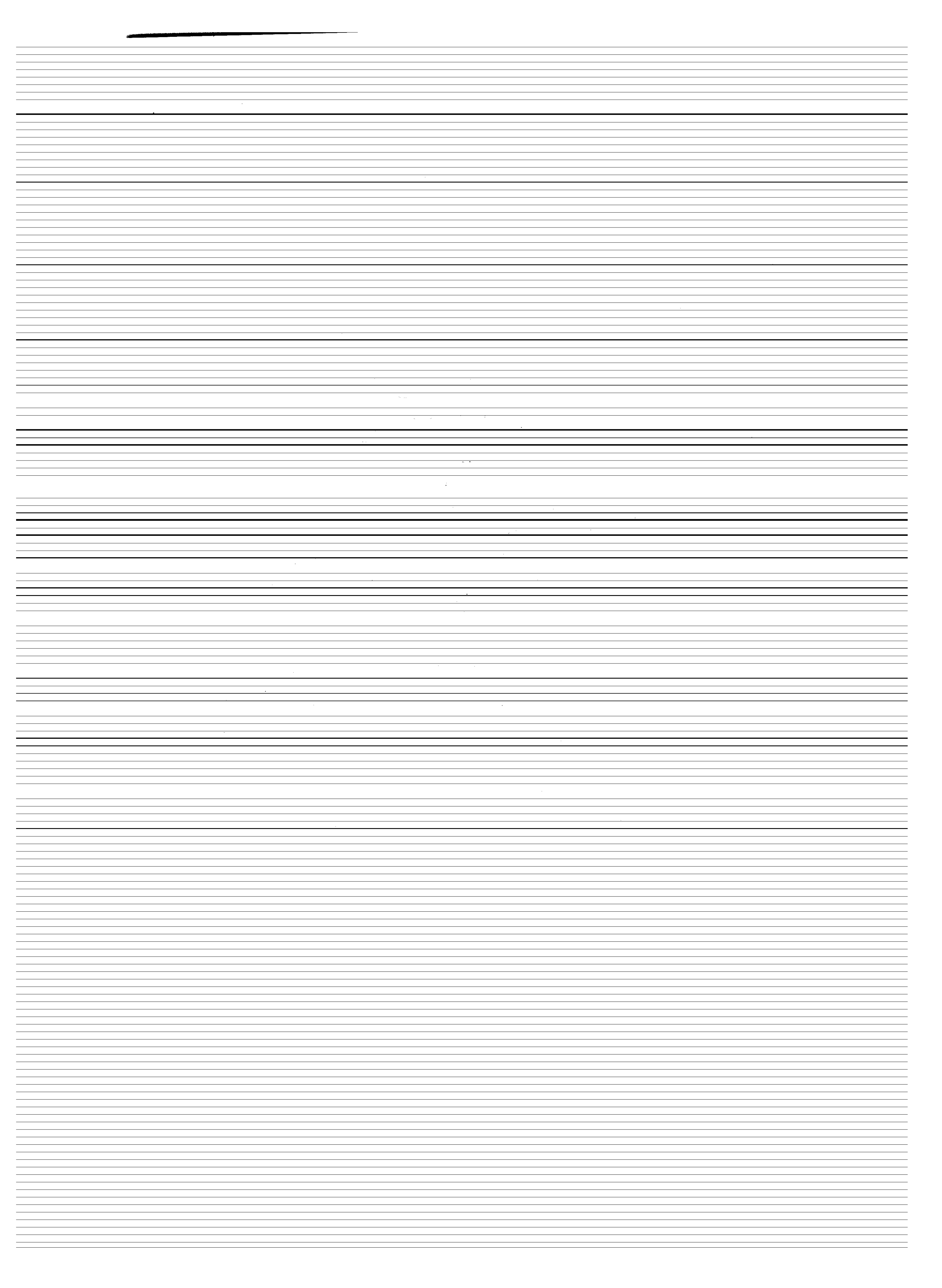
«لقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ فى هذا الجيل الذى تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع البقاء أشد التنازع، وتكون الغلبة دائمًا للقوى السابق. وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضى ونتجرع مرارتها، وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

لن تتوقف حركة البندول الحضارى

«لقد كانت قيادة الدنيا فى وقت ما شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى الشرق مرة ثانية. ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة فكانت سنة الله التى لا تتخلف، وورث الغرب القيادة العالمية، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويتخبط، فلم يبق إلا أن تمتد يد (شرقية) قوية يظللها لواء الله وتخفق على رأسها راية القرآن ويمدها جند الإيمان القوى المتين، فإذا بالدنيا مسلمة هانئه، وإذا بالعوالم كلها هاتفة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. ليس ذلك من الخيال فى شىء، بل هو حكم التاريخ الصادق، إن لم يتحقق ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٥٤]. بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة، ويكتبون فى ديوان هذا الشرف ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨] (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

وعليه، فلنعمل جاهدين من خلال دستورنا (القرآن)، ودليل عملنا (السنة)، والتطبيق الصحيح (السلف الصالح)، لإعادة بعث الحضارة الإسلامية، واستمرار الدفع الحضارى الإسلامى.

* * *



الفصل السابع

مرجعية مشروع النهضة

القسم الأول : المنهج الاعتقادى .

القسم الثانى : المنهج الأصولى .

القسم الثالث : المنهج الفقهى .

القسم الرابع : المنهج العام .

تقديم

إن الإسلام معنى فسيح، اتسع فى الماضى والحاضر لطوائف كثيرة من الناس وشملها باسمه، وشاعت عند الفقهاء والعلماء عبارات من مثل: (واتفقت جميع طوائف الأمة على...)، هذه الطوائف اتفقت واختلفت، وأصابت وأخطأت، ولكن استمرت دوحة الإسلام الوارفة تظللها. ومع ذلك، حمَّلت بعض قضايا الخلاف الأمة أمراضًا فكرية ومفاهيم مغلوطة عكرت صفو الانسجام والألفة، وهددت إمكانية الانطلاق الحضارى، والنهوض من هذه الكبوة الطويلة. ولم يكن فى وسع الأستاذ البنا تجاهل هذه الحقيقة، وإهمال هذا الموضوع الخطير فى فجر النهضة، وبداية الانطلاق. ولذلك تقدم الأستاذ البنا بمشروع جامع إلى الأزهر الشريف حول أهم الموضوعات الشرعية العالقة بين طوائف الأمة، فى محاولة منه لتأسيس أرضية صالحة لانطلاق المشروع الإسلامى النهضوى من حيز اجترار الماضى... إلى آفاق المستقبل المنشود.

المرجعية والمقياس:

وهنا نقدم بمسلمة يتم تجاوزها فى كثير من الحوارات حول المرجعية الكلية لمشروع النهضة. إذ يقرر الأستاذ البنا أن تلك المرجعية لا يجب أن تكون محل خلاف، وهى الإسلام وكتابه الخالد. فكان لزامًا والحال كذلك، أن يتم تحديد المرجعية، إذ أنها بمثابة المصدر الذى يرتكز عليه فى استنباط الأحكام والآراء والمواقف والمبادئ، وذلك للقياس عليها، ثم للانطلاق من أرضية مشتركة فى الفهم والتصور، والإطار هو السور أو الحدود أو الأصول التى نفهم فيها الإسلام كأساس لهذه الدعوة. ولقد أكد الأستاذ البنا على أن الإطار المرجعى أو بمعنى آخر المقياس الذى نرجع إليه هو القرآن الكريم، وذلك بقوله:

> **«أحب أن أحدد المقياس الذى نقيس به هذا التوضيح، وسأجتهد فى أن يكون القول سهلاً ميسوراً، لا يتعذر فهمه على قارئ يحب أن يستفيد،**

وأظن أن أحدًا من الأمة الإسلامية جميعًا لا يخالفنى فى أن يكون هذا المقياس (كتاب الله) نستقى من فيضه ونستمد من بحره ونرجع إلى حكمه» (إلى أى شيء ندعو الناس).

ولتفصيل هذا الفهم العميق لمرجعية الدعوة ومقياسها حدد الأستاذ البنا أصول الفهم.

أصول الفهم :

دعا الأستاذ البنا من خلال ما أطلق عليه «الأصول العشرين» إلى عقد عام تكون ركيزته هذه الأصول، والتى حددت بوضوح ولا تزال أرضية الانطلاق الإسلامى نحو النهضة.

يقول الأستاذ البنا فى كتابه نظرات فى القرآن الكريم، وهو الذى ظهرت فيه هذه الأصول لأول مرة:

«فكرت طويلاً أيها الإخوان فى هذا الخلاف الذى يمكن أن نقول عنه خلافًا علميًا بين الجماعات الإسلامية فى مصر أولاً وفى بلدان العالم الإسلامى ثانيًا، وتلمست طويلاً العمل على جمع القلوب حول هدف أسمى تلتقى عنده الأرواح المؤمنة وتتجه إليه القلوب العاملة، وتقوم على أساسه النهضة المنتظرة....

وقد أردت أن أضع أمام أنظار المفكرين من رجال الإسلام هذه الصيغ التى أعتقد أنها تقرب إلى أقصى حد بين وجهات النظر المختلفة... مع موافقتها للحق إن شاء الله... رجاء أن يطيلوا فيها النظر.. حتى إذا رأوها صالحة لجمع الكلمة، اتخذنا منها أساسًا ...».

وعليه، فإن الأصول العشرين قد جاءت فى سياق واضح، وتتابع منطقى محدد، وتقوم بحق بوضع أساس نهضوى لتعاون الساحة الإسلامية.

وهنا، يقول الأستاذ البنا:

١ - إنها تقرب بين المتباعدين.

٢ - إنها موافقة للحق من الناحية العلمية.

ثم يطالب الأستاذ أن يطيل أهل العلم فيها النظر، وأن تصبح دستوراً للوحدة الثقافية بين المسلمين، كما ألزم بها أتباعه ومريديه بأن تصبح أول ركن في العهد بينه وبينهم على العمل أن يعوا هذه المسائل جيداً، وأن يدعوا الأمة إلى تبنيها..

وسنحاول أن نعرض لهذه الأصول في مجموعات لسهولة التعامل معها كما يلي:

القسم الأول: المنهج الاعتقادى (أصول فى فهم العقيدة).

القسم الثاني: المنهج الأصولى (أصول فى فهم أصول الفقه).

القسم الثالث: المنهج الفقهى (أصول فى فهم الفقه).

القسم الرابع: المنهج العام (أصول عامة).

القسم الأول

المنهج الاعتقادى

(أصول فى فهم العقيدة)

١ - أصل فى شمول الإسلام:

«الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء» (الأصل الأول، رسالة التعاليم).

٢ - أصل فى فهم آيات الصفات:

«معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يلحق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء؛ ويسعنا فى ذلك ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]» (الأصل العاشر، رسالة التعاليم).

٣ - أصل فى محظورات التكفير:

«لا نكفر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض - برأى أو معصية - إلا أن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر» (الأصل العشرون، رسالة التعاليم).

٤ - أصل في التوسل والدعاء :

«والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعي في كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة» (الأصل الخامس عشر، رسالة التعاليم) .

٥ - أصل في الظنون وادعاء معرفة الغيب :

«والتمائم والرقى والودع والرمل والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب وكل ما كان من هذا الباب منكر يجب محاربته (إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة)» (الأصل الرابع، رسالة التعاليم) .

٦ - أصل في البدعة التي لا أصل لها :

«وكل بدعة في دين الله لا أصل لها - استحسنها الناس بأهوائهم، سواء بالزيادة فيه أو النقص منه - ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها» (الأصل الحادي عشر، رسالة التعاليم) .

٧ - أصل في بدع القبور والمقبورين :

«وزيارة القبور - أيا كانت - سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة» (الأصل الرابع عشر، رسالة التعاليم) .

٨ - أصل في الولاية والكرامة وصحة الاعتقاد في ذلك :

«ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٦٣] والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم» (الأصل الثالث عشر، رسالة التعاليم).

* * *

القسم الثانى

المنهج الأصولى

(أصول فى فهم أصول الفقه)

هناك مشكلات تعترض طريق الأمة فى تعاملها مع أصول الفقه ويجب الالتفات إليها، والتعرف على بعض الضوابط التى أدى تركها إلى الإضرار بمسيرتها نحو النهضة، والإخلال بالأرضية الصالحة للانطلاق من جديد. وعلم أصول الفقه هو العلم الذى يهتم بكيفية الوصول إلى الحكم الشرعى.

وتعرف الأصول: بأنها مجموعة من القواعد والبحوث يتوصل بها إلى استخراج الأحكام الشرعية العملية (الأحكام الفقهية). والعلماء قسموا مصادر الأصول إلى: أصول معتبرة، وتشمل: القرآن، والسنة،والإجماع والقياس. والمصادر أو الأدلة المختلف عليها وهى: (قول الصحابى، وشرع من قبلنا، وعمل أهل المدينة، والعرف، والاستصحاب، والاستحسان.. إلخ). وأصول غير معتبرة، وتشمل: ما أضافه أهل التصوف مثل: الكشف والرؤى، والإلهام، والخواطر.

٩ - أصل فى المرجعية:

«والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الإسلام، (أ) ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، (ب) ويرجع فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات»
(الأصل الثانى، رسالة التعاليم).

١٠ - أصل فى انتفاء العصمة عن أقوال الرجال:

«وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله

وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكننا لا نعرض للأشخاص - فيما اختلف فيه - بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا» (الأصل السادس، رسالة التعاليم).

١١ - أصل في الأدلة غير المعتبرة للأحكام:

«وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله في قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه» (الأصل الثالث، رسالة التعاليم).

١٢ - أصل في الاجتهاد والتقليد:

«ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين، ويحسن به من هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته. وإن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر» (الأصل السابع، رسالة التعاليم).

* * *

القسم الثالث

المنهج الفقهى

(أصول فى فهم الفقه)

هذه المساحة من فهمنا للإسلام من أهم المساحات التى تؤثر على حركتنا نحو النهضة. وقد تعرض الأستاذ البنا لأهم ما يجب الأخذ به من أمور الفقه، حتى يصبح الفقه مصدر توسعة ورحمة واجتماع للأمة بدلاً من الاختلاف والفرقة. والفقه: هو العلم الذى يعتنى بالحكم الشرعى. ومن المعلوم أن هناك مدرستين فى الفقه، نشأتا على إثر حادثة الصلاة فى بنى قريظة، هما: مدرسة النص (ماذا قال؟)، ومدرسة المقاصد (لماذا قال؟).

١٣ - أصل فى التفاضل بين الأعمال:

«والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعاً، وإن اختلفت مرتبتا الطلب» (الأصل السابع عشر، رسالة التعاليم).

١٤ - أصل فى أحقية العمل برأى الإمام:

(أ) **«ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهاً عدة وفى المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات»**.

(ب) **«والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى، وفى العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد»** (الأصل الخامس، رسالة التعاليم).

١٥ - أصل فى النهى عن التفرق فى الدين:

«والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببًا للتفرق فى الدين، ولا يؤدى

إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب»
(الأصل الثامن، رسالة التعاليم).

١٦ - أصل في النهي عن الخوض فيما لا ينبني عليه عمل :

«وكل مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها من التكلف الذي نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التي لم تقع، والخوض في معاني الآيات القرآنية الكريمة التي لم يصل إليها العلم بعد، والكلام في المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفي التأول مندوحة»
(الأصل التاسع، رسالة التعاليم).

١٧ - أصل في البدع التي لا أصل لها في الدين :

«والبدعة الإضافية والتركية والالتزام في العبادة المطلقة خلاف فقهي، لكل فيه رأيه؛ ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان» (الأصل الثاني عشر، رسالة التعاليم).

* * *

القسم الرابع

المنهج العام

(أصـول عامـة)

هناك مجموعة من الأصول قد تندرج تحت منهج من المناهج السابقة، وبالذات المنهج الأصولى، ولكنها تبدو أنها تمس المناهج جميعًا. وعليه اعتبرناها مسائل عامة، وهى:

١٨ - أصل فى الاحتراز من العرف الخاطئ والخداع اللفظى:

(أ) «والعرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها، والوقوف عندها».

(ب) «كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء» (الأصل السادس عشر، رسالة التعاليم).

١٩ - أصل فى العلاقة بين النظر الشرعى والنظر العقلى:

«وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى. فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة؛ ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار» (الأصل التاسع عشر، رسالة التعاليم).

٢٠ - أصل فى مجال النظر العقلى:

«والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء. و(الحكمة ضالة المؤمن

أنى وجدها فهو أحق الناس بها) (الأصل الثامن عشر، رسالة التعاليم).

وهناك بعض الشروحات الهامة لهذا الأصل الأخير من كلام الأستاذ البنا في مواقع أخرى من الرسائل، من المفيد عرضها في هذا المجال إكمالا للفائدة المرجوة إن شاء الله، وهي كما يأتي:

• إن العقل هو مناط التكليف:

«أساس العقائد الإسلامية - ككل الأحكام الشرعية - كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ. ويجب أن تعلم، مع ذلك، أن كل هذه العقائد يؤيدها العقل، ويثبتها النظر الصحيح؛ ولهذا شرف الله تعالى العقل بالخطاب، وجعله مناط التكليف، وندبه إلى البحث والنظر والتفكير. وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان، تقديراً للأدلة، وإظهاراً لشرف الحجة... ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول، وإن أرشدها إلى التزام حدها، وعرفها قلة علمها، وندبها إلى الاستزادة من معارفها» (رسالة العقائد).

• ألوان التفكير في البحث عن المعرفة:

لقد حسمت الفكرة الإسلامية الجدل المعرفي، من حيث: مصادر المعرفة، ومنشؤها، وعلاقة المعرفة بالعقل، وعلاقة العلم بالغيب، وحددت لها إطاراً معرفياً متميزاً متناسقًا. لقد حسم هذا الإطارحالة التذبذب العقلي لدى الإنسان، وحدد له منهجية التفكير السديد. يقول الأستاذ البنا في ذلك:

«لقد تذبذب العقل البشري منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا - وأغلب الظن كذلك حتى تتداركه هداية من الله - بين أطوار ثلاثة، وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير:

١ - طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه.

٢ - طور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول.

٣ - الجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية.

«كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلو فاحش وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، ولقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقًا، فيقرر حق العالم الروحى ويصف ذلك العالم الغيبى المجهول وصفًا يقربه إلى الأذهان ولا يتنافى مع بديهيات العقول... وهو مع هذا يقرر هذا العالم المادى وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به فى حدود الخير، ويدعو إلى النظر السليم فى ملكوت السموات والأرض، ويعتبر هذا النظر أقرب إلى معرفة الله العلى الكبير» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

وإذا علم الأخ المسلم (دينه) فى هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائمًا:

الله غايتنا والقرآن دستورنا والرسول قدوتنا

● نختم هذا الفصل بكلام الأستاذ البنا مخاطبًا العاملين معه والذى أكد فيه على نعمة الفهم السليم للإسلام، فيقول:

«واذكروا جيدا أيها الإخوان.. أن الله مَنَّ عليكم، ففهمتم الإسلام فهمًا نقيًا صافيًا، سهلاً شاملاً، كافيًا وافيًا، يساير العصور ويفى بحاجات الأمم، ويجلب السعادة للناس، بعيداً عن جمود الجامدين وتحلل الإباحيين وتعقيد المتفلسفين، لا غلو فيه ولا تفريط، مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين استمداداً منطقيًا منصفًا، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضى الدقيق، وعرفتموه على وجهه: عقيدة وعبادة، ووطن وجنس، وحكومة وأمة، ومصحف وسيف، وخلافة من الله للمسلمين فى أم الأرض أجمعين ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]» (رسالة المؤتمر السادس).

* * *

الفصل الثامن

غاية الدعوة

القسم الأول : الغاية العليا للدعوة

القسم الثاني : رسالة الدعوة

القسم الثالث : أهداف الدعوة

القسم الأول

الغاية العليا للدعوة

الغاية هى النهاية، وهى أقصى مطلب يسعى إليه الإنسان، والذى ليس بعده شيء. وغاية الإنسان فى هذه الحياة هى تحقيق الغاية من خلقه، والغاية من الخلق هى «العبودية» أو «العبادة» للخالق تبارك وتعالى مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيها، فبين أن قومًا همهم من الحياة:

١ - الأكل والمتعة:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

[محمد: ١٢].

٢ - الزينة والعرض الزائل:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾

[آل عمران: ١٤].

٣ - إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٥].

تلك مقاصد الناس فى الحياة، نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى، وألقى على عاتقهم واجبًا أسمى، ذلك

الواجب هو :

٤ - هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم بشمس الإسلام:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

«فبربك يا عزيزى هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى؟ فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم، وتحرروا من رق المادة، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السموات والأرض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون فى سبيله، وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته، أم هل هؤلاء أسرى الشهوات وعبيد الأهواء والمطامع، كل همهم لقمة لينة ومركب فاره، وحلة جميلة ونومة مريحة، وامرأة وضيئة، ومظهر كاذب ولقب أجوف؟

رضوا بالأماني، وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

إذًا، هذه هى الغاية العليا لدعوتنا، وهذه هى الغاية الرئيسة لمشروع نهضتنا. فغايتنا عبادة الخالق تبارك وتعالى بهداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم بنور الإسلام.

* * *

القسم الثانى

رسالة الدعوة

الرسالة هى الوثيقة التى تعبر عن الرؤية المستقبلية لجماعة ما، وعن طبيعة المهمة التى تقوم بها لتحقيق هذه الرؤية، من خلال مجالات أو خطوط عمل رئيسة، ضمن مساحات جغرافية محددة، وإطار زمنى معروف، وجهة مقصودة بالخطاب. وتعبر هذه الرسالة عن غاية الجماعة العليا وأهدافها الكبرى. ويمكن تلخيص مهمة الدعوة أو رسالتها - كما وصفها الأستاذ البنا - فى المضامين الأربعة التالية:

١ - تخليص الأمة من قيودها السياسية وبناؤها من جديد.

٢ - إقامة النظام الإسلامى الشامل.

٣ - الوقوف بوجه مدنية المادة.

٤ - سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية.

وسوف نتناول كل مضمون من هذه المضامين بشىء من التفصيل من خلال فكر الأستاذ البنا.

١ - تخليص الأمة من قيودها السياسية وبناؤها من جديد: يقول الأستاذ البنا فى ذلك:

«مهمتنا ذات شطرين: الشطر الأول: تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها. والشطر الثاني: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها فى درجات الكمال الاجتماعى»
(رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

٢ - الوقوف بوجه مدنية المادة: وفى هذا يحدد الأستاذ البنا هذا المضمون بقوله:

«أما مهمتنا إجمالاً: فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية

المادة وحضارة المتع والشهوات، التى جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبى ﷺ وهداية القرآن...» (رسالة تحت راية القرآن).

٣ - إقامة النظام الإسلامى الشامل: ويفصل الأستاذ البنا هذا المضمون فيقول:

«أما تفصيلاً: فهى أن يكون: نظام داخلى للحكم... ونظام للعلاقات الدولية... ونظام عملى للقضاء... ونظام اقتصادى... ونظام للثقافة والتعليم... ونظام للأسرة والبيت... ونظام للفرد فى سلوكه الخاص... وروح عام يهيمن على كل فرد فى الأمة من حاكم أو محكوم» (رسالة تحت راية القرآن).

٤ - سيادة الدنيا وإرشاد الإنسانية: وهنا يبين الأستاذ البنا مصدر رسالة الدعوة وهو الإسلام كهداية ونور للبشرية جمعاء، فيقول:

«تلك هى الرسالة التى يريد الإخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة الإسلامية حق الفهم، وتهب لإنفاذها فى عزم وفى مضاء. لم يبتدعها الإخوان المسلمون ابتداعًا، ولم يختلقوها من أنفسهم، وإنما هى الرسالة التى تتجلى فى كل آية من آيات القرآن الكريم، وتبدو فى غاية الجلاء والوضوح فى كل حديث من أحاديث الرسول العظيم ﷺ، وتظهر فى كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الإسلام وإنفاذ تعاليم الإسلام. فإن شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذلك دليل الإيمان والإسلام الصحيح، وإن رأوا فيها حرجًا أو غضاضةً فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى، حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩] (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

* * *

القسم الثالث

أهداف الدعوة

لقد تحدث الأستاذ البنا عن الأهداف فى مواضع كثيرة من رسائله تحت مسميات متنوعة مثل: «**غايتنا**» و«**ماذا نريد؟**» و«**أهدافنا**». وسنحاول رسم خارطة الأهداف كما رآها الأستاذ البنا.

إن فهم منظومة الأستاذ البنا للأهداف يقتضى الرجوع قليلاً لمهمة المسلم من منظور البنا، والتى يقول فيها الأستاذ:

«إن مهمة المسلم الحق لخصها تبارك وتعالى فى آية واحدة من كتابه... فهى قول الله تبارك وتعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٧ - ٧٨].

هذا كلام بيّن لا لبس فيه ولا غموض...

١ - يأمر الله المسلمين.. أن يقيموا الصلاة التى هى لب العبادة وعمود الإسلام.. وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا.. وتلك هى المهمة الفردية لكل مسلم...

٢ - ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا فى الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

ويلخص الأستاذ البنا مهمة المسلم بعد ذلك فيقول:

«أيها المسلمون، عبادة ربكم والجهاد فى سبيل التمكين لدينكم وإعزاز شريعتكم هى مهمتكم فى هذه الحياة...» (رسالة إلى أى شىء ندعو الناس).

وعليه، تتكوّن مهمة المسلم من شقين:

١ – العبادة وفعل الخير.

٢ – الجهاد لإعزاز الشريعة.

وقبل أن نلخص الموضوع فى جدول، دعنا انقرأ معًا تقسيم الأستاذ البنا للأهداف، كما أوردها فى المؤتمر السادس، حيث قسمها إلى غاية قريبة وغاية بعيدة. وفى ذلك يقول الأستاذ البنا:

«يعمل الإخوان المسلمون لغايتين: غاية قريبة يبدو هدفها وتظهر ثمرتها لأول يوم ينضم فيه الفرد إلى الجماعة، أو تظهر الجماعة الإخوانية فيه فى ميدان العمل العام، وغاية بعيدة لابد فيها من ترقب الفرص وانتظار الزمن وحسن الإعداد وسبق التكوين» (رسالة المؤتمر السادس).

١ – غاية قريبة: المساهمة فى الخير العام والخدمة الاجتماعية:

«فأما الغاية الأولى فهى المساهمة فى الخير العام أيا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف. يتصل الأخ بالإخوان، فيكون مطالبًا:

أ – بتطهير نفسه وتقويم مسلكه وإعداد روحه وعقله وجسمه للجهاد الطويل الذى ينتظره فى مستقبل الأيام.

ب – ثم هو مطالب أن يشيع هذه الروح فى أسرته وأصدقائه وبيئته، فلا يكون الأخ مسلمًا حقًا حتى يطبق على نفسه أحكام الإسلام وأخلاق الإسلام، ويقف عند حدود الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر التى جاء بها رسول الله ﷺ عن ربه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾
[الشمس: ٧ – ١٠].

فهل هذا هوما يريده الإخوان المسلمون ويجهزون أنفسهم له ويأخذونها به؟! لا أيها الإخوان، ليس هذا كل مانريد، هو بعض ما نريد ابتغاء مرضاة الله.. هو الهدف القريب، هو صرف الوقت فى طاعة وخيرحتى يجىء الظرف المناسب وتحين ساعة العمل للإصلاح الشامل المنشود
(رسالة المؤتمر السادس).

٢ – وغاية بعيدة: الإصلاح الشامل والتغيير والتبديل للأوضاع القائمة:

«أما غاية الإخوان الأساسية.. أما هدف الإخوان الأسمى.. أما الإصلاح الذى يريده الإخوان ويهيئون له أنفسهم.. فهو إصلاح شامل كامل تتعاون عليه قوى الأمة جميعًا وتتجه نحوه الأمة جميعًا، ويتناول كل الأوضاع القائمة بالتغيير والتبديل... والإخوان المسلمون يعملون ليتأيد النظام بالحكام، ولتحيا من جديد دولة الإسلام ولتشمل بالنفاذ هذه الأحكام، ولتقوم فى الناس حكومة مسلمة، تؤيدها أمة مسلمة، تنظم حياتها شريعة مسلمة أمر الله بها نبيه ﷺ فى كتابه، حيث قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]» (رسالة المؤتمر السادس).

وبعد أن عرض الأستاذ البنا الغاية القريبة، وبيّن المظاهر المعبرة عنها فى الممارسة العملية، وشرح الغاية البعيدة والتى تشكل الأصل الذى من أجله قامت هذه الحركة النهضوية، قام بتحديد منهاج الإخوان المسلمين والخط الذى تعد الأمة له، ولنتأمل ذلك فى كلامه فى رسالة إلى الشباب قائلاً:

«إن منهاج الإخوان المسلمون محدود المراحل، واضح الخطوات، فنحن نعلم تمامًا ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة، نريد أولا الرجل المسلم.. ونريد بعد ذلك البيت المسلم.. ونريد بعد ذلك الشعب المسلم.. ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة.. ونريد بعد ذلك أن

ينضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى.. ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقةً عاليةً على تلك البقاع.. ونريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغ الناس جميعًا، وأن نعم بها آفاق الأرض» (رسالة إلى الشباب).

وفى رسالة الوداع (رسالة بين الأمس واليوم)، وهى الرسالة التى كتبها معتقداً أنه سيحال بينه وبين الجماعة، فقد كتب أهم ما يعتقد أن تركز عليه الجماعة من أهداف بكل وضوح، فقال:

«ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين.. أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل استعمار أجنبى.. وأن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة.. ونريد تحقيق هذين الهدفين فى: وادى النيل وفى بلاد العروبة، وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام..» (رسالة بين الأمس واليوم).

وبإعادة تنظيم كلام الأستاذ البنا حول الأهداف، وربط المبثوث منه فى مختلف الرسائل، وخاصةً (رسالة التعاليم)، والتى تعتبر من أنضج الرسائل التى كتبها الأستاذ البنا رحمه الله، حيث شرح الركن الثالث من أركان البيعة وهو العمل، وحدد للأخ الصادق مراتب العمل المطلوبة، نستنتج من ذلك كله أن الغايتين اللتين أشار إليهما فى الفقرة السابقة، يندرج تحتهما الأهداف القريبة، والأهداف البعيدة. وعليه، يمكن وضع هذه الأهداف بالصورة التالية:

- **الشق الأول للمهمة: العبادة وفعل الخير**

(أ) الغاية القريبة: وتشمل

١ - إصلاح الفرد.

٢ - بناء الأسرة.

٣ - إرشاد المجتمع.

- **الشق الثانى للمهمة: الجهاد لإعزاز الشريعة**

(ب) الغاية البعيدة: وتشمل

٤ - إصلاح الحكومة.

٥ - إعادة الخلافة.

٦ - تحقيق السيادة.

٧ - الأستاذية.

ويمكن تفصيل مكونات هذه الصورة من الأهداف، وفقًا لفكر الأستاذ البنا على النحو التالى:

أ- الغاية القريبة

١ - إصلاح الفرد (إعداد الرجال): ولتفصيل هذا الهدف، يقول الأستاذ البنا:

«ولكن الأمم المجاهدة التى تواجه نهضة جديدة وتجتاز دور انتقال خطير، وتريد أن تبنى حياتها المستقبلة على أساس متين يضمن للجيل الناشئ الرفاهة والهناءة، وتطالب بحق مسلوب وعز مغصوب، فى حاجة إلى بناء آخر غير هذه الأبنية.. إنها فى مسيس الحاجة إلى بناء النفوس وتشييد الأخلاق وطبع أبنائها على خلق الرجولة الصحيحة، حتى يصمدوا لما يقف فى طريقهم من عقبات ويتغلبوا على ما يعترضهم من مصاعب.

إن الرجل سر حياة الأمم ومصدر نهضاتها، وإن تاريخ الأمم جميعًا إنما هو تاريخ من ظهر بها من الرجال النابغين الأقوياء النفوس والإرادات. وأن قوة الأمم أو ضعفها إنما تقاس بخصوبتها فى إنتاج الرجال الذين تتوافر فيهم شرائط الرجولة الصحيحة. وإنى اعتقد - والتاريخ يؤيدنى - أن الرجل الواحد فى وسعه أن يبنى أمة إن صحت رجولته، وفى وسعه أن يهدمها كذلك إذا توجهت هذه الرجولة إلى ناحية الهدم لا ناحية البناء» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

ويحدد الأستاذ البنا متطلبات الأخ الصادق، فيقول:

«إصلاح نفسه حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصاً على وقته، منظماً فى شؤونه، نافعاً لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته» (رسالة التعاليم).

٢ - بناء الأسرة: ثم ينتقل الأستاذ البنا إلى مستوى الأسرة المسلمة فيقول:

«وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام. وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك» (رسالة التعاليم).

٣ - إرشاد المجتمع: ثم يحدد الهدف على مستوى المجتمع، فيقول:

«وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائما. وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة» (رسالة التعاليم).

ب- الغاية البعيدة

٤ - إصلاح الحكومة وإقامة الدولة على أسس الإسلام: بالنسبة للغاية البعيدة، يحدد الأستاذ البنا أهداف هذه الغاية التفصيلية على المستوى القطرى، فيقول:

«وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها. والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير مجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه. ومن صفاتها: الشعور بالتبعة،

والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه. ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة. ومن حقها - متى أدت واجبها -: الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والأموال. فإذا قصرت، فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (رسالة التعاليم).

٥ - إعادة الخلافة (التمثيل الموحد للأمة الإسلامية): وعلى صعيد الأمة، يشدد الأستاذ البناعلى ضرورة وحدة الأمة، فيقول:

«وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة. وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه: ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢] (رسالة التعاليم).

ويفصل الأستاذ البنا هذا الهدف المحورى، بقوله:

«الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ﷺ، ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها .. والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات» (رسالة المؤتمر الخامس).

٦ - تحقيق السيادة: ولتحقيق هذه الهدف، يؤكد الأستاذ البنا على ضرورة تحرير

الأمة فيقول:

«ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين.. أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل استعمار أجنبى.. وأن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة.. نريد تحقيق هذين الهدفين فى: وادى النيل، وفى بلاد العروبة، وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام..» (رسالة بين الأمس واليوم)

٧ - **إعلان الأستاذية:** وعن نشر نور الإسلام وهداية البشر إلى الخير وإلى الحق، يقول الأستاذ البنا:

«وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، **﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾** [التوبة: ٣٢] (رسالة التعاليم).

بهذا التحديد، وبهذا الوضوح، وبهذا التفصيل، وضع الأستاذ البنا منظومة الأهداف المتوخاة من الدعوة، والتى يتعين على الفرد المسلم والأمة المسلمة أن يعملا على تحقيقها، عبادةً للخالق تبارك وتعالى، وتحقيقًا لمشروع النهضة الممكن والمأمول.

* * *



الفصل التاسع

عناصر الدعوة

القسم الأول : المراحل

القسم الثاني : الوسائل

القسم الثالث : الأسياسات

القسم الأول

المراحل

بدأت الدعوة فى صورة خواطر نفسية أو جهود ذاتية لإنقاذ الناس، ولننظر إلى عبارات الأستاذ البنا فى هذا السياق:

١ - مرحلة الخواطر.. وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«ظلت هذه الخواطر حديثًا نفسيًا ومناجاةً روحيةً أتحدث بها فى نفسى لنفسى، وقد أفضى بها إلى كثير ممن حولى، وقد تظهر فى شكل دعوة فردية أو خطابة وعظية أو درس فى المساجد إذا سنحت فرصة التدريس، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة المجهود فى إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما فى الإسلام من خير» (رسالة المؤتمر الخامس).

٢ - مرحلة التجميع حول الفكرة ثم مرحلة التنظيم: تطورت الخواطر والجهود الفردية إلى تجميع حول الفكرة ثم إلى مرحلة التنظيم، وفى هذا التطور يقول الأستاذ البنا:

«ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم فى وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحيانًا والتشجيع أحيانًا، والتريث أحيانًا، ولكننى لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية»... «وفى الإسماعيلية أيها الإخوان وضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها ونعاهد الله على الجندية التامة فى سبيلها تحت اسم (الإخوان المسلمون) وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٣٤٧هـ» (رسالة المؤتمر الخامس).

٣ - التدرج ... والمراحل: ثم تبلورت الفكرة حركيًا عند الأستاذ البنا فى عدة مراحل متدرجة ومتداخلة أو متوازية ديناميكيًا خلال الزمن. وفى هذا يقول:

«وأما التدرج والاعتماد على التربية ووضوح الخطوات في طريق الإخوان المسلمين، فذلك أنهم اعتقدوا أن كل دعوة لابد لها من مراحل . . . : مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصالها إلى الجماهير من طبقات الشعب، ثم مرحلة التكوين وتخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف من بين هؤلاء المدعوين، ثم بعد ذلك كله مرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج. وكثيراً ما تسير هذه المراحل جنباً إلى جنب نظراً لوحدة الدعوة وقوة الارتباط بينها جميعاً، فالداعي يدعو، وهو في الوقت نفسه يتخير ويربي، وهو في الوقت عينه يعمل وينفذ كذلك»

(رسالة المؤتمر الخامس).

فالمراحل عند الأستاذ البنا بالنسبة لتنظيم الدعوة على المستوى النظرى البحت متتابعة؛ أما على أرض الواقع فهى قطعًا متوازية ومتداخلة، اللهم إلا إذا اعتبر أن التركيز على خط منها بنسبة أكبر نظراً لنمو العمل وتطوره سنداً لإطلاق وصف محدد على المرحلة، وبالتالى لا يلغى هذا الوصف وجود الخطوط الأخرى، ولكنه يشير إلى نسبة التركيز المعتمدة.

ملخص لتصور الأستاذ البنا لمراحل العمل الدعوى:

وعليه، يمكن أن نلخص مراحل الدعوة بعد مرحلتى الخواطر والتجميع، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، كما يلى:

١ ـ مرحلة الدعاية والتعريف.

٢ ـ مرحلة الإعداد والتكوين.

٣ ـ مرحلة العمل والتنفيذ.

٤ ـ مرحلة الدولة / الدول (ذات المرجعية والقاعدة القيمية المشتركة).

٥ ـ مرحلة التمهيد للخلافة.

٦ ـ مرحلة استعادة الكيان الدولى أو الخلافة.

٧ ـ مرحلة الأستاذية وإقامة النموذج.

ويشرح الأستاذ البنا تصوره لكل مرحلة من هذه المراحل، وأهم معالمها فى كتاباته، كما يلى:

أولا: مرحلة الدعاية والتعريف: ويحدد الأستاذ البنا إطارهذه المرحلة وطبيعتها ووسائلها فيقول:

«بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة فى هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام، ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة، وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية. وكل شعب الإخوان القائمة الآن تمثل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها «القانون الأساسى» وتشرحها وسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة فى هذه المرحلة (عامة). ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها» (رسالة التعاليم).

ومن ثم، نستخلص سمات هذه المرحلة فيما يلى:

١ – نظام الجمعيات الإدارية.

٢ – مهمة العمل للخير العام.

٣ – وسيلة الوعظ والإرشاد.

٤ – وسيلة إقامة المنشآت النافعة.

٥ – عمومية الدعوة.

٦ – احترام المبادئ والمساهمة فى العمل للمنتسبين.

ثانياً: مرحلة الإعداد والتكوين: هذه مرحلة تخير الأنصار وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف. وأهم ما يميز هذه المرحلة مسألة اختيار العناصر الصالحة، كما يشير الأستاذ البنا قائلاً:

«باستخلاص العناصر الصالحة»

وتتم هذه الخطوة من خلال ثلاث صور، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، هى: الكتائب

لتقوية الصف بالتعارف؛ وفرق الكشافة والجوالة والألعاب الرياضية لتقوية الصف بدنيًا وتعوده الطاعة والنظام والأخلاق الرياضيـة الفاضلة؛ ثم درس التعاليم في الكتائب أو في أندية الإخوان المسلمين لتقوية الصف فكريًا بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ معرفته لدينه ودنياه.

ثالثا: مرحلة العمل والتنفيذ:

وهي عند الأستاذ البنا، الخطوة العملية التي تظهر بعدها ثمار الدعوة. وفي هذا يقول:

«والدعوة في هذه المرحلة جهاد لا هوادة معه، وعمل متواصل في سبيل الوصول إلى الغاية، وامتحان وابتلاء لا يصبر عليهما إلا الصادقون» (رسالة التعاليم).

رابعًا: مرحلة الدولة / الدول: وتعد الدولة الإسلامية عند الأستاذ البنا ركنًا أساسيًا في مشروع النهضة.

وحيث إن الدولة أحد أركان هذا المشروع، كما سوف نتطرق لهذا الركن بالتفصيل في الباب الثالث من هذه الدراسة، فإننا نود هنا أن نشير إلى أنه من الواضح في كتابات الأستاذ البنا أنه لا يهتم كثيرًا بالمسميات، ولكنه كان شديد العناية بالمضمون. وعند الأستاذ البنا الدولة تقوم على إطار مرجعي. وفي الدولة الإسلامية، يجب أن يكون الإطار المرجعي هو الإسلام. وهنا يؤكد على قضية الترجمة الحية التطبيقية للقيم الإسلامية، حيث لا يمكن الانتقال بنجاح إلى مرحلة التمهيد للخلافة إلا بوجود اللبنات القطرية الإسلامية ذات الأرضية القيمية المشتركة، والبناء ذي المضمون المشابه.

خامسًا: مرحلة التمهيد للخلافة (الكيان الموحد للأمة): وعند الأستاذ البنا، لابد من تحرير الأوطان وتقريب الثقافات وجمع الكلمة حتى يؤدي ذلك إلى إعادة الخلافة. وفي هذا يقول:

«لابد من تعاون تام ثقافي واجتماعي واقتصادي بين الشعوب الإسلامية كلها، ... يلي ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع

والمؤتمرات... ثم يلى ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، ثم إذا تم لها ذلك نتج عنه الاجتماع على «الإمام» الذى هو واسطة العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الأفئدة...» (المؤتمر الخامس).

سادساً: استعادة الكيان الدولى الموحد أو الخلافة: وبتحقيق المرحلة السابقة يتم إعادة الخلافة. وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة» (رسالة التعاليم).

سابعاً: الأستاذية بتقديم نموذج إنسانى يعبر عن المنظومة القيمية للأمة: وهنا يؤكد الأستاذ البنا على النموذج الإسلامى الشامل كأساس لإحداث نهضة حقيقية، وكإطار لنشر الحق والخير فى ربوع العالم، قائلاً:

«وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه» (رسالة التعاليم).

هذه هى السبعة مراحل للعمل الدعوى، والتى حددها الأستاذ البنا بوضوح وجلاء، والتى يحقق بمقتضاها مشروع النهضة غايته - تطبيقياً - ببناء الدولة الإسلامية «النموذج»، واستاذية العالم كإطار لنشر الحق والخير فى ارجائه.

* * *

القسم الثانى

الوسائل

١ - مفهوم الأستاذ البنا للوسائل :

الوسائل الرئيسة : ويحدد الأستاذ البنا الوسائل الركنية أو الجذرية فى ثلاث، إذ يقول :

«أما الوسيلة التى وعدتك بالكلام عنها فهى أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان :

أولها : المنهاج الصحيح ،

وثانيها : العاملون المؤمنون ،

وثالثها : القيادة الحازمة الموثوق بها» (رسالة دعوتنا) .

ومرة أخرى يقول :

«وليست الوسيلة القوة كذلك ، فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولاً ، وتناجى القلوب ، وتطرق مغاليق النفوس ، ومحال أن تثبت بالعصا ، أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والسهام ، ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها ، معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات ، وخلاصة ذلك جملتان :

١ - إيمان وعمل .

٢ - ومحبة وإخاء» (رسالة دعوتنا فى طور جديد) .

ثم عاد ولخصها قائلاً :

«إن الوسائل العامة فى الدعوات لا تتغير ولا تتبدل ، ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة :

١ - الإيمان العميق.

٢ - التكوين الدقيق.

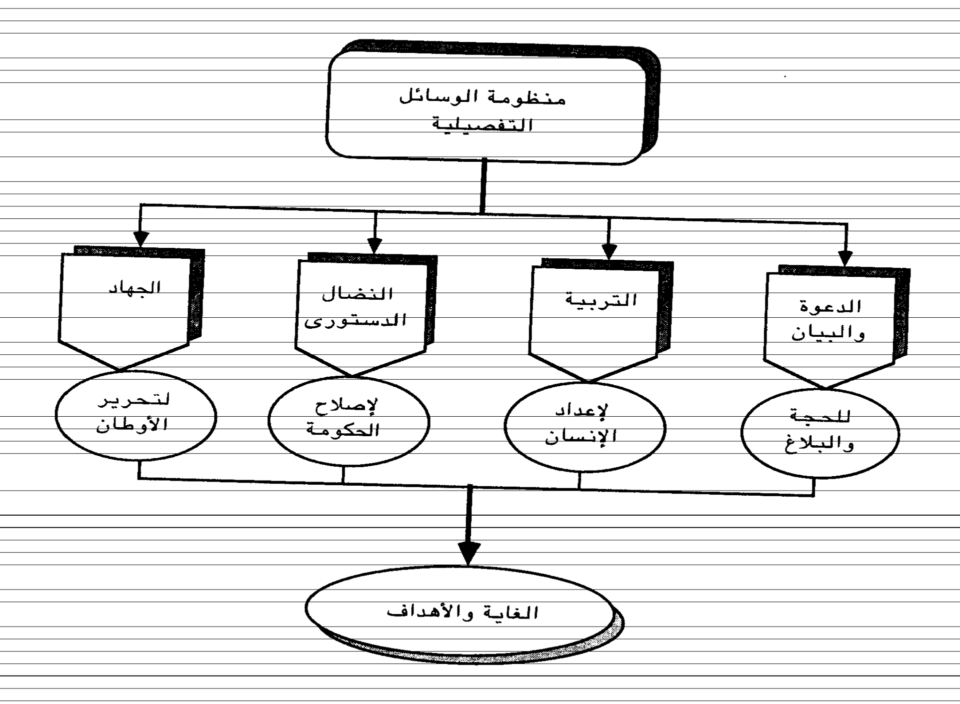
٣ - العمل المتواصل» (رسالة بين الأمس واليوم).

٢ - الوسائل الحركية:

والمتأمل فى كلام الأستاذ البنا حول موضوع الوسائل فى رسائله المختلفة، والمستصحب للسياق التاريخى والظروف التى مرت بها الحركة فى زمانه رحمه الله، ومن خلال وعيه وفقهه الشرعى والاجتماعى والسياسى الذى عرف به، نستطيع أن نستنتج منظومته فى الوسائل التشغيلية أو الحركية التفصيلية، والمستمدة من الوسائل الرئيسة سالفة الذكر، ولعل أقرب النصوص تحديداً لهذه الوسائل ما جاء فى رسالة المؤتمر السادس، إذ يقول الأستاذ البنا:

«أما وسائلنا العامة، فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان، ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هى الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح.. ثم النضال الدستورى حتى يرتفع صوت هذه الدعوة فى الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجئ الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها فى الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح ما دمنا نبغى بذلك وجه الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. أما ما سوى ذلك من الوسائل، فلن نلجأ إليه إلا مكرهين، ولن نستخدمه إلا مضطرين، وسنكون حينئذ صرحاء شرفاء، لا نحجم عن إعلان موقفنا واضحاً لا لبس فيه ولا غموض معه، ونحن على استعداد لتحمل نتائج عملنا أيا كانت، لا نلقى التبعة على غيرنا، ولا نتمسح بسوانا، ونحن أعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الفناء فى الحق هو عين البقاء، وأنه لا دعوة بغير جهاد، ولا جهاد بغير اضطهاد، وعندئذ تدنو ساعة النصر ويحين وقت الفوز، ويتحقق قول الملك الحق المبين: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [يوسف: ١١٠] (رسالة المؤتمر السادس).

ومن هذا النص يمكن إيضاح منظومة الوسائل الحركية فى الرسم البيانى التالى :



وعن الوسائل المكونة لهذه المنظومة، قدم الأستاذ البنا شيئًا من التفصيل، نعرضه فيما يلى :

الوسيلة الأولى : الدعوة والبيان (الوعظ والإرشاد)

الدعوة، هى الطريقة الأساسية التى اتبعها كل الأنبياء والرسل، وهى الوسيلة الماضية إلى يوم القيامة، والتى حضنا عليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وهى الواجب الذاتى الذى ينبغى على كل مسلم أن يقوم به. ويعبر الأستاذ البنا عن هذه

الوسيلة بقوله:

«المساهمة فى الخير العام أيا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف... وتعمل الجماعة على تعليم الأميين، وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد، والإصلاح بين المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين، وإقامة المنشآت النافعة من مدارس ومعاهد ومستوصفات ومساجد فى حدود مقدرتها والظروف التى تحيط بها..» (رسالة المؤتمر السادس).

ويمكن تحديد مكونات أو عناصر هذه الوسيلة فيما يلى:

١ – المساهمة فى الخير العام والخدمة الاجتماعية.

٢ – تعليم الأميين، وتلقين الناس أحكام الدين.

٣ – الوعظ والإرشاد.

٤ – الإصلاح بين المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين.

٥ – إقامة المنشآت النافعة.

٦ – تكوين رأى عام، وتصحيح فهم المسلمين لدينهم.

٧ – استخدام النشرات والبيانات والمؤتمرات والبعثات فى نشر الدعوة.

٨ – تقديم البرامج العملية الصالحة لشؤون الحياة.

٩ – محاربة الجهل والمرض والفقر والرذيلة.

الوسيلة الثانية: التربية (الإعداد والتكوين)

ولقد حرص الأستاذ البنا على هذه الوسيلة باعتبارها مصنع الرجال. وفى هذا يقول:

«أعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها «بالتربية الصحيحة» والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل، والعمل القوى، البغيض لديها الشاق عليها،

وأفطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها» (رسالة المؤتمر الخامس) .

ولتوكيد هذا المعنى، يقرر الأستاذ البنا :

« ... أن الإخوان المسلمين يقصدون أول ما يقصدون إلى تربية النفوس وتجديد الأرواح وتقوية الأخلاق ، وتنمية الرجولة الصحيحة فى نفوس الأمة . ويعتقدون أن ذلك هو الأساس الأول الذى تبنى عليه نهضات الأمم والشعوب» (رسالة هل نحن قوم عمليون) .

وتحدث الأستاذ البنا عن الوسائل التى اتبعها فى تربية الأنصار وتكوينهم وتعبئتهم فى مواضع عديدة من رسائله، فيقول مثلاً :

«فقد بدأنا الدعوة فوجهناها إلى الأمة فى دروس متتالية ، وفى رحلات متلاحقة وفى مطبوعات كثيرة وفى حفلات عامة وخاصة ، وفى جريدة الإخوان المسلمين الأولى ثم فى مجلة النذير الأسبوعية ، وأظن أننا وصلنا فى هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها ، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية ، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة . خطونا الخطوة الثانية فى صور عدة» (رسالة المؤتمر الخامس) .

ويمكن تلخيص صور التربية من إعداد واختيار وتكوين وتعبئة، وفقًا لفكر الأستاذ البنا فيما يلى :

١ - الأسر. (محضن العلاقات الأخوية) .

٢ - الكتائب . (معهد التربية الروحية)

٣ - الرحلات . (محضن العلاقات الاجتماعية) .

٤ - الدورات . (مركز التأهيل والتدريب) .

٥ - المخيمات . (معهد التربية الجسمية) .

٦ - المؤتمرات . (معهد التربية العملية والفكرية) .

الوسيلة الثالثة : العمل السياسى (النضال الدستورى)

إن التمهيد لبناء الدولة الإسلامية لا يتم إلا بالعمل السياسى، والذى يأخذ بدوره أشكالاً متنوعة، ويمر بأدوار متعددة. وتتميز الأدوار بأساليب مختلفة لأحداث النشاط السياسى. كما أن النشاط السياسى بذاته يؤدى دوراً دعوياً فى استقطاب الأعضاء للجماعة، وفى قدرات الأفراد أنفسهم، إضافة إلى التوعية الاجتماعية العامة، وإشاعة الوعى الإسلامى، وتأكيد شمولية الإسلام. ويمكن الاستفادة من الأساليب المختلفة ما دامت مشروعة، ولا تنافى أصلاً من أصول الشريعة، وفى هذا يقول الأستاذ البنا :

«أما وسائلنا العامة :

١ - فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأى العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان.

٢ - ثم استخلاص العناصر الطيبة لتكون هى الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح...

٣ - ثم النضال الدستورى حتى يرتفع صوت هذه الدعوة فى الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية.

٤ - وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجىء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها فى الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح ما دمنا نبتغى بذلك وجه الله ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : ٤٠] (رسالة المؤتمر السادس).

الوسيلة الرابعة : الجهاد (الفريضة الماضية)

ويمثل الجهاد وسيلة أساسية من الوسائل العامة بمراتبه المختلفة (وفى مراتب الجهاد ارجع إلى رسالة هل نحن قوم عمليون؟ بند الجهاد عزنا)، وفى هذا يقول الأستاذ البنا :

«وأريد بالجهاد : الفريضة الماضية إلى يوم القيامة. والمقصود بقول رسول الله ﷺ : (من مات ولم يغزُ ولم ينو الغزو مات ميتةً جاهلية). وأول

مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال في سبيل الله، وبين ذلك: جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر. ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد في سبيلها، وضخامة الثمن الذي يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]. **وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم: (الجهاد سبيلنا)»** (رسالة التعاليم).

ولقد حدد الأستاذ البنا طبيعة الجهاد وظروف الإعداد وقواعد وشروط استخدام القوة. وفي ذلك يقر المبدأ مستنداً إلى الكتاب والسنة، ثم يضع ضوابط استخدامه فيما يلي:

أ - الإسلام ومبدأ الإعداد:

يقول الله عز وجل: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾** [الأنفال: ٦٠]. والنبي ﷺ يقول: **﴿ المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف ﴾**.

ب - متى تكون الجاهزية:

وهنا يحذر الأستاذ البنا من اللجوء إلى القوة.. قبل توافر شروطه، فيقول:

«أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعًا، وإنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال، مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك» (رسالة المؤتمر الخامس).

جـ - القواعد والشروط:

ثم أشار بعد ذلك إلى شروط استخدام القوة، إذ يقول:

«ولكن الإخوان أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد

منها وما يراد بها» . . . «وهل أوصى الإسلام – والقوة شعاره – باستخدام القوة فى كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدوداً واشترط شروطاً ووجه القوة توجيهاً محدداً؟ . . . وهل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكى؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟ . .» (رسالة المؤتمر الخامس).

* * *

القسم الثالث

السياسات

أ - مفهوم السياسات

السياسات هى المبادئ الحاكمة للعمل وما يرتبط بها من قواعد، لتترجم المنطلقات والتوجيهات إلى صيغ مرشدة لتوجيه مسيرة الحركة نحوالأهداف المعتمدة. وتأتى قيمة السياسات من كونها معايير يقاس بها معدلات التنفيذ والإنجاز، كما أنها دليل لمتخذ القرار تبصره بالأولويات والأهداف المنشودة والموارد والمخصصات المتاحة والمتطلبات التى يجب توفيرها. كما تعتبر السياسة مرشداً للتفكير والتقدير، وموجهة للسلوك، وهادفة للاتصال ومنهاجًا للعمل، ووسيلة لتحديد الإجراءات اللازمة لتحقيق الأهداف الموضوعة والمحددة.

ب - بواعث السياسات

إن المتتبع لكلام الأستاذ البنا حول سياسات الدعوة، يجد أنه قد تناولها فى أكثر من رسالة وتحت عناوين مختلفة. ولقد اختارها بعد دراسة موضوعية للواقع الذى كان يعيشه فى حينه. ولهذا، فقد جاءت هذه السياسات منسجمة مع اختياراته لمشروع النهضة الذى تقدم به للأمة.

وهذا ما ذكره - رحمه الله - معبراً عن بواعثه قائلاً:

«لعل من صنع الله لدعوة الإخوان أن تنبت فى الإسماعيلية، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهى بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التى أذكى نار الفُرْقة فيها ذوو المطامع والأغراض، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوى العنيف بين الأجنبى المتعصب والوطنى المجاهد، فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التى عاصرتها» (رسالة المؤتمر الخامس).

لذلك جاء اجتهاد الأستاذ البنا منسجمًا مع هذا الواقع كما سنرى من خلال السياسات العامة التى وضعها لحركته آنذاك.

جـ - السياسات العامة للدعوة

على أساس الواقع الذى عاشه الأستاذ البنا، كان اجتهاده بالنسبة للسياسات العامة للدعوة، والمتمثلة وفقًا له فيما يلى:

١ - البعد عن مواطن الخلاف الفقهى.

٢ - البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان.

٣ - البعد عن الهيئات والأحزاب عند البدايات.

٤ - التدرج فى الخطوات واعتماد المرحلية.

٥ - إيثار الناحية العملية على الدعائية والإعلانية.

٦ - التركيز على الشباب لأنهم سر نهضة الأمم.

٧ - الاهتمام بالقرى والمدن على حد سواء.

٨ - التوازن بين العقل والعاطفة، وبين الواقع والخيال.

٩ - عدم المغامرة والمقامرة وتوفير الجهود للعمل النافع والإيجابى.

١٠ - عدم تجريح الهيئات والأشخاص (الابتعاد عن الهجوم الشخصى).

١١ - عدم الانجرار إلى معارك جانبية سواء أكانت شرعية أوحزبية.

١٢ - الالتزام بدستور الوحدة الثقافية (الأصول العشرين).

ومن المفيد أن نلقى بعض الضوء على هذه المعانى الهامة من كلام الأستاذ البنا نفسه بإيجاز:

١ - البعد عن مواطن الخلاف الفقهى.

أ - الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى وواقعى.

ب - العيب فى التعصب والحجر على العقول والآراء.

٢ – البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان.

أ – لسد الذرائع، خوف ظنون الناس، (سد الذرائع).

ب – حتى لا يطمس لون الدعوة الصافى، (التميز).

جـ – حتى لا يحاول أحد الاستغلال أو التوجيه، (الاستقلال).

٣ – البعد عن الهيئات والأحزاب عند البدايات.

أ – الابتعاد فى فترة البداية وفى حالة الضعف.

ب – التنافر والتناحر لا يتفق مع أخوة الإسلام.

جـ – الأولىّ التجنب والصبر على الحرمان.

د – محاورتهم عند اشتداد الساعد وصلابة العود.

٤ – التدرج فى الخطوات واعتماد المرحلية.

أ – عموم الدعاية.

ب – كثرة الأنصار.

جـ – متانة التكوين.

٥ – إيثار الناحية العملية على الدعائية والإعلانية.

أ – مخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء.

ب – الموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد فى إذاعة الخير.

جـ – نفور الإخوان من اعتماد الناس على الدعايات الكاذبة والتهريج.

د – خشية الإخوان من معاجلة الدعوة بخصومة حادة أو صداقة ضارة.

٦ – التركيز على الشباب لأنهم سر نهضة الأمم.

أ – الشباب هم أخصب المنابت للدعوات.

ب – المثابرة ومضاعفة الجهود لتأييد الشباب ومناصرته وعمله لدعوة الإخوان.

٧ – التوازن بين العقل والعاطفة، وبين الواقع والخيال.

أ – التوازن بين العقل والعاطفة.

ب – التوازن بين الواقع والخيال.

جـ – الانسجام مع نواميس الكون.

د – المغالبة والاستخدام والتحويل والاستعانة بالسنن الإلهية.

هـ – ترقب ساعة النصر.

هذه هى الخطوط الرئيسة للسياسات العامة التى وضعها الأستاذ البنا لحركة الإخوان، والدعوة لمبادئها، تنفيذاً لمشروع النهضة وإقامة الدولة النموذج.

* * *

الفصل العاشر

البناء التربوى للدعوة

القسم الأول : عقبات فى طريق الدعوة

القسم الثانى : البناء التربوى للدعوة

تقديم

من الأمور الطبيعية أن تجابه الدعوات العديد من الشدائد والعقبات. وبقدر سمو الدعوة ونبل غايتها ومقاصدها ومشروعية وسائلها تعظم الشدائد وتتزايد العقبات.

ومن هنا، تكون الأهمية القصوى للبناء التربوى لصناعة رجال العقيدة، رجال المحن والاحتساب، رجال التضحية فى سبيل الله. وعليه، يتناول هذا الفصل قسمين:

القسم الأول: العقبات.

القسم الثاني: البناء التربوى.

القسم الأول

العقبات

أولاً: العقبات المتوقعة: بحنكة الخبير وخبرة المجرب ودقة العالم يوضح الأستاذ البنا طبيعة وأسباب العقبات المتوقعة وموقف الإخوان تجاهها، فيقول:

«أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد (رسالة بين الأمس واليوم).

وفى الرسالة نفسها، حدد الأستاذ البنا العقبات الرئيسة فيما يلى:

العقبة الأولى: جهل الشعب.

العقبة الثانية: استغراب أهل التدين وإنكار العلماء الرسميين.

العقبة الثالثة: حقد الرؤساء والزعماء وذوى الجاه والسلطان.

العقبة الرابعة: وقوف كل الحكومات على السواء فى وجوهكم والحد من نشاطكم.

العقبة الخامسة: تذرع الغاصبين بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم.

العقبة السادسة: إثارة غبار الشبهات وظلم الاتهامات.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثانيًا: التجربة والامتحان (تكاليف النضال الدستورى): ثم يفصل بشفافية

واستشراف فى الرسالة نفسها ما سيتعرض له الإخوان من ابتلاءات نتيجة هذه العقبات فيما يلى :

الامتحان الأول : « فتسجنون وتعتقلون » .

الامتحان الثانى : « وتنقلون وتشردون » .

الامتحان الثالث : « وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم » .

الامتحان الرابع : « وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان » .

﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٢] .

ثالثًا : الواجبات العشر أثناء المحن وأمام العقبات : ثم أخيرًا، حدد الواجبات أو عوامل النجاح فى التغلب على هذه المحن والعقبات فيما يلى :

الواجب الأول : الإيمان بالله والاعتزاز بمعرفته والاعتماد عليه .

الواجب الثانى : عدم الخوف والرهبة إلا من الله تعالى .

الواجب الثالث : أداء الفرائض واجتناب النواهى .

الواجب الرابع : التخلق بالفضائل والتمسك بالكمالات .

الواجب الخامس : الإقبال على القرآن والسيرة ومدارستها .

الواجب السادس : الاهتمام بالناحية العملية والابتعاد عن الجدل .

الواجب السابع : التحاب والحرص على الرابطة الأخوية .

الواجب الثامن : الثبات على المبدأ .

الواجب التاسع : السمع والطاعة للقيادة .

الواجب العاشر : ترقب النصر وتأييد الله تعالى .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ

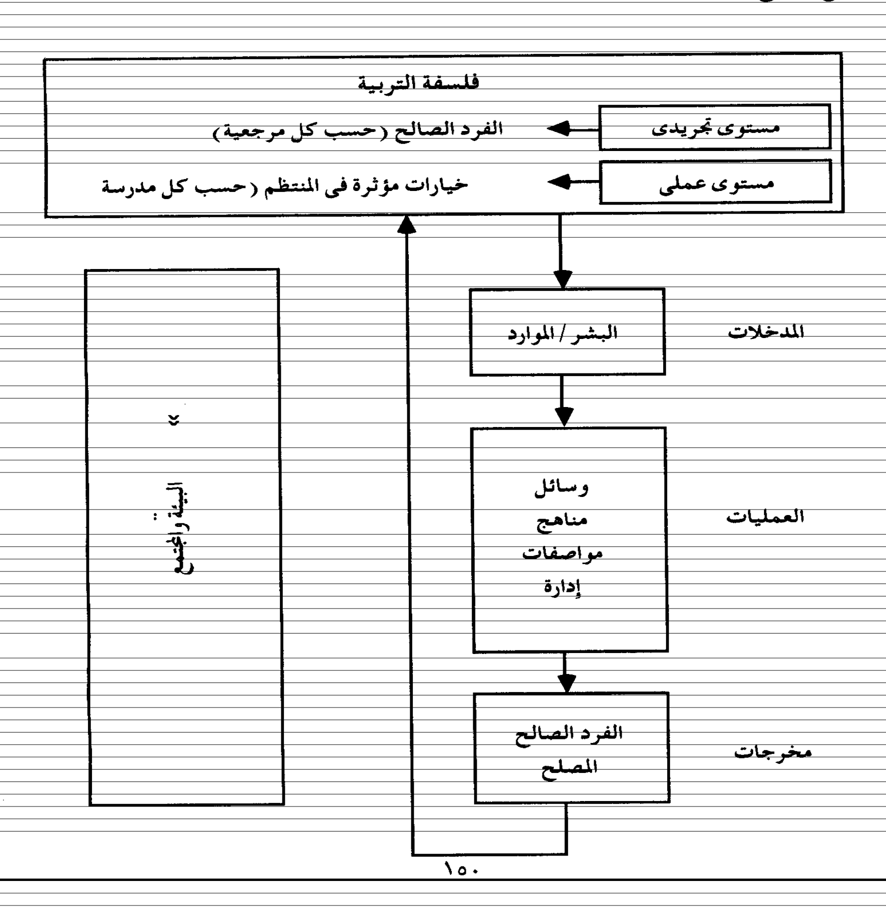
قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [الصف : ١٠ – ١٤] . **وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء وأماتنا موت المجاهدين والشهداء إنه نعم المولى ونعم النصير** (رسالة بين الأمس واليوم) .

* * *

القسم الثاني

البناء التربوي

التربية بشكل عام يمكن تبسيطها في شكل نظم العمليات مع بعض التصرف، في الشكل التالي :



أولا : مدخلات التربية

أصناف الناس المحيطين بدعوة النهضة كما صنفهم الأستاذ البنا وموقفه منهم :

أ - **أصناف الناس** : حدد الأستاذ البنا الناس فى بيئة الدعوة بأصناف أربعة إذ يقول :

«وكل الذى نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحداً من أربعة . . وقد حان الوقت الذى يجب على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته» :

١ - مؤمن : (ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا) .

٢ - متردد : (نتركه لتردده ونوصيه أن يتصل بنا عن كثب) .

٣ - نفعى : (الله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله . .) .

٤ - متحامل : (وهذا سنظل نحبه ونرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا) (رسالة دعوتنا) .

ب - **أسس الانتقاء والاختيار**: ثم حدد الأستاذ البنا صفات المرشح للحاق بالدعوة، إذ يقول :

«وها أنا ذا أصارح الغيورين من أبناء الإسلام بأن كل جماعة إسلامية فى هذا العصر محتاجة أشد الحاجة إلى الفرد العامل، المفكر، الجرىء، المنتج، فحرام على كل من آنس من نفسه شيئًا من هذا أن يتأخر عن النفير دقيقةً واحدة» (رسالة هل نحن قوم عمليون) .

١ - **العامل** : الشخص العملى المتحرك .

٢ - **المفكر** : الشخص الذى يستأنس بعقله وفكره .

٣ - **الجرىء** : الشخص المقدام الشجاع المضحى .

٤ - **المنتج** : الشخص الذى يقدم إنجازات ويحقق نجاحات .

ثانيًا : العمليات التربوية

أ - المربى (الداعية) الفعال :

أشار الأستاذ البنا مؤكداً أهمية المربى ودوره الفعال فى العملية التربوية مشدداً على

بعض مواصفاته الأساسية. وفي هذا يقول:

«والدعاة اليوم غيرهم بالأمس، فهم مثقفون مجهزون مدربون أخصائيون، حيث تختص بكل فكرة كتيبة مدربة توضح غامضها وتكشف عن محاسنها وتبتكر لها وسائل النشر وطرائق الدعاية، وتتلمس لها نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع.. ولهذا كان من واجب أهل الدعوة (المربين) أن يحسنوا تلك الوسائل جميعاً حتى يأتي عملهم بثمرته المطلوبة» (رسالة دعوتنا).

ويحدد الأستاذ البنا شروط المربى المطلوب فى قوله:

«إن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. **فهى دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة فمن استعد لذلك فقد عاش وعاشت به»** (رسالة دعوتنا).

إذن، مما تقدم نخلص إلى أن المواصفات الأساسية للمربين (الدعاة)، التى طالب بها الأستاذ البنا، هى:

١ - **مثقفون**: (الثقافة الشرعية والإنسانية والحركية).

٢ - **مجهزون**: (الجاهزية المعنوية والذهنية، والمادية أيضاً).

٣ - **مدربون**: (التدريب على المهارات الحياتية وعلى استخدام ما جُهزوا به الاستخدام الأمثل).

٤ - **متخصصون**: (التخصص فى المجال المحدد الذى يخدم فيه).

ب - الوسائل التربوية:

تحدث الأستاذ البنا عن الوسائل التى اتبعها فى تربية الأنصار وتكوينهم وتعبئتهم

فى مواضع عديدة من رسائله . ففى رسالة المؤتمر الخامس، يحدد هذه الوسائل بقوله :

«فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة فى دروس متتالية وفى رحلات متلاحقة وفى مطبوعات كثيرة وفى حفلات عامة وخاصة، وفى جريدة الإخوان المسلمين الأولى ثم مجلة النذير الأسبوعية . . وأظن أننا وصلنا فى هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة . خطونا الخطوة الثانية فى صور عدة أهمها :

١ - الأسر : (محضن العلاقات الأخوية) .

٢ - الكتائب : (معهد التربية الروحية) .

٣ - الرحلات : (محضن العلاقات الاجتماعية) .

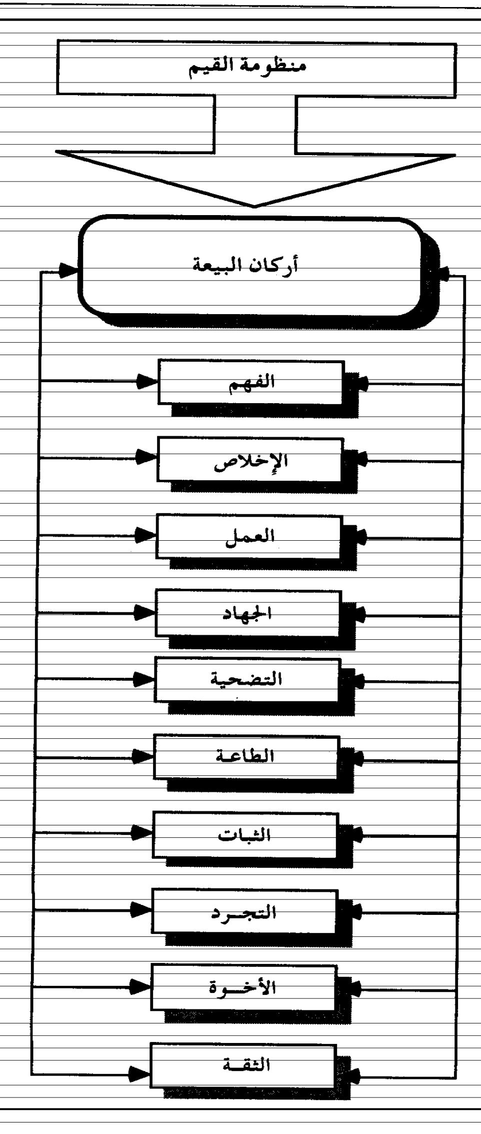
٤ - الدورات : (مركز التأهيل والتدريب) .

٥ - المخيمات : (معهد التربية الجسمية) .

٦ - المؤتمرات : (معهد التربية العلمية والفكرية) (رسالة المؤتمر الخامس) .

ثالثًا : مخرجات التربية

إن الهدف الأساسى من التربية هو تكوين الأفراد وتعبئتهم وإعداد الرجال الذين يحملون على كاهلهم واجب نشر الفكرة وتبليغها، وتمكين مشروع النهضة من أجل استئناف الحياة الكريمة على أسس الإسلام من جديد . وأهم مردود نتوقعه من التربية أن تخرِّج لنا أفرادًا يتمثلون مجموعة من القيم يعيشون بها ولها . والمتتبع لكلام الأستاذ البنا يجد أنه طرح «منظومة قيمية» تشمل أهم المواصفات التى ينبغى أن يتحلى بها الإنسان تجاه نفسه وتجاه الجماعة . ويوضح الرسم التالى مكونات منظومة القيم .


منظومة القيم
أركان البيعة
الفهم
الإخلاص
العمل
الجهاد
التضحية
الطاعة
الثبات
التجرد
الأخوة
الثقة

كما يفصل الجدول التالى الأهداف التى يتعين على الأخ أن يحققها تجاه نفسه وتجاه الجماعة، والوسائل أو الواجبات التى يتعين عليه القيام بها لتحقيق هذه الأهداف، فى ضوء منظومة القيم (أركان البيعة) سالفة الذكر.

جدول إصلاح النفس

الأهداف	الوسائل (الواجبات)
١ – أن يكون قوى الجسم (أداء الواجبات الصحية)	١ – الكشف الصحى، والعلاج، والوقاية الجسمانية.
	٢ – الابتعاد عن المنبهات والتدخين.
	٣ – الاعتناء بالنظافة.
	٤ – تجنب الخمر والمسكر والمفتر.
	٥ – الرياضة والتدريب.
٢ – أن يكون متين الخلق (أداء الواجبات الأخلاقية)	١ – صادق الكلمة فلا تكذب أبداً.
	٢ – الوفاء بالعهد والكلمة والوعد.
	٣ – الشجاعة فى الحقوق والاعتراف بالخطأ.
	٤ – الوقار والجد والفكاهة الرزينة.
	٥ – الحياء والإحساس والتواضع.
	٦ – العدل والإنصاف وامتلاك الغضب.
	٧ – تقديم الخدمات العامة.
	٨ – الرحمة والكرم والسماحة والرفق.
٣ – أن يكون مثقف الفكر (أداء الواجبات الثقافية)	١ – الورد اليومى وتلاوة القرآن وتدبره والاستماع إليه.
	٢ – دراسة السيرة وتاريخ السلف.
	٣ – مطالعة الأحاديث، وحفظ الأربعين النووية.
	٤ – دراسة رسالة فى العقائد، ورسالة فى فروع الفقه.
	٥ – تكوين مكتبة خاصة، تعينك على الإلمام العام.

الأهداف	الوسائل (الواجبات)
٤ - أن يكون قادراً على الكسب (أداء الواجبات العملية والمالية)	١ - مزاولة العمل الحر .
	٢ - عدم الحرص على الوظيفة الحكومية .
	٣ - إتقان العمل وعدم الغش .
	٤ - حسن التقاضى وأداء حقوق الناس .
	٥ - تجنب وسائل الكسب الحرام .
	٦ - الابتعاد عن الربا فى جميع المعاملات .
	٧ - خدمة الثروة الإسلامية ، والحرص على الاقتصاد الوطنى
	٨ - الاشتراك فى الدعوة بجزء من المال الخاص .
	٩ - الادخار للطوارئ والابتعاد عن الكماليات .
٥ - أن يكون سليم العقيدة (أداء الواجبات العقائدية)	١ - فهم الإسلام أنه نظام شامل لكل مناحى الحياة .
	٢ - الإيمان بآيات الصفات ومنع التأويل والتعطيل .
	٣ - عدم تكفير المسلم الذى أقر بالشهادتين .
	٤ - كيفية الدعاء إلى الله ليست من مسائل العقيدة .
	٥ - إنكار معرفة ادعاء الغيب ومحاربته .
	٦ - زيارة القبور سنة بالكيفية المأثورة .
	٧ - محبة الصالحين والأولياء قربة إلى الله تعالى .
	٨ - محاربة البدع التى ليس لها أصل فى دين الله .
٦ - أن يكون صحيح العبادة (أداء الواجبات التعبدية)	١ - دوام رقابة الله تعالى .
	٢ - إحسان الطهارة والوضوء .
	٣ - أداء الصلاة فى أوقاتها .
	٤ - صيام رمضان ، وحج البيت .

الأهداف	الوسائل (الواجبات)
	٥ – استصحاب نية الجهاد.
	٦ – تجديد التوبة والاستغفار.
	٧ – مجاهدة النفس والغرائز.
٧ – أن يكون مجاهداً لنفسه (أداء واجبات المجاهدة)	١ – التقرب إلى الله بالطاعات.
	٢ – الابتعاد عن المعاصى.
	٣ – تغليب الحسنات على السيئات.
	٤ – الإكثار من العمل الصالح وفعل الخير.
٨ – أن يكون حريصاً على وقته (أداء واجبات كفاءة استخدام الوقت)	١ – إنفاق الوقت بما يعود بالخير.
	٢ – إدراك فقه الأولويات.
	٣ – التعود على تنظيم الوقت وحسن توزيعه.
٩ – أن يكون منظماً فى شئونه (أداء واجبات كفاءة التنظيم)	١ – تنظيم العمل والمكتب والأوراق.
	٢ – تنظيم العلاقات الأسرية والاجتماعية.
	٣ – تنظيم الاجتماعات والواجبات.
١٠ – أن يكون نافعاً لغيره (أداء واجبات التكافل والنفع للغير)	١ – تأدية حقوق الأخوة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار.
	٢ – الاشتراك فى تنمية الثروة الإسلامية بتشجيع المشروعات الإسلامية.
	٣ – التدرب على الخدمات العامة.

ولقد ختم الأستاذ البنا هذه الأهداف والواجبات بقوله :

«أيها الأخ الصادق : هذا مجمل لدعوتك ، وبيان موجز لفكرتك ، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ فى خمس كلمات : الله غايتنا ، والرسول قدوتنا ، والقرآن شرعتنا ، والجهاد سبيلنا ، والشهادة أمنيتنا ، وأن تجمع مظاهرها فى خمس كلمات أخرى : البساطة ، والتلاوة ، والصلاة ، والجندية ، والخلق . فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم ، وإلا ففى صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين . وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك ، كان جزاؤك العزة فى الدنيا والخير والرضوان فى الآخرة» (رسالة التعاليم) .

* * *



الباب الثالث

بناء الدولة النموذج

تمهيد : أصول البناء وشعائرها العملية .

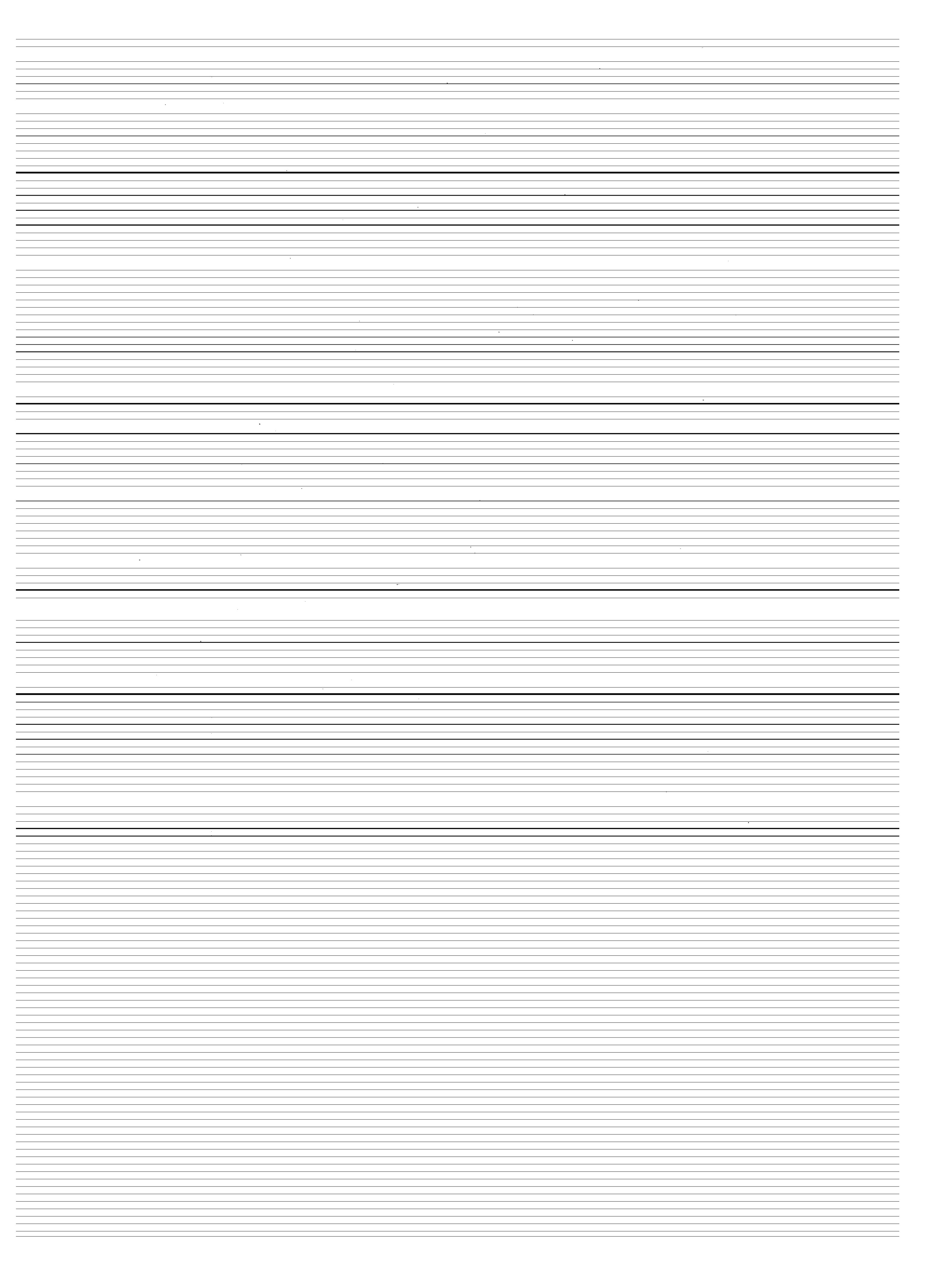
الفصل الحادى عشر : الفكر السياسى .

الفصل الثانى عشر : العمل السياسى .

الفصل الثالث عشر : البرنامج السياسى .

الفصل الرابع عشر : سياسة الدولة .

الفصل الخامس عشر : الجانب الحضارى للدولة .



تمهيد

أصول البناء وشعائرها العملية

كتقديم ضرورى لبناء الدولة وفقًا للمشروع الحضارى للأستاذ البنا، يحدد الأستاذ البنا أصول بناء الدولة الإسلامية وأساسيات الإصلاح الاجتماعى الشامل المستمدة من الكتاب والسنة، ثم يفصل بعد ذلك الواجبات التى يتعين على الفرد والمجتمع المسلم أن ينهض بها تنفيذاً لهذه الأصول وتثبيتًا لها على أساس تشغيلى فاعل. وعليه، سنقدم بشىء من التفصيل - وفقًا لفكر الأستاذ البنا - هذين العنصرين الأساسيين فى بناء الدولة الإسلامية.

البند الأول: أصول البناء

يقرر الأستاذ البنا حقيقة أن «القرآن هو الجامع لأصول الإصلاح الاجتماعى الشامل»، ومن ثم هو أساس بناء الدولة الإسلامية. وعليه، يفصل هذه الأصول، التى أكد أنها تكاد تنحصر فيما يلى:

١ - الربانية.

٢ - التسامى بالنفس الإنسانية.

٣ - تقرير عقيدة الجزاء.

٤ - إعلان الأخوة بين الناس.

٥ - النهوض بالرجل والمرأة جميعًا، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقًا.

٦ - تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب.

٧ - ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

٨ – الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية.

٩ – تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها.

١٠ – إلزام الأمة الجهاد فى سبيل مبادئ الحق التى جاء بها هذا النظام.

١١ – اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص وإبلاغها إلى الناس جميعًا (رسالة بين الأمس واليوم).

البند الثاني : الشعائر العملية

وهنا، يفصل الأستاذ البنا الواجبات التى يتعين على الفرد والمجتمع القيام بها تنفيذاً وتثبيتاً للأصول الكفيلة ببناء الدولة الإسلامية. وفى هذا يقول :

«وقد خالف هذا النظام القرآنى غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية، فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس، ولا آراء فى الكتب، ولا كلمات على الأفواه والشفاه، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية، وألزم الأمة أن تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل فى تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامى وتطوّح به إلى مكان سحيق» (رسالة بين الأمس واليوم).

ويحدد الأستاذ البنا أهم هذه الشعائر (الواجبات) أو الفرائض التى جعلها هذا النظام « سياجًا لتركيز مبادئه »، فيما يلى :

١ – الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار... إلخ.

٢ – الصيام والعفة والتحذير من الترف.

٣ – الزكاة والصدقة والاتفاق فى سبيل الخير.

٤ – الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر فى ملكوت الله.

٥ – الكسب والعمل وتحريم السؤال.

٦ - الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم.

٧ - الأمر بالمعروف وبذل النصيحة.

٨ - النهى عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه.

٩ - التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة فى فنون الحياة المختلفة، كل فيما يليق به.

١٠ - حسن المعاملة وكمال الخلق بالأخلاق الفاضلة.

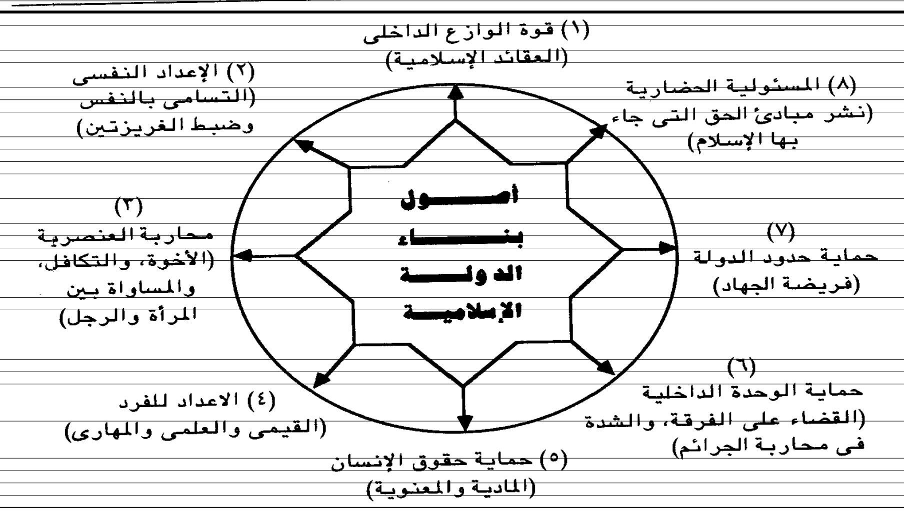
١١ - الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

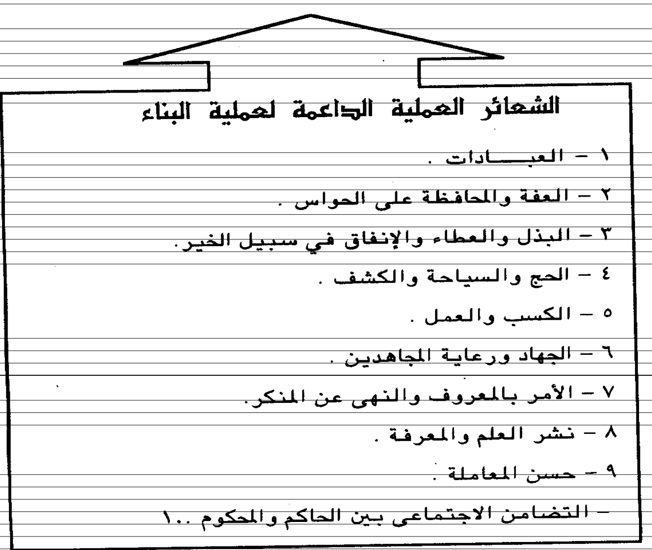
١٢ - التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معًا
(رسالة بين الأمس واليوم).

ويشدد الأستاذ البنا على أهمية تنفيذ هذه الفرائض بقوله:

«فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآنى، وعليه ألا يقصر فى شيء منها، وقد ورد ذكرها جميعًا فى القرآن الكريم، وبينتها بيانًا شافيًا أعمال النبى ﷺ وأصحابه والذين اتبعوه بإحسان فى بساطة ووضوح، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوى وتركز مبدأ أو عدة مبادئ من التى جاء هذا النظام لتحقيقها، وإفادة الناس بنتائجها وآثارها» (رسالة بين الأمس واليوم).

ويمكن تلخيص أصول بناء الدولة الإسلامية والواجبات العملية الداعمة لهذا البناء فى الرسم البيانى التالى:

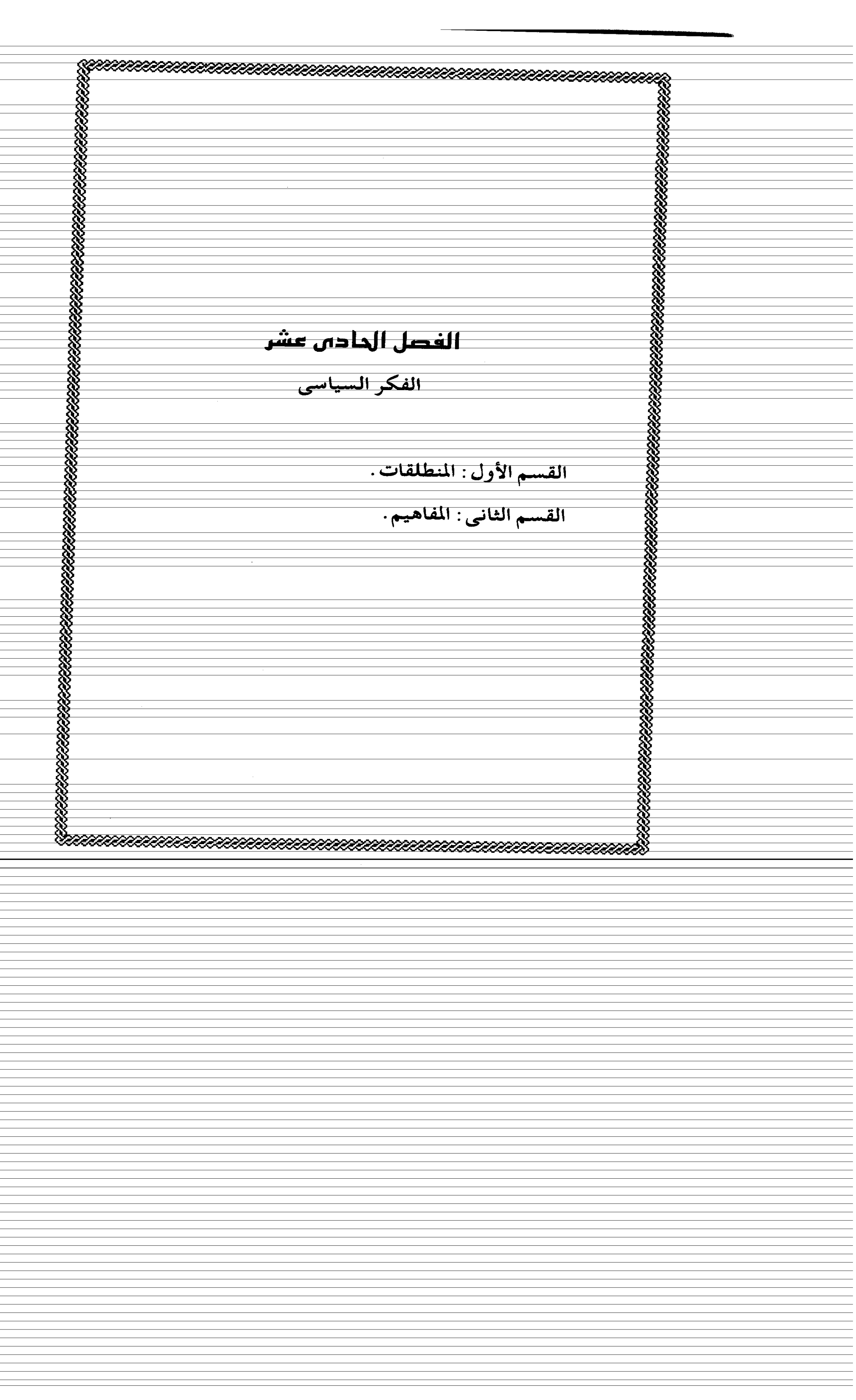




الشعائر العملية الداعمة لعملية البناء

١ - العبـــادات .
٢ - العفة والمحافظة على الحواس .
٣ - البذل والعطاء والإنفاق في سبيل الخير.
٤ - الحج والسياحة والكشف .
٥ - الكسب والعمل .
٦ - الجهاد ورعاية المجاهدين .
٧ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
٨ - نشر العلم والمعرفة .
٩ - حسن المعاملة .
١٠ - التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم .

* * *



الفصل الحادى عشر

الفكر السياسى

القسم الأول : المنطلقات .

القسم الثانى : المفاهيم .

تقـديم

بدايةً، لتحديد الفكر السياسى الذى يحكم مشروع النهضة وعملية بناء الدولة وفقًا له، يستحسن أن نقدم تعريفًا مختصرًا لماهية السياسة ولماهية الدولة.

(١) مفهوم السياسة:

للسياسة تعريفات متعددة منها: أنها فن الحكم وتسيير الدول، أو هى القوة أو القدرة على الوصول إلى المراد، أو فن التنازلات المتبادلة والإجماع.

ويعرفها ابن القيم فى (السياسة الحكيمة) قائلاً: « السياسة ما كان فعلاً يكون الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يضعه رسول ولا نزل به وحى، فأى طريق استخرج به العدل فهو من الدين ».

(٢) مفهوم الدولة:

الدولة هى الجهة التى تمتلك شرعية استخدام القوة أو السلطة، أو هى الهيئة السياسية المستقلة بتنظيم الحياة العامة على مساحة من الأرض عبر مؤسسات دائمة. والسلطة هى القوة المشروعة.

وعليه، سنعرض فى القسمين التاليين بشىء من الإيجاز للمنطلقات الرئيسة والمفاهيم الأساسية للفكر السياسى عند الأستاذ البنا كإطار لمشروع النهضة وبناء الدولة.

* * *

القسم الأول

المنطلقات

يحدد الأستاذ البنا عدداً من المنطلقات الحاكمة للفكر السياسى فى مشروع النهضة.. فمثلاً يؤكد على حقيقة كون المسلم سياسيًا من منطلق إسلامه، فيقول:

«إن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيًا، بعيد النظر فى شئون أمته، مهتمًا بها غيورًا عليها. وأستطيع كذلك أن أقول أن هذا التحديد والتجريد أمر لا يقره الإسلام، وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع فى رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هى نفسها إلى أن تفهم معنى الإسلام» (رسالة المؤتمر الخامس).

أ - **شمولية الإسلام تفرض العمل السياسى**: ولتأكيد هذه الحقيقة، يقرر شمولية الإسلام كدين ونظام حياة كامل يشمل بالقطع الجانب السياسى، فيقول:

«كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك، إن الإخوان المسلمين هيئة سياسية: لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد» (رسالة المؤتمر الخامس).

ب - **الدولة ممثلة للفكرة**: ويقرر أن تطبيق الإسلام كمنهج حياة كامل يتحقق من خلال «الدولة الإسلامية»، فيقول:

«اعتبار «الدولة» ممثلة «للفكرة» وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص، وإبلاغها إلى الناس جميعاً». «....

دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس» (رسالة بين الأمس واليوم) .

جـ - لا يسع المسلم إهمال التنفيذ: وتحت «نحن والسياسة»، يؤكد الأستاذ البنا سياسية الحركة كفهم صحيح للإسلام، وتطبيق دقيق لمنهجه، إصلاحًا للأداة التنفيذية وإقامةً للدولة الإسلامية . وفى ذلك يقول :

«إننا سياسيون بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا ، ونعتقد أن القوة التنفيذية جزء من تعاليم الإسلام تدخل فى نطاقه وتندرج تحت أحكامه . وأن الحرية السياسية والعزة القومية ركن من أركانه وفريضة من فرائضه ، وأننا نعمل جاهدين لاستكمال الحرية لإصلاح الأداة التنفيذية فنحن كذلك» (رسالة المؤتمر السادس) .

د - على الأمة مطالبة حكامها بحقوقها الإسلامية: ويحث الأستاذ البنا الأمة للمطالبة بحقوقها الإسلامية ومنها السياسية، فيقول :

«وكلمة لابد من أن نقولها فى هذا الموقف هى إن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عاصروها . . من ينهض بهذا العبء ، أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية ، فلتعلم الأمة ذلك ، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية ، وليعمل الإخوان المسلمون» (رسالة المؤتمر الخامس) .

هـ - الإقناع ونشر الدعوة والنضال الدستورى . . الوسيلة الأسلم للمجتمع: ويحدد الأستاذ البنا لتحقيق هذه الغاية بنشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ومن خلال الاشتراك الفاعل فى الحياة السياسية، فيقول :

«أما وسائلنا العامة فالإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر . . . ثم النضال الدستورى ، حتى يرتفع صوت هذه الدعوة فى الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية ، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجىء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها فى الهيئات النيابية ، ونحن واثقون بعون الله من النجاح ما دمنا نبتغى

بذلك وجه الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٤٠]»
(رسالة المؤتمر السادس).

و - **الحكومة ركن من أركان الإسلام** : وأخيراً، يشدد الأستاذ البنا فى إيضاحه لموقف الإخوان من الحكم على حقيقة أن الحكومة ركن من أركان النظام الإسلامى، فيقول :

«وهذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه : (إنَّ الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ...» (رسالة المؤتمر الخامس).

ويؤكد الأستاذ البنا هذه الحقائق التى تنبثق جميعًا من مبدأ أن السياسة جزء لا يتجزأ من الإسلام والنظام الاجتماعى الإسلامى. وهذا يتضح جليًا فى كتاباته. ومن أمثلة ذلك ما يلى :

١ - **الإسلام وضع إطاراً سياسيًا فيه سعادة الدنيا وصلاح الآخرة** : وهنا، يحدد الأستاذ البنا الغاية السياسية للإسلام، فيقول :

«يا قومنا : لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإن للإسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة؛ وتلك هى سياستنا لا نبغى بها بديلاً فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الآخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

٢ - **الإسلام لا يفصل بين الدين والسياسة** : ثم يقرر الأستاذ البنا إحدى الثوابت الإسلامية وهى عدم الفصل بين الدين والسياسة، فيقول :

«قلما تجد إنسانًا يتحدث عن السياسة والإسلام إلا وجدته يفصل بينهما فصلاً، ويضع كل واحد من المعنيين فى جانب، فهما عند الناس لا يلتقيان ولا يجتمعان، ومن هنا سميت هذه جمعية إسلامية لا سياسية، وذلك اجتماع دينى لا سياسة فيه، ورأيت فى صدر قوانين الجمعيات الإسلامية ومناهجها (لا تتعرض للشئون السياسية)...».

«فحدثونى بربكم أيها الإخوان: إذا كان الإسلام شيئًا غير السياسة وغير الاجتماع، وغير الاقتصاد، وغير الثقافة، فما هو إذن؟.. أهو هذه الركعات الخالية من القلب الحاضر، أم هذه الألفاظ التى هى كما تقول رابعة العدوية: استغفار يحتاج إلى استغفار، ألهذا أيها الإخوان نزل القرآن نظامًا كاملاً محكمًا مفصلاً ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]» (رسالة مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

٣ - السياسة والحكم أصل من أصول الشريعة لا ينفصلان عن بقية الأصول: ويفصل الأستاذ البنا كون السياسة أصلاً من أصول الشريعة، فيقول:

«يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به للناس، فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام... يقول تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فمن ظن أن الدين - أو بعبارة أدق الإسلام - لا يعرض للسياسة.. أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بالإسلام، ولا أقول ظلم الإسلام، فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها. كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها»

(رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: ١- نظام الحكم).

٤ - السكوت عن الحكم جريمة، والمطالبة به واجب إسلامى: ثم يحذر الأستاذ البنا من جريمة السكوت على عدم تطبيق شرع الله، ويحث المصلحين الإسلاميين على المطالبة بهذا الهدف فيقول:

«وهذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: (إنَّ الله لَيَـزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ...». «قد يكون مفهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه، وإيصالاً لآياته وأحاديث نبيه ﷺ، وأما والحال كما نرى: التشريع الإسلامى فى واد والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف» (رسالة المؤتمر الخامس).

٥ - **الاعتدال والعقلانية فى منهجية التعامل مع مسألة الحكم**: وأخيراً، يقرر بوضوح شديد أن غاية الإخوان المسلمين ليست الحكم وإنما غايتهم تطبيق شرع الله. وفى هذا يقول:

«وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله. وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة» (رسالة المؤتمر الخامس).

من هذه المنطلقات شديدة الوضوح، حدد الأستاذ البنا الفكر السياسى القائم على فهم صحيح للإسلام كمنهج حياة كامل وشامل، والذى يحدد - بدوره - سياسية حركة الإخوان المسلمين، ويحكم بالتالى مشروع النهضة وعملية بناء الدولة الإسلامية النموذج.

* * *

القسم الثانى

المفاهيم

قدم الأستاذ البنا العديد من المفاهيم الأساسية المحددة لمرتكزات مشروع النهضة.

من أهمها المفاهيم التالية:

(١) العروبة

أ – مفهوم العروبة: يقول الأستاذ البنا فى تحديد هذا المفهوم:

«.. إن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبى ﷺ، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: «ألا إن العربية اللسان، ألا إن العربية اللسان» (رسالة المؤتمر الخامس).

ب – منزلة العرب:

«العرب: هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخيّر، ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها، فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق فينا أبداً معنى الوحدة العربية والإسلامية، (إذا ذل العرب ذل الإسلام)... إن الإسلام نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه» (رسالة دعوتنا).

وعليه، تتلخص عناصر هذا المفهوم فيما يلى:

١ – كل من تكلم اللغة العربية فهو عربى.

٢ – إذا ذل العرب ذل الإسلام.

٣ – العرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخيّر.

٤ – الاعتزاز بالعروبة ليس من منطلق العصبية والتعالى والعدوان على الآخرين.

(٢) الوطنية

أ – مفهومنا للوطنية : تحديداً لهذا المفهوم، يقدم الأستاذ البنا عدداً من الجوانب :

١ – وطنية الحنين : حب الوطن

«إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى» (رسالة دعوتنا).

٢ – وطنية الحرية والعزة : استقلال الوطن

«وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً» (رسالة دعوتنا).

٣ – وطنية المجتمع : وحدة الوطن

«وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فذلك نوافقهم فيه أيضاً» (رسالة دعوتنا).

ب – أساس وطنيتنا : ثم ينتقل الأستاذ البنا لتحديد أساس الوطنية فيقول :

«ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصاً لأوطانهم وتفانياً في خدمة هذه الأوطان واحتراماً لكل من يعمل لها مخلصاً، وها قد علمت إلى أي حد يذهبون في وطنيتهم وإلى أي عزة يبغون بأمتهم. ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية... وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط في أي شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا» (رسالة إلى الشباب).

جـ – حدود وطنيتنا: ويفصل الأستاذ البنا حدود الوطنية الإسلامية، فيقول:

«أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية....، ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر ذلك الفارق العملى فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوى نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أى قطر إسلامى، وإنما نطلب القوة لنا جميعًا، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون فى ذلك بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العدو بعضهم ببعض» (رسالة دعوتنا).

د – غاية وطنيتنا: وفى النهاية، يبين الأستاذ البنا غاية الوطنية الإسلامية، فيقول:

«إن الوطنيين فقط، جلُّ ما يقصدون إليه، تخليص بلادهم، فإذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك، اهتموا بالنواحى المادية كما تفعل أوربا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم فى عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله فى سبيل أدائها تلك هداية البشر بنور الإسلام....» (رسالة دعوتنا).

وعليه، تتلخص عناصر هذا المفهوم وفقًا لفكر الأستاذ البنا، فيما يلى:

١ – حب الوطن من الفطرة والدين.

٢ – تحرير البلاد والحفاظ على استقلالها واجب إسلامى.

٣ – الرابطة الوطنية بين أفراد المجتمع مبدأ إسلامى.

٤ – أساس وطنيتنا هى العقيدة الإسلامية.

٥ – حدود وطنيتنا بالعقيدة وليست بالحدود الجغرافية.

٦ – وطنيتنا ذات رسالة موجهة لكل العالم.

(٣) القومية

أ - مفهومنا للقومية : لتحديد هذا المفهوم يقدم الأستاذ البنا الجوانب التالية :

١ - قومية المجد :

«إن كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف فى مراقى المجد.. فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به.. (الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا)» (رسالة دعوتنا).

٢ - قومية الأمة :

«وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك... وإذا قصد بالقومية أننا جميعًا مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها ، حتى نلتقى إن شاء الله فى ساحة النصر فنعم التقسيم هذا ، .. كل هذا وأشباهه فى معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام ، وهو مقياسنا ، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه» (رسالة دعوتنا).

٣ - لا للقومية الجاهلية :

«أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرت ، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس... فذلك فى القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيئ المغبة . (إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء ، الناس لآدم ، وآدم من تراب ، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى)» حديث شريف (رسالة دعوتنا).

د - مرتكزات قوميتنا : وفى النهاية ، يبين الأستاذ البنا مرتكزات القومية «الإسلامية» ، فيقول :

«ترتكز قوميتنا على الولاء الكامل لله وللرسول وللمؤمنين: «إليّ إليّ يا أخي واسمع قول الله تبارك وتعالى:

١ - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

٢ - ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

٣ - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

٤ - ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

٥ - ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

٦ - ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

٧ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

٨ - ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

٩ - (يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا بنى آدم جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا فقلتم فلان ابن فلان، وقلت: [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] فاليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم).

«أيها الأخ العزيز: إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف فى أعمال جدودهم، ولما يقصدون إليه من نفخ روح العزة والكرامة فى نفوس أبنائهم، ليس وراء هذين المقصدين شيء، أفلا ترى فى نسبتك إلى الله تبارك وتعالى أسمى ما يطمح إليه الطامحون من معانى العزة والمجد: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] وأولى ما يرفع نفسك إلى عليين، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين، وأى شرف

أكبر وأى رافع إلى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيًا، بالله صلتك وإليه نسبتك، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩]» (رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

وعليه، تتلخص سمات القومية من منظور إسلامى فى فكر الأستاذ البنا، فيما يلى:

١ - الاعتزاز بالانتماء القومى والتاريخى وتبعية الخلف للسلف.

٢ - أولوية الاهتمام القومى والأحقية بالخير والإحسان لهم.

٣ - محاربة الاعتزاز بالعرق والجنس والعادات الجاهلية.

٤ - ارتكاز قوميتنا على الولاء الكامل لله ولرسوله وللمؤمنين.

(٤) العالمية

أ - المفهوم الإسلامى للعالمية: ولتحديد هذا المفهوم، يقول الأستاذ البنا:

«وأما دعوتنا عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها أخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: ١]. **فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكنا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بنى الإنسان... يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾** [الحجرات: ١٣]. **ويقول نبيه ﷺ: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية) رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه»** (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

ب - العالمية الحلقة الأخيرة فى مشروعنا: ويحدد بوضوح أن «غايتنا العظمى» هى العالمية، فيقول:

«أما العالمية أو الإنسانية فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الإصلاح. والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة فهذا التجمع فى أمم، والتكتل فى الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التى آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التألف الوحدة الأخيرة. وهى خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم فى هذا البناء الإنسانى لبنته وليس علينا أن يتم البناء، فلكل أجل كتاب» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

وعليه، تتلخص «العالمية» – وفقًا لفكر الأستاذ البنا – فى عدد من الجوانب، هى:

١ – الدعوة إلى الأخوة الإنسانية والوحدة العالمية.

٢ – نبذ العنصرية الجنسية والعرقية.

٣ – الدعوة إلى نظام عالمى جديد ولكن على أسس عادلة.

٤ – احترام القانون الدولى بشرط تنفيذه بعدالة ومساواة.

٥ – الإيمان بالناتج الحضارى وأخذ النافع المفيد من الآخرين.

وفى النهاية، يمكننا القول باطمئنان، أن المفاهيم الأساسية المحددة لمرتكزات مشروع النهضة من «وطنية»، و«عروبة»، و«قومية»، و«عالمية»، لا ترتبط بحدود جغرافية، وإنما تقوم على محددات عقيدية، تنبذ العنصرية وتدعو إلى الله، ومن ثم غايتها العظمى هى العالمية أو الإنسانية.. أى هداية البشر جميعًا بنور الإسلام.

* * *

الفصل الثانى عشر

العمـل السيـاسـى

القسم الأول : الأهداف السياسية للدعوة .

القسم الثانى : أساليب العمل السياسى .

القسم الثالث : مراحل العمل السياسى .

القسم الرابع : المواقف السياسية للدعوة .

القسم الأول

الأهداف السياسية للدعوة

١ - تحرير الوطن الإسلامى :

كان طبيعيًا أن يكون الهدف الأول للدعوة هو تحرير الوطن الإسلامى . وفى ذلك يقول الأستاذ البنا :

«أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وذلك حق طبيعى لكل إنسان لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر» (رسالة بين الأمس واليوم) .

٢ - وحدة الوطن الإسلامى :

ثم يؤكد الأستاذ البنا على ضرورة وحدة الوطن الإسلامى، فيقول :

«ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية، وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية . ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية، التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها . فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول : لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض» (رسالة إلى الشباب) .

٣ - إقامة الدولة الإسلامية :

وبعد التحرير والوحدة للوطن الإسلامى، يتمثل الهدف الثالث فى إقامة الدولة الإسلامية، وفى هذا يقول :

«أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام

وتطبق نظامه الاجتماعى، وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة الناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها. ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادىء الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام» (رسالة بين الأمس واليوم).

٤ – تحقيق الوحدة العربية:

ويشدد الأستاذ البنا على الوحدة العربية كنواة أساسية للوحدة الإسلامية فيقول:

«وحدة العرب أمرٌ لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية» (رسالة المؤتمر الخامس).

٥ – تحقيق الوحدة الإسلامية:

ثم يقرر أن الهدف النهائى هو الوحدة الإسلامية، فيقول:

«الإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام» (رسالة المؤتمر الخامس).

ثم يلخص الأستاذ البنا الأهداف السابقة جميعاً.. فيقول إن الهدف السياسى الأسمى لمشروع النهضة يتمثل فى:

«إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة» (رسالة التعاليم).

* * *

القسم الثانى

أساليب العمل السياسى

يرى الأستاذ البنا أن التمهيد لبناء الدولة الإسلامية لا يتم إلا بالعمل السياسى، والذى يأخذ بدوره أشكالاً متنوعة، ويمر بأدوار متعددة. وتتميز الأدوار هذه بتنوع الأساليب لإحداث النشاط السياسى، ويمكن الاستفادة من جميع الأساليب ما دامت مشروعة، ولا تنافى أصلاً من أصول الشريعة، وتقود إلى مصلحة راجحة. وقد مارست الدعوة عمليًا الكثير من الوسائل منها على سبيل المثال:

- النشاط الإعلامى المكثف.
- مخاطبة أولى الأمر.
- عقد اللجان الدستورية وتقديم الاقتراحات.
- إعداد البرامج الإصلاحية، ورفعها إلى المسئولين.
- التصريحات السياسية المعبرة عن مواقف الجماعة.
- دخول المجالس النيابية، وإقامة أحزاب أو المشاركة فيها.
- إعلان المطالب السياسية بوضوح.
- إقامة التحالفات السياسية.

* * *

القسم الثالث

مراحل العمل السياسى

يرى الأستاذ البنا فى رسالة المؤتمر الخامس أن استقراء الدعوات عبر التاريخ يضعنا أمام ثلاث مراحل رئيسة تمر بها كل دعوة :

١ - مرحلة التعريف :

حيث يتم تعريف الجمهور بالفكرة ومحتواها . ومن سمات هذه المرحلة عند الأستاذ البنا :

- إيضاح الأفكار الصحيحة للناس .
- التعريف المكثف بالجماعة .
- تفعيل دور العلماء فى السياسة .
- وضع سياسات تضبط العمل فى هذه المرحلة .

٢ - مرحلة التكوين :

حيث يتم اختيار العناصر الفاعلة وبناء المؤسسات، ومن سمات هذه المرحلة فى فكر الأستاذ البنا :

- تأليف اللجان الدستورية .
- تأليف اللجان القانونية .
- إعداد البرامج الإصلاحية المتكاملة .
- النقد المنهجى للأوضاع .

٣ - مرحلة التنفيذ :

حيث تناضل الدعوة لوضع برامجها موضع التنفيذ، ومن سمات هذه المرحلة فى

فكر الأستاذ البنا:

- السعى للدخول إلى مجلس النواب.
- التعبئة الجماهيرية.
- التصعيد المطلبى.

* * *

القسم الرابع

المواقف السياسية للدعوة

ووفقًا لأهداف العمل السياسى للدعوة وأساليب هذا العمل ومراحله، حدد الأستاذ البنا بوضوح شديد موقفه، أو إن شئت قلت، المواقف السياسية للدعوة، وذلك فيما يتصل بالجوانب المختلفة لمشروع النهضة، ومن أهمها ما يلى :

١ - الحكم.

٢ - الدستور.

٣ - القانون.

٤ - الحزبية.

٥ - الأقليات والأجانب.

٦ - مشاركة المرأة فى العمل السياسى.

٧ - الديمقراطية.

٨ - الوحدة.

٩ - حقوق الإنسان.

(١) الحكم

(١) الحكم جزء من المنهج :

يرى الأستاذ البنا أن الحكم جزء من تنفيذ مشروع النهضة، فيقول :

«ويتساءل فريق آخر من الناس : هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضًا فى حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب . . .

هذا الإسلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنًا من

أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث رضى الله عنه: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). وقد جعل النبى ﷺ الحكم عروة من عرى الإسلام. والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء» (رسالة المؤتمر الخامس).

٢ - لا يمكن للمسلم أن يقر نظامًا لا يستند إلى الإسلام:

وعن طبيعة الحكم الذى ندعو إليه، يبينه بوضوح الأستاذ البنا بقوله:

«نحن لا نعترف بأى نظام لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، وسنعمل على إحياء الحكم الإسلامى بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساسه..» (رسالة المؤتمر الخامس).

٣ - العمل على التمكين للشريعة واجب والسكوت عن ذلك إثم:

ويشدد على ضرورة تمكين الشريعة، فيقول:

«إن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.. فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله» (رسالة المؤتمر الخامس).

٤ - غاية الإخوان تحكيم الشريعة لا الحكم بحد ذاته:

ثم يحدد الإخوان الغاية الحقيقية من الدعوة وفقًا لفكر الأستاذ البنا فيقولون:

«يعتبر الإخوان المسلمون أنفسهم دعاة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ويستهدفون من خلال دعوتهم تطبيق شرع الله كما أمر، وذلك

من خلال الوسائل السلمية المتاحة وعبر المؤسسات الدستورية القائمة، ولا يسعى الإخوان إلى الحكم طلبًا وأملاً فيه كما يفعل الكثير من الناس هذه الأيام. ولكن إذا جاءهم عن طريق صناديق الاقتراع الحر النزيه فإنهم لا يرفضونه من منطلق أنهم أصحاب برنامج إصلاحي ذي مرجعية إسلامية» (الإخوان وقضايا معاصرة).

٥ - النضال الدستورى هو الخيار المفضل:

وتحديدًا للوسيلة الخاصة بتحقيق هذه الغاية يقول الأستاذ البنا:

«أما وسائلنا العامة... ثم النضال الدستورى، حتى يرتفع صوت هذه الدعوة فى الأندية الرسمية وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية، وعلى هذا الأساس سيتقدم مرشحو الإخوان المسلمين حين يجىء الوقت المناسب إلى الأمة ليمثلوها فى الهيئات النيابية، ونحن واثقون بعون الله من النجاح مادمنا نبتغى بذلك وجه الله ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] (رسالة المؤتمر السادس).

٦ - لابد من وجود أرضية مسبقة يستند إليها الحكم الإسلامى:

ثم يوضح الأستاذ البنا أهمية التربية الصحيحة للتوصل إلى غاية الإخوان فى تطبيق شرع الله، فيقول:

«الإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلابد من فترة تنتشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على الخاصة...» (رسالة المؤتمر الخامس).

(٢) الدستور

(١) الفرق بين الدستور والقانون:

ويفرق الأستاذ البنا بين الدستور والقانون، فيقول:

«ويتساءل كذلك فريق من الناس ما موقف الإخوان المسلمين من الدستور...؟ وأحب قبل هذا أن نفرق دائمًا بين (الدستور) وهو نظام

الحكم العام الذى ينظم حدود السلطات وواجبات الحاكمين ومدى صلتهم بالمحكومين، وبين (القانون) وهو الذى ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض، ويحمى حقوقهم الأدبية والمادية ويحاسبهم على ما يأتون من أعمال» (رسالة المؤتمر الخامس).

(٢) مبادئ الحكم الدستورى :

وفى تحديد الموقف من الحكم الدستورى، يقول الأستاذ البنا :

«الواقع أيها الإخوان، إن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى التى تتلخص فى المحافظة على الحرية الشخصية بكل أنواعها، وعلى الشورى واستمداد السلطة من الأمة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحاسبتهم على ما يعملون من أعمال، وبيان حدود كل سلطة من السلطات، هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنها تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمه وقواعده فى شكل الحكم. ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة فى العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظامًا آخر» (رسالة المؤتمر الخامس).

(٣) أساسيات الدستور :

ويحدد الإخوان وفقًا لفكر الأستاذ البنا ما يجب أن يتضمنه دستور الأمة، فيقولون :

«وإننا مع التسليم بأن أحكام القرآن الكريم والسنة المطهرة هما الدستور الأسمى - ولا يُعتد ولا يُقبل من خالف أيهما - فإن الأمة لابد أن يكون لها دستور مكتوب تستنبط أحكامه من : نصوص الشريعة الغراء، ثم مراميها وغايتها وقواعدها الكلية، ثم بحقها فى تنظيم المباح. وأن الدستور يجب أن يضمن توازنًا بين اختصاصات مختلف المؤسسات التى تدير شئون الدولة، حتى لا يطغى بعضها على بعض أو يستبد أحدها بالأمر».

«كما ينبغى أن يتضمن من القواعد والأحكام ما يصون ويحفظ الحريات

العامة والحريات الخاصة لكل أفراد الشعب من مسلمين وغير مسلمين، ويجعل الحكم شورى استمداداً من الأمة، ويحدد مسئولية الحكام أمام الشعب، وكيفية محاسبتهم وتصويب وتقويم اعوجاجهم بطريقة سليمة ناجحة إذا ما قصروا، وإبدالهم إذا لزم الأمر، مما يقضي مجلساً نيابياً له سلطات تشريعية ورقابية ذات فاعلية، وتمثل الإرادة الشعبية نتيجة انتخابات حرة نزيهة وتكون قراراته ملزمة» (هذه دعوتنا).

(٣) القانون

(١) الإسلام وضح أصول التشريع وجزئيات الأحكام:

ويقرر الأستاذ البنا أن الإسلام جاء بأصول التشريع، فيقول:

«إن الإسلام لم يجيء خلواً من القوانين، بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مدنية أو جنائية، تجارية أو دولية. والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة وأقرها مؤتمر لاهاي الدولي أمام ممثلي الأمم من رجال القانون في العالم كله» (رسالة المؤتمر الخامس).

(٢) لا نقبل التناقض بين القانون والإسلام:

ثم يشدد على أن مشروع النهضة لا يقبل التناقض بين القانون والإسلام، فيقول:

«فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون في أمة إسلامية متناقضاً مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدماً بما جاء عن الله ورسوله، وقد حذر الله نبيه ﷺ ذلك من قبل، فقال تبارك وتعالى:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٤٩ – ٥٠].

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ - وَالظَّالِمُونَ - وَالْفَاسِقُونَ ﴾

[المائدة: ٤٤ - ٤٥ - ٤٧].

فكيف يكون موقف المسلم الذى يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام، ثم رأى نفسه محكومًا بقانون يصطدم معها؟.. على أن هذه القوانين الوضعية كما تصطدم بالدين ونصوصه، تصطدم بالدستور الوضعى نفسه الذى يقرر أن دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوفق بين هذين يا أولى الألباب؟ وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا وحظر الربا ومنع الخمور وحارب الميسر، وجاء القانون يحمى الزانية والزانى ويلزم بالربا ويبيح الخمر وينظم القمار، فكيف يكون موقف المسلم بينهما؟ أيطيع الله ورسوله ويعصى الحكومة وقانونها والله خير وابقى؟ أم يعصى الله ورسوله ويطيع الحكومة فيشقى فى الآخرة والأولى؟» (المؤتمر الخامس).

(٣) لا بد من تعديل القوانين بما يتفق مع التشريع الإسلامى:

ويؤكد الأستاذ البنا هذا المطلب الإسلامى الأساسى، فيقول:

«أما الإخوان المسلمون فهم لا يوافقون على هذا القانون أبدًا ولا يرضونه بحال، وسيعملون بكل سبيل على أن يحل مكانه التشريع الإسلامى العادل الفاضل فى نواحى القانون. ولسنا هنا فى مقام الرد على ما قيل فى هذه الناحية من شبهات أو ما يعترض سبيلها من توهم العقبات، ولكننا فى مقام بيان موقفنا الذى عملنا وسنعمل عليه متخطين فى سبيله كل عقبة، موضحين كل شبهة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» (رسالة المؤتمر الخامس).

(٤) الحزبية

١ - الحزبية السياسية من حيث المبدأ:

وفى نظرته للحزبية التى عاشها، يقرر الأستاذ البنا:

«إن لى فى الحزبية السياسية آراء هى لى خاصة ولا أحب أن أفرضها على

الناس، فإن ذلك ليس لى ولا لأحد، ولكننى كذلك لا أحب أن أكتمها عنهم... سأتناول المبدأ من حيث هو، وسأعرض للنتائج والآثار المترتبة عليه، وأدع الحكم على الأحزاب للتاريخ وللرأى العام... إن الحزبية السياسية إن جازت فى بعض الظروف فى بعض البلدان فهى لا تجوز فى كلها... ونريد أن نبنى أمتنا بناء قويًا يستلزم تعاون الجهود وتوافر القوى والانتفاع بكل المواهب، والاستقرار الكامل والتفرغ التام لنواحى الإصلاح. إن وراءنا فى الإصلاح الداخلى منهاجًا مطولاً، يجب أن نصرف كل الجهود إلى تحقيقه لإنقاذ هذا الشعب... الذى لا ينقصه إلا القيادة الصالحة والتوجيه القويم...» (رسالة مؤتمر الطلبة).

٢ - الحزبية غير المقبولة:

وبسبب سلبيات الحزبية فى عصره، يؤكد الأستاذ البنا:

«إن الإسلام وهو دين الوحدة فى كل شىء، وهو دين سلامة الصدور، ونقاء القلوب، والإخاء الصحيح، والتعاون الصادق بين بنى الإنسان جميعًا فضلاً عن الأمة الواحدة والشعب الواحد، لا يقر نظام الحزبية ولا يرضاه، ولا يوافق عليه، والقرآن الكريم يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] **ويقول رسول الله ﷺ: (هل أدلكم على أفضل من درجة الصلاة والصوم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هى الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)** (رسالة مؤتمر الطلبة).

٣ - نشأة الحزبية وهدفها:

ثم يقوم تجربة الحزبية فى عصره، فيقول:

«والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية جميعًا قد وجدت فى ظروف خاصة، ولدواع أكثرها شخصى لا مصلحى.. كما اتفقوا فى أمر آخر هو التهالك على الحكم وتسخير كل دعاية حزبية وكل وسيلة شريفة وغير شريفة فى سبيل الوصول إليه، وتجريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه» (رسالة المؤتمر الخامس).

٤ - الآثار السلبية للحزبية :

ويعدد الأستاذ البنا سلبية الأحزاب فى عصره، فيقول :

«ويعتقد كذلك أن هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر» (رسالة المؤتمر الخامس).

٥ - النظام النيابى ونظام الأحزاب :

ثم يرى أن النظام النيابى، بل البرلمانى، ليس فى حاجة إلى أحزاب بالصورة التى كانت عليها فى ذلك الوقت، فيقول :

«ويعتقدون كذلك أن النظام النيابى، بل حتى البرلمانى، فى غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحاضرة. وإلا لما قامت الحكومات الائتلافية فى البلاد الديمقراطية، فالحجة القائلة بأن النظام البرلمانى لا يتصور إلا بوجود الأحزاب حجة واهية وكثير من البلاد الدستورية البرلمانية تسير على نظام الحزب الواحد وذلك فى الإمكان» (رسالة المؤتمر الخامس).

٦ - الفرق بين الحزبية وحرية الرأى :

ويفرق بين الحزبية وحرية الرأى، فيقول :

«وفرق أيها الإخوان بين الحزبية التى شعارها الخلاف والانقسام فى الرأى والوجهة العامة وفى كل ما يتفرع منها، وبين حرية الآراء التى يبيحها الإسلام ويحض عليها، وبين تمحيص الأمور وبحث الشئون والاختلاف فيما يعرض تحريًا للحق، حتى إذا وضح نزل على حكمه الجميع، سواء أكان ذلك اتباعًا للأغلبية أو للإجماع، فلا تظهر الأمة إلا مجتمعة، ولا يرى القادة إلا متفقين» (رسالة مؤتمر الطلبة).

٧ - الائتلاف بين الأحزاب :

كما يرى عدم جدوى فكرة الائتلاف بين الأحزاب فى ذلك الوقت فيقول :

«إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكن لا علاج، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف. والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون» (رسالة المؤتمر الخامس).

٨ - الحزبية المقبولة:

ويقبل فى النهاية فكرة تعدد الأحزاب، بعد التمكين والتكوين، وإن كان يرفضها فى بداية هذه المرحلة نتيجة الفهم الخاص لها فيقول:

«وإذا جاز لبعض الأمم التى استكملت استقلالها وفرغت من تكوين نفسها أن تختلف وتتحزب فى فرعيات الأمور، فإن ذلك لا يجوز فى الأمم الناشئة أبداً، على أننا نلاحظ أن الحوادث العالمية قد ألجأت الأمم جميعًا إلى التجرد من الحزبية مطلقًا أو الإبقاء على حزبية صورية تقليدية مع الوحدة فى كل الاتجاهات» (رسالة مؤتمر الطلبة).

٩ - الحزبية النظيفة:

وعن إيمان الأستاذ البنا بالتعددية الحزبية والممارسة الحزبية الراشدة يقول:

«نحن دعوة القرآن الحق الشاملة الجامعة: طريقة صوفية نقية... وجمعية خيرية نافعة... ومؤسسة اجتماعية قائمة... وحزب سياسى نظيف يجمع الكلمة ويبرأ من الغرض ويحدد الغاية ويحسن القيادة والتوجيه» (رسالة فى اجتماع رؤساء المناطق ومراكز الجهاد).

١٠ - اجتهاد مكتب الإرشاد:

نظرًا لتغير المعطيات والظروف المحيطة، وغلبة النظام الشمولى الذى أدى إلى ضياع الحريات وقيام نظام استبدادى، وبعد نمو النضج السياسى بقدر معقول وذلك بعد أن قطعت الأمة شوطًا طويلاً بعد الاستقلال، لذا يرى المكتب «**إقرار النظام الحزبى التعددى كضمانة ضد الاستبداد الفردى**».

(٥) الأقليات والأجانب

١ - الموقف العام من الأقليات :

يحدد الأستاذ البنا موقف الإسلام من الأقليات، فيقول :

«يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساساً لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة، وهى دعامة النهوض فى هذا العصر. ولكن الحق غير ذلك تماماً، فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبساً ولا غموضاً فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨]» (رسالة نحو النور).

٢ - تقديس الوحدة الإنسانية والوحدة الدينية :

وفى نبذ شديد الوضوح للفرقة والتعصب، يشدد الأستاذ البنا على الوحدة الإنسانية والوحدة الدينية، فيقول :

«إن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣]. ثم قدس الوحدة الدينية العامة كذلك، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعاً فى قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٦ - ١٣٨].

هذا الإسلام الذى بنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن

أن يكون أتباعه سببًا فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط. وقد حدد الإسلام تحديداً دقيقًا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم، فقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩] (رسالة نحو النور).

٣ - الموقف من النصارى:

ثم يفصل الإخوان موقف الإسلام من المسيحيين استناداً على فكر الأستاذ البنا، فيقولون:

«وموقفنا من إخواننا المسيحيين فى العالم العربى موقف واضح وقديم ومعروف، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، وهم شركاء فى الوطن، وأخوة فى الكفاح الوطنى الطويل، لهم كل حقوق المواطن، المادى منها والمعنوى، المدنى منها والسياسى، والبر بهم والتعاون معهم على الخير فرائض إسلامية لا يمتلك المسلم أن يستخف بها أو يتهاون فى أخذ نفسه بأحكامها، ومن قال غير ذلك أو فعل غير ذلك فنحن براء منه ومما يقول ومما يفعل» (منشور بيان للناس).

٤ - الموقف من الأجانب:

ثم يذكر الموقف العام من الأجانب، فيقول:

«وموقفنا من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١١٩]» (رسالة نحو النور).

٥ - مفهومنا للمواطنة :

ثم يوضح الإخوان أخيراً مفهومًا دقيقًا للمواطنة، استناداً على فكر الأستاذ البنا فيقولون :

«يرى الإخوان أن المواطنة أو الجنسية التى تمنحها الدولة لرعاياها قد حلت مفهوم «أهل الذمة» وأن هذه المواطنة أساسها المشاركة الكاملة والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات، مع بقاء مسألة الأحوال الشخصية «زواج وطلاق ومواريث..» طبقًا لعقيدة كل مواطن. وبمقتضى هذه المواطنة وحتى لا يحرم المجتمع من قدرات وكفاءات أفراده، يرى الإخوان للنصارى حقًا فى أن يتولوا - باستثناء رئيس الدولة - كافة المناصب الأخرى مستشارين ومديرين ووزراء. ويمثل النصارى مع المسلمين نسيجًا اجتماعيًا وثقافيًا وحضاريًا واحداً تداخلت خيوطه وتآلفت ألوانه وتماسكت عناصره» (الإخوان وقضايا معاصرة).

(٦) مشاركة المرأة فى العمل السياسى

المبدأ العام :

- استقر فى الفقه الإسلامى أن المساواة قائمة بين الرجل والمرأة من حيث الأصل العام.
- واستقر مع ذلك أن المرأة معدة تكوينيًا لأدوار خاصة لا يستطيع الرجل القيام بها.

ومن ثم، رأى الأستاذ البنا :

«إن تنوع الاستعداد يعنى تنوع الأدوار، ويترتب على ذلك أن المرأة يجب أن تعد أساسًا لأداء أدوارها فى رعاية الأسرة وحضانة النشء، وأن عملها فى الخارج لا يكون إلا لضرورة، وخلاصة الرأى فى قوله :

«وهذه قضية مفروغ منها تقريبًا، فالإسلام قد أعلى منزلة المرأة ورفع قيمتها واعتبرها أختًا للرجل وشريكة له فى حياته، هى منه وهو منها (بعضكم من بعض) وقد اعترف الإسلام بحقوقها الشخصية كاملة وبحقوقها المدنية كاملة كذلك، وبحقوقها السياسية كاملة أيضًا، وعاملها على أنها إنسان كامل الإنسانية له حق وعليه واجب، يشكر إذا

أدى واجباته ويجب أن تصل إليه حقوقه، والقرآن والأحاديث فياضة بالنصوص التى تؤكد هذا المعنى وتوضحه» (رسالة المرأة).

● اجتهاد مكتب الإرشاد :

إن حق المرأة فى العمل السياسى وإعدادها للمشاركة العامة واجب إذا ما روعيت الضوابط الشرعية المعتبرة. وخلاصة فتوى المكتب ما يلى :

«**وعلى وجه العموم فليست المرأة جنسًا أدنى من الرجل، وقدمنا الأدلة على صحة اختيارنا الفقهى من أن للمرأة - كما للرجل - حق المشاركة فى الانتخابات النيابية والمحلية والنقابات، كما لها الحق فى أن تتولى مهام عضوية تلك المجالس، وكذلك الحق فى تولى المناصب القيادية، ما عدا الإمامة العظمى وما يندرج تحتها، أما ما يتعلق بالمناصب القضائية فالباب مفتوح للاجتهاد**» (منشور هذه دعوتنا).

(٧) الديمقراطية

١ - الالتزام بقواعد التجربة الديمقراطية :

إيمانًا بالشورى، يحدد الإخوان التزامهم بالنهج الديمقراطى وفقًا لفكر الأستاذ البنا، فيقولون :

«**يرى الإخوان المسلمون أن الإصلاح السياسى هو المدخل الحقيقى والأساسى لكل أنواع الإصلاح الأخرى، ويتلخص هذا الإصلاح فى ضرورة إجراء انتخابات تشريعية تكفل ضمانات الحيدة والنزاهة، وتشرف عليها السلطة القضائية إشرافًا كاملاً، بدءًا بإعداد كشوف جديدة للناخبين ومرورًا بتوقيع كل ناخب قرين اسمه فى كشوف الإدلاء بالأصوات وانتهاء بفرز وإعلان نتائج الفائزين. لقد هيأ الإخوان أنفسهم وأعلنوا استعدادهم للالتزام بقواعد الديمقراطية، ورغم أنه لا توجد موانع دستورية أو قانونية من أن يكون للإخوان حزبهم ووجودهم الدستورى والقانونى إلا أن غيرهم ،كذلك السلطة الحاكمة، لا يريدون أن يفسحوا للإخوان ولو موطىء قدم داخل التجربة الديمقراطية**» (الإخوان وقضايا معاصرة).

٢ - مبادئنا الديمقراطية :

ويحدد الإخوان المبادىء الديمقراطية التى يلتزمون بها، تأسيسًا على فكر الأستاذ البنا، فيقولون :

«لقد حدد الإخوان المبادىء الديمقراطية التى يلتزمون بها ويدعون الأحزاب والقوى السياسية الأخرى إلى تأييدها كميثاق وطنى، وهى موجزة فى خمسة عشر مبدأ كما يأتى :

١ - الإقرار التام بأن الشعب هو مصدر جميع السلطات، بحيث لا يجوز لأحد أو حزب أو جماعة أو هيئة أن تزعم لنفسها حقًا فى تولى السلطة أو الاستمرار فى ممارستها إلا استمداداً من إرادة شعبية حرة صحيحة.

٢ - الالتزام واحترام مبدأ تداول السلطة عبر الاقتراع العام الحر النزيه.

٣ - التأكيد على حرية الاعتقاد الخاص.

٤ - تأكيد حرية إقامة الشعائر الدينية لجميع الأديان السماوية المعترف بها.

٥ - تأكيد حرية الرأى والجهر به، والدعوة السلمية إليه فى نطاق النظام العام والآداب العامة والمقومات الأساسية للمجتمع، ويعتبر حرية تملك واستعمال وسائل الإعلام المختلفة ضرورة لتحقيق ذلك.

٦ - تأكيد حرية تشكيل الأحزاب السياسية وألا يكون لأى جهة إدارية حق التدخل بالمنع أو الحد من هذا الحق، وأن تكون السلطة القضائية المستقلة هى المرجع لتقرير ما هو مخالف للنظام العام والآداب العامة والمقومات الأساسية للمجتمع، أو ما يعتبر إخلالاً بالتزام العمل السلمى وعدم الالتجاء للعنف أو التهديد به.

٧ - تأكيد حرية الاجتماعات الجماهيرية العامة والدعوة إليها، والمشاركة فيها فى نطاق سلامة المجتمع وعدم الإخلال بالأمن العام، أو استعمال أو التهديد باستعمال العنف أو حمل أى سلاح.

٨ - تأكيد حق التظاهر السلمى.

٩ - تأكيد ضرورة تمثيل الشعب عبر مجلس نيابى منتخب انتخاباً حراً، ولمدة محدودة يعاد بعدها الانتخاب، مع ضرورة أن تشمل قوانين الانتخاب الضمانات التى تؤكد نزاهتها وصحتها وحيدة القائمين على إجرائها.

١٠ - ضمان حق كل مواطن ومواطنة فى المشاركة فى الانتخابات النيابية متى توافرت فيه الشروط العامة التى تحدد بالقانون.

١١ - حفظ حق كل مواطن ومواطنة فى تولى عضوية المجالس النيابية متى توافرت فيه الشروط العامة التى تحدد بالقانون.

١٢ - كفالة استقلال القضاء بجميع درجاته، وبكل الإجراءات، ووضع كل الشروط لإبعاده عن أى مظنة أو طمع، وألا يحاكم أحد إلا أمام قاضيه الطبيعي، وأن تلغى جميع أنواع المحاكم الاستثنائية، ويقتصر اختصاص المحاكم العسكرية على جرائم ومخالفات العسكريين فقط.

١٣ - الفصل بين سلطتى الاتهام والتحقيق، وأن تكون النيابة مستقلة غير تابعة لوزير العدل، ويحق لكل من تحبسه احتياطياً أن يتظلم من قرارها أمام جهة قضائية.

١٤ - أن يكون الجيش بعيداً عن السياسة، متخصصاً فى الدفاع عن أمن الدولة الخارجى، وألا تستعين به سلطة الحكم بالطريق المباشر أو غير المباشر، لفرض إرادتها وسيطرتها، أو التهديد بمنع الحريات العامة الشعبية، وأن يكون وزير الدفاع مدنياً سياسياً كسائر الوزراء.

١٥ - أن تكون الشرطة وجميع أجهزة الدولة الداخلية وظائف مدنية كنص الدستور، وأن تحدد مهامها فى الحفاظ على أمن الدولة والمجتمع ككل، ولا يجوز تسخيرها للحفاظ على كيان الحكومة التى تكون فى الحكم أو اتخاذها أداة لقمع المعارضة، وأن يوضع نظام يحكم عملها، ويحكم قيادتها وعلى وجه الخصوص أن يمنع تدخلها فى الأنشطة العامة والانتخابات العامة (منشور هذه دعوتنا).

(٨) الوحدة

تساؤلات حول صفة الوحدة: يثير الأستاذ البنا عدداً من التساؤلات حول نوعية الوحدة، فيقول:

«كثيراً ما تتوزع أفكار الناس فى هذه النواحى الثلاث: الوحدة القومية، والوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، وقد يضيفون إلى ذلك الوحدة الشرقية. ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها، وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان، ومبلغ الفائدة أو الضر منها، والتشيع لبعضها دون البعض الآخر. فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحى؟ ولا سيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين فى وطنيتهم، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعاً إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية. والجواب عن هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التى وضعناها أساساً لفكرتنا، وهى السير على هدى الإسلام وضوء تعاليمه السامية. فما موقف الإسلام نفسه من هذه النواحى؟» (رسالة المؤتمر الخامس).

١ - الوحدة الوطنية:

ثم يحدد مفهوم الوحدة الوطنية تحديداً دقيقًا، فيقول:

«إن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل كل إنسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحماً وجواراً، حتى أنه لم يُجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر - إلا لضرورة - إيثاراً للأقربين بالمعروف. فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعاً لمواطنيه، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وكان الإخوان المسلمون بالتالى أشد الناس حرصاً على خير وطنهم، وتفانياً فى خدمة قومهم، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقى، وكل فلاح ونجاح... فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أى إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى

في سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار. هذا من وجهة القومية الخاصة» (رسالة المؤتمر الخامس) .

٢ - الوحدة العربية :

ثم يقدم المبرر الأصيل للوحدة العربية، فيقول :

«وحدة العرب أمر لابد منه لإعادة الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية» (رسالة المؤتمر الخامس) .

٣ - الوحدة الإسلامية :

ثم يبين المواطنة أو الوحدة الإسلامية، فيقرر أن :

«الحق أن الإسلام كما هو عقيدة وأنه قضي على الفوارق النسبية بين الناس فالله تبارك وتعالى يقول : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات : ١٠] **والنبى ﷺ يقول : (المسلم أخو المسلم) والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم. فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما أروع ما قال فى هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان :**

ولست أدرى سوى الإسلام لى وطنا ... الشام فيه ووادى النيل سيان

وكلما ذكر اسم الله فى بلد ... عددت أرجاءه من لب أوطانى

(رسالة المؤتمر الخامس)

٤ - الوحدة العالمية :

وأخيراً، يقرر الأستاذ البنا أن الإسلام نور وهداية للبشر كافةً، فيقول :

«ولى أن أقول بعد هذا : إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] (رسالة المؤتمر الخامس).

(٩) حقوق الإنسان

١- حقوق الإنسان فريضة دينية :

للإخوان - تأسيسًا على فكر الأستاذ البنا - رأى يؤكد أن حقوق الإنسان فى الإسلام تعد فريضة دينية، فيقولون :

«إن الإسلام قد كان ولا يزال النموذج الفكرى والسياسى الوحيد الذى كرم الإنسان والإنسانية، مرتفعًا بهذا التكريم فوق اختلاف الألسنة والأجناس، وأنه منذ اللحظة الأولى لمجيئه قد عصم الدماء والحرمات والأموال والأعراض وجعلها حرامًا، جاعلاً الالتزام المطلق بهذه الحرمات فريضة دينية وشعيرة إسلامية لا يسقطها عن المسلمين إخلال الآخرين لقوله تعالى : (ولا يجرمنكم شنآن قوم ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى)» (منشور هذا بيان للناس).

٢ - احترام حقوق الإنسان مطلب اجتماعى ودولى :

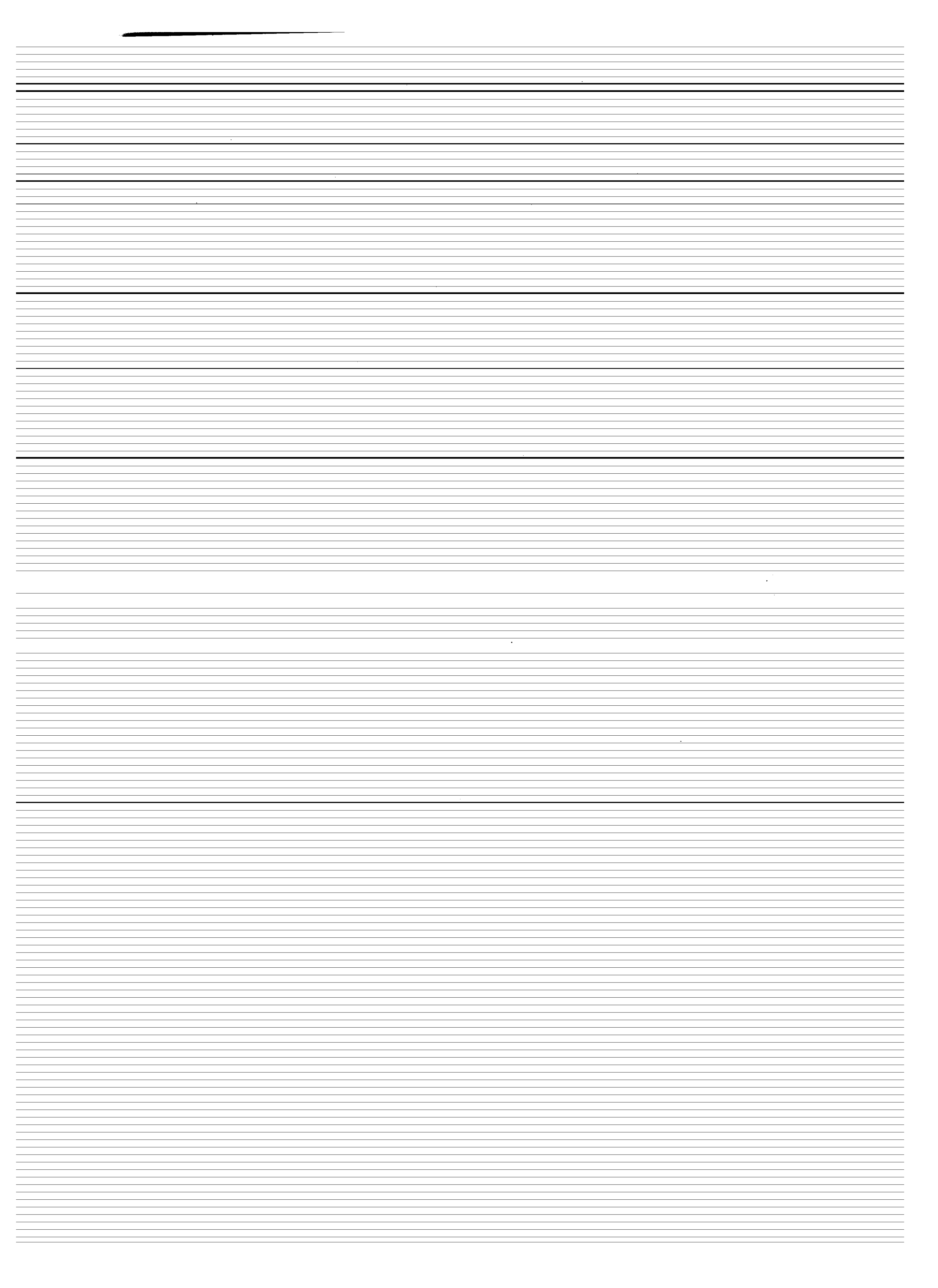
كما يشددون على حقيقة احترام هذه الحقوق، فيقولون :

«إننا فى مقدمة ركب الداعين إلى احترام حقوق الإنسان، وتأمين تلك الحقوق للناس جميعًا، وتيسير سبل ممارسة الحرية فى إطار النظم الأخلاقية والقانونية، إيمانًا بأن حرية الإنسان هى سبيله إلى كل خير، وإلى كل نهضة وكل إبداع. إن المظالم الكبرى التى يشهدها هذا العصر إنما تقع على المسلمين ولا تقع من المسلمين، إن على العقلاء والمؤمنين فى

كل مكان أن يرفعوا أصواتهم بالدعوة إلى المساواة فى التمتع بالحرية وحقوق الإنسان، فهذه المساواة هى الطريق الحقيقى إلى السلام الاجتماعي والدولى وإلى نظام عالمى جديد يقاوم الظلم والأذى والعدوان» (منشور هذا بيان للناس).

وعليه، يتضح موقف الإخوان من الجوانب المختلفة لمشروع النهضة، وفقًا لأهداف العمل السياسى للدعوة وأساليبه ومراحله، وذلك تأسيسًا على فكر الأستاذ البنا.

* * *



الفصل الثالث عشر

البرنـامـج السياسى

تقـــــــديم : مفهوم البرنامج .

القسم الأول : الإصلاح الاجتماعى .

القسم الثانى : الإصلاح الاقتصادى .

القسم الثالث : الإصلاح السياسى .

تقديم

مفهوم البرنامج

البرنامج العملي هو المرآة العاكسة للهوية الثقافية التي تحملها أية جماعة، ومنطلقاتها المرجعية التي تستند إليها، والترجمة الحقيقية للمهمة والرسالة التي تحملها، والتطبيق الواقعي للمنهج الذي تسير عليه. ومن أجل ذلك حرصنا في هذا الباب أن نقدم محاولة اجتهادية للبرنامج الإصلاحي الذي تقدم به الأستاذ البنا إلى الأمة، والذي عبّر عنه بأشكال متعددة: كتابة وخطابة، سواء للحاكم مباشرةً، أو للشعب والقوى السياسية الحية التي فيه، أو لكوادره الداخلية، أو أثناء حملته الانتخابية التي حاول أن يصل من خلالها إلى مجلس النواب ليواصل نضاله الدستوري باسم الجماعة. ونحن هنا وجدنا من خلال عرضنا لمشروع الأستاذ البنا أن نقدم الملامح الرئيسة لهذا البرنامج للاستهداء به أولاً، وللبناء واستكمال ما يجب استكماله وتجديد مايمكن تجديده ثانيًا. والفقرة القادمة هي خلاصة ما قصده الأستاذ البنا رحمه الله في رسالته «المطلبية»، رسالة النور، حيث يقول:

«بعد ما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة في نهضتها الجديدة من شعور روحي، نحب أن نعرض ختاماً لبعض المظاهر والآثار العملية التي يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رؤوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الأخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعاً، ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات بحيث يتم في عشية أوضحاها، كما أننا نعلم أن كثيراً منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضي العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت في سبيل الخير فهي لابد

واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم» (رسالة نحو النور).

ذكرنا الموضوع مركزين على بعض النماذج للتعريف والتذكير، ويبقى البرنامج بابًا مفتوحًا يتشكل حسب ظروف كل دولة وكل مجتمع. وهذا هو طرح البنا فى عصره.

* * *

القسم الأول

برنامج الإصلاح الاجتماعى

يقوم برنامج الإصلاح الاجتماعى الإسلامي، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، على الأصول العشرة التالية:

الأصل الأول: تحقيق الربانية والتدين في المجتمع.

الأصل الثانى: الحفاظ على الآداب العامة وتعزيز مؤسسات النظام الاجتماعى.

الأصل الثالث: رعاية الأسرة (المرأة والشباب والطفولة).

الأصل الرابع: محاربة الجرائم والفساد.

الأصل الخامس: إحياء نظام الحسبة.

الأصل السادس: إقامة العدل الاجتماعى وتوفير العمل والكسب.

الأصل السابع: إصلاح التربية والتعليم.

الأصل الثامن: العناية بالصحة العامة.

الأصل التاسع: توجيه الإعلام والفن.

الأصل العاشر: تنظيم السياحة والاصطياف.

وسنتناول كل أصل من هذه الأصول بشيء من التفصيل وفقًا لفكر الأستاذ البنا، فيما يلي:

الأصل الأول: تحقيق الربانية والتدين فى المجتمع

ويشمل هذا الأصل كما قال الأستاذ البنا:

١ – رعاية كل المناشط التى تسمو بالإنسان.

٢ – ترسيخ هوية المجتمع الحضارية.

الأصل الثاني: الحفاظ على الآداب العامة وتعزيز مؤسسات النظام الاجتماعي

وفى هذا الأصل، يقول الأستاذ البنا :

«والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخُلق.. الخلق الفاضل القوى المتين والنفس الكبيرة العالية الطموح، إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد ما لا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة النابعة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ، وإنما يصوغ هذه النفس الكاملة الإسلام وحده، فهو الذى جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ⑨ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠]. **وجعل تغيير شئون الأمم وقفًا على تغيير أخلاقها وصلاح نفوسها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾** [الرعد: ١١]... **وليس كالإسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب على النفس وذلك خير الرقباء، وبغيره لا ينتظم قانون ما إلى أعماق السرائر وخفيات الأمور»**

(رسالة نحو النور).

ولتحقيق هذا الأصل، كما جاء في كتابات الأستاذ البنا، لابد من اتخاذ الإجراءات العملية التالية:

١ - تعويد الشعب احترام الآداب العامة.

٢ - مقاومة العادات الضارة اقتصاديًا أو خلقيًا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها إلى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبًا يتفق مع المصلحة، وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة في ذلك.

٣ - القضاء على الروح الأجنبية في البيوت من حيث اللغة والعادات والأزياء والمربيات والممرضات.. إلخ، وتصحيح ذلك، وبخاصة في بيوت الطبقات الراقية.

٤ – اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص، وإبلاغها إلى الناس جميعًا.

٥ – تأكيد وحدة الأمة والقضاء علي كل مظاهر الفرقة وأسبابها.

٦ – إعلان الأخوة بين الناس.

٧ – حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة.

٨ – إقامة ورعاية وتنشيط المؤسسات والتنظيمات الاجتماعية المدنية التى تعزز وحدة المجتمع وتكافله الاجتماعى، وتساعد على تنظيمه وتعبئته وحشد عناصره لمواجهة المخاطر العامة والقيام بشانهم العام».

الأصل الثالث: رعاية الأسرة (المرأة والشباب والطفولة)

ولتحقيق هذا الأصل، وفقًا لفكر الاستاذ البنا، لابد من اتخاذ الإجراءات التالية:

١ – علاج قضية المرأة علاجًا يجمع بين الرقى بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، حتي لا تترك هذه القضية التى هى أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام والآراء الشاذة من المفْرِطين والمفرِّطين.

٢ – تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمى الأسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

٣ – النهوض بالرجل والمراة جميعًا، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقًا.

٤ – استيعاب الشباب ووضع البرامج الهادفة إلى رعايته وتوفير احتياجاته الأساسية وتوجيهه لخدمة المجتمع والإسهام الفاعل في إنجاز برامج التنمية الشاملة.

٥ – الاهتمام بالأطفال ورعاية شؤونهم وحسن تنشئتهم، ورعاية الأم وتوفير البيئة المناسبة للأمومة السليمة.

الأصل الرابع: محاربة الجرائم والفساد

وفى هذا الأصل يقول الأستاذ البنا:

«وإن فى كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات، فعلى كل مجتمع أن يعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره... فلابد من محاربة البغاء،... ولابد من إغلاق حانات الخمر،... ومحاربة الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث فى الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع.. فكل هذه المظاهر وأشباهها، على الأمة الإسلامية أن تبذل فى محاربتها ومناهضتها كل ما وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود، لاتنى فى ذلك ولا تتواكل»

(رسالة إلى أى شيء ندعو الناس).

ولتحقيق هذا الأصل لابد من اتخاذ الإجراءات العملية التالية:

١ – القضاء على البغاء.

٢ – القضاء على القمار بكل أنواعه.

٣ – محاربة الخمر كما تحارب المخدرات.

٤ – مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون.

٥ – ضبط الغريزتين، غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

٦ – الشدة في محاربة الجرائم الأصلية والحفاظ على أمن المواطنين.

الأصل الخامس: إحياء نظام الحسبة

ولتحقيق هذا الأصل، يرى الأستاذ البنا ضرورة:

١ – اعتبار دعوة الحسبة، ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شيء من تعاليم الإسلام أو الاعتداء عليه؛ كالإفطار في رمضان وترك الصلاة عمداً أو سب الأديان وأمثال هذه الشؤون.

٢ – الأمر بالمعروف وبذل النصيحة.

٣ – النهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه.

الأصل السادس : إقامة العدل الاجتماعى وتوفير العمل والكسب

ولتحقيق هذا الأصل وفقًا لفكر الأستاذ البنا لابد من اتخاذ الإجراءات التالية :

١ – الكسب والعمل وتحريم السؤال .

٢ – تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل وتحديد موارد الكسب .

٣ – تأمين الحياة الطيبة وبيان الخطأ في فهم حقيقة الزهد .

٤ – ضمان الحياة الطيبة لأفراد المجتمع على السواء .

٥ – حل مشاكل المال والفقر وتوزيع الثروة .

٦ – القضاء على نظام الطبقات ومطاردة الرأسمالية القاسية .

٧ – التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معًا .

٨ – بسط الرعاية الاجتماعية في المجتمع وتوسيعها وتعميمها واعتبارها مسؤولية تضامنية بين الفرد والمجتمع والدولة .

الأصل السابع : إصلاح التربية والتعليم

وفى هذا الأصل، يقول الأستاذ البنا :

«وكما تحتاج الأمم إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذى يؤازر هذه القوة ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره، وحسبك أن أول آية نزلت من كتاب الله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١ – ٥] (رسالة نحو النور) .

ولتحقيق هذا الأصل، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، لابد من اتخاذ الإجراءات العملية التالية :

١ – وضع سياسة ثابتة للتعليم، تنهض به وترفع مستواه، وتوحد أنواعه المتحدة

الأغراض والمقاصد، وتقرب بين الثقافات المختلفة فى الأمة، وتجعل المرحلة الأولى من مراحله خاصة بتربية الروح الوطنى الفاضل والخلق القويم.

٢ - تشجيع تحفيظ القرآن فى المكاتب العامة الحرة.

٣ - العناية باللغة العربية فى كل مراحل التعليم، وإفرادها فى المراحل الأولي عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٤ - العناية بالتاريخ الإسلامى والتاريخ الوطنى والتربية الوطنية وتاريخ حضارة الإسلام.

٥ - تقرير التعليم الدينى مادة أساسية فى كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه، وفى الجامعة أيضًا.

٦ - ضم المدارس الإلزامية في القرى والمساجد، وشمولها معًا بالإصلاح التام من حيث الموظفين والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٧ - تطوير التعليم في مجالاته المختلفة: الإدارة التربوية، والمناهج، وتأهيل المعلمين، والتعليم الفنى والمهنى، ومحو الأمية وتعليم الكبار، والتعليم الجامعى والعالى، والبحث العلمى بكل أشكاله.

الأصل الثامن: العناية بالصحة العامة

ولتحقيق هذا الأصل، يقول الأستاذ البنا:

«ولما كانت الأمم الناهضة فى حاجة إلى صحة الأبدان وقوة الأجسام، فقد أشار القرآن إلى هذا المعنى فى بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال فى سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها، فاختار الله لها زعيمًا قوى الفكر وقوى الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بنى إسرائيل في تزكية طالوت قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]

(رسالة نحو النور).

ويدلل الأستاذ البنا على ضرورة العناية بالصحة وقوة الأبدان من السنة النبوية الشريفة، قولاً وعملاً، كما يلي:

- «المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف».
- «إن لبدنك عليك حقًا».
- «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع».
- نهيه عن التبول والتبرز في المياه الراكدة.
- وإعلانه الحجر الصحى على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم.
- وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم.
- «من علم الرمى ثم نسيه فليس منى».
- ونهيه ﷺ نهيًا مشددًا عن التبتل وتعذيب الجسوم وإضوائها تقربًا إلى الله.
- وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال في ذلك كله.

ولتحقيق هذا الأصل، وفقًا لفكر الأستاذ البنا لابد من اتخاذ الإجراءات العملية التالية:

١ - العناية بشؤون النظافة العامة من نشر الدعاية الصحية بمختلف الطرق والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج.

٢ - العناية بشأن القرية من حيث نظافتها وتنقية مياهها.

٣ - الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

الأصل التاسع: توجيه الإعلام والفن

وفى هذا الأصل، يرى الأستاذ البنا أن تحقيقه يهدف إلى:

المساهمة في تعميق القيم الإيجابية وتشجيع ذلك، وإيجاد روح عام ينفر من الرديء ويحارب القيم الإباحية. ويشدد رحمه الله على حقيقة أن:

«الإسلام عزة ومنعة، وحق وقوة، وبركة واستقامة، وثبات وفضيلة ونبل، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله» (رسالة نحو النور).

ولتحقيق هذا الأصل، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، لابد من الأخذ بهذه الإجراءات العملية:

١ - إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما إلى ذلك.

٢ - مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد فى اختيار الروايات والأشرطة.

٣ - تهذيب الأغانى واختيارها ومراقبتها والتشديد فى ذلك.

٤ - حسن اختيار ما يذاع أو يُعرض على الأمة من برامج ومحاضرات وأغانى وموضوعات، واستخدام الإذاعة والتلفاز فى تربية وطنية خلقية فاضلة.

٥ - مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التى تعمل على إشاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالاً فاحشًا.

٦ - توجيه الصحافة توجيهًا صالحًا وتشجيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الإسلامية.

الأصل العاشر: تنظيم السياحة والاصطياف

ولتحقيق هذا الأصل، يرى الأستاذ البنا ضرورة الأخذ بهذه الإجراءات العملية:

١ - تنظيم المصايف تنظيمًا يقضى على الفوضى والإباحية التى تذهب بالغرض الأساسى من الاصطياف.

٢ - تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهى العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها، وإرشادهم إلى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

٣ - استخدام هذه المقاهى في تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامى والطلبة (رسالة نحو النور).

* * *

القسم الثاني

برنامج الإصلاح الاقتصادى

«من المعلوم أن المال هو (عصب الحياة)، وأن الاقتصاد ركن أساسى من أركان الدولة، ومن الصعوبة بمكان أن يقوم الاقتصاد بدوره الفعّال في النهضة والتنمية الشاملة في ظل نظريات اقتصادية غريبة عن المجتمع وهويته وثقافته. وعليه، لابد من برنامج ينطلق من مبادئ الإسلام وقيمه، ويعبئ طاقات الشعب الروحية وقواه الاجتماعية، ويتبنى سياسات اقتصادية جادة وجريئة تعتمد الواقعية، وتحقق التوازن بين الإنتاج والاستهلاك، وبين الاستثمار والادخار، وبين الصادرات والواردات، وتأخذ في الحسبان مرحلة التطور الاجتماعى والاقتصادى، والإمكانات المتاحة للمجتمع من أجل التغيير المنشود وتحقيق السلام الاجتماعى والرفاه الاقتصادى والاستقرار السياسى» (الإخوان وقضايا معاصرة).

وبعد أن عدد الأستاذ البنا النظم الاقتصادية الوضعية المعروفة من رأسمالية واشتراكية، أكد ضرورة الأخذ بالنظام الإسلامي. وفي هذا يقول:

«وأعتقد أنه لا خير لنا فى واحد من هذه النظم جميعًا. فلكل منها عيوبه الفاحشة، كما له حسناته البادية. وهى نظم نبتت فى غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما فى مجتمعنا... فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذى يؤدى إلى الإصلاح الشامل فى توجيهات الإسلام الحنيف، وما وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقًا سليماً، لانحلت مشكلاتنا، ولظفرنا بكل ما فى هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: النظام الاقتصادى).

ويقوم النظام الاقتصادى الإسلامى، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، على الأصول العشرة التالية :

الأصل الأول : اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه.

الأصل الثانى : إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

الأصل الثالث : الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ووجوب الاستفادة منها.

الأصل الرابع : تحريم موارد الكسب الخبيث.

الأصل الخامس : التقريب بين الطبقات ليقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع.

الأصل السادس : حرمة المال واحترام الملكيات.

الأصل السابع : تنظيم المعاملات المالية، والتدقيق فى شؤون النقد.

الأصل الثامن : الضمان الاجتماعى.

الأصل التاسع : تقرير مسؤولية الدولة فى حماية هذا النظام.

الأصل العاشر : حظر استغلال النفوذ.. من أين لك هذا؟

وسنتناول كل أصل من هذه الأصول، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، فيما يلى :

الأصل الأول : اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه

والأدلة على ذلك كثيرة ومعلومة، منها :

* «نعم المال الصالح للرجل الصالح». الحديث
* ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء : ٥].
* «إن الله ينهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» الحديث.
* «من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد...» الحديث.

الأصل الثانى : إيجاب العمل والكسب على كل قادر

والأدلة على ذلك الأصل كثيرة ومشهورة، منها:

* ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

* «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده» الحديث.

* «لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» الحديث.

* «لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة» قول لعمر.

الأصل الثالث: الكشف عن منبع الثروات الطبيعية ووجوب الاستفادة منها

ومن الأدلة على هذا الأصل ما يلي:

* ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

* ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

الأصل الرابع: تحريم موارد الكسب الخبيث

وبالنسبة لهذا الأصل، يقول الأستاذ البنا:

«**من تعاليم الإسلام: تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبث في الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار، واليانصيب ونحوها. أو كان بغير حق: كالنصب والسرقة والغش ونحوها. أو كان عوضاً لما يضر: كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها. فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها**» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي: النظام الاقتصادي).

الأصل الخامس : التقريب بين الطبقات ليقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع

وفى هذا الأصل يقول الأستاذ البنا :

«عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على الأغنياء، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء، وتقرير حقهم في مال الدولة ومال الأغنياء، ووصف الطريق العملي لذلك. وأكثر من الحث على الإنفاق في وجوه الخير والترغيب في ذلك، وذم البخل والرياء والمن والأذى، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة : ٢] (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى : النظام الاقتصادى).

الأصل السادس : حرمة المال واحترام الملكيات

وفى هذا الأصل يقول الأستاذ البنا :

«وقرر حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى : النظام الاقتصادى).

والأدلة على حرمة المال العام واحترام الملكيات معلومة وكثيرة، منها :

* « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » . . الحديث .
* « لا ضرر ولا ضرار » الحديث .

الأصل السابع : تنظيم المعاملات المالية والتدقيق فى شؤون النقد

وفى هذا الأصل، يقول الأستاذ البنا :

«شرع تنظيم المعاملات المالية فى حدود مصلحة الأفراد والمجتمع، واحترام العقود والالتزامات، والدقة فى شؤون النقد والتعامل به، حتى

أفردت له أبواب فى الفقه الإسلامى تحرم التلاعب فيه كالصرف ونحوه، ولعل هنا موضعًا من مواضع الحكمة فى تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمى للنقد» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى: النظام الاقتصادى)

وهنا يشير الأستاذ البنا إلى تفرقة فنية دقيقة بين استعمال المعدنين كسلعة وهو محرم.. واستعمالهما كنقد.. وهوالمفروض، وأن حرمتهما في الاستعمال الأول.. لتوفيرهما للاستعمال الثانى. ومن ثم تستقيم المعاملات ويحدث الاستقرار في النشاط الاقتصادى.

الأصل الثامن: الضمان الاجتماعى

وبالنسبة لهذا الأصل، يقول الأستاذ البنا:

«قرر الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين راحته ومعيشته كائنا من كان، ما دام مؤديًا لواجبه، أو عاجزًا عن هذا الأداء بسبب قهرى لا يستطيع أن يتغلب عليه. ولقد مر عمر على يهودى يتكفف الناس، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال، فلما تحقق من عجزه رجع على نفسه باللائمة، وقال له: (ما أنصفناك يا هذا، أخذنا منك الجزية قويًا وأهملناك ضعيفًا، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه). وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعًا» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى: النظام الاقتصادى).

الأصل التاسع: تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام

ولتحقيق هذا الأصل، يؤكد الأستاذ البنا أن النظام الإسلامى:

«أعلن مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف فى المال العام، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه، وتعدل فى جبايته. ولقد قال عمر ما معناه: إن هذا المال مال الله، وأنتم عباده، وليصلن الراعى بأقصى الأرض قسمه من هذا المال وإنه ليرعى فى غنمه، ومن غل فى النار» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى).

الأصل العاشر : حظر استغلال النفوذ . . من أين لك هذا ؟

وفى هذا الأصل يقول الأستاذ البنا :

«كما حظر الإسلام استخدام السلطة والنفوذ، ولعن الراشى والمرتشى والرائش، وحرم الهدية على الحكام والأمراء، وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم، ويقول لأحدهم : (من أين لك هذا ؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار) ، وليس للوالى من مال الأمة إلا ما يكفيه» (رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى) .

وفى نهاية عرض هذه الأصول، يختم الأستاذ البنا عرضه الفنى الدقيق، بقوله :

«تلك هى روح النظام الاقتصادى فى الإسلام، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخامًا ، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا فى ذلك الخير الكثير»
(رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى) .

السياسات والإجراءات الاقتصادية

ولتطبيق هذه الأصول، قدم الأستاذ البنا مجموعة من الإجراءات العملية، من أهمها ما يلى :

١ - استقلال النقد، واعتماده على رصيد ثابت من موارد الأمة ومخزونها لا من البنوك الدولية .

٢ - تمصير الشركات، وإحلال رؤوس الأموال الوطنية محل رؤوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك وتخليص المرافق العامة - وهى أهم شيء للأمة - من يد غير أبنائها، وتشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها واستخلاص ما فى أيدى الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة، وحماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل منفعة ممكنة للجمهور .

٣ – استغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعًا منتجًا والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى.

٤ – التحول إلى الصناعة.

٥ – إعادة النظر في نظام الملكيات فنختصر الملكيات الكبيرة مع تعويض أصحابها عن حقهم، ونشجع الملكيات الصغيرة لزيادة عدد الملاك، ومن ثم زيادة درجة الانتماء.

٦ – تنظيم الضرائب الاجتماعية على أساس النظام التصاعدي، بحسب المال لا بحسب الربح، وأولها الزكاة، ومحاربة الكنز وحبس الأموال عن التداول،والاستعانة بها في المشروعات الاقتصادية وكذلك المشروعات الخيرية التى لابد منها كملاجئ العجزة والفقراء، واليتامى وتقوية الجيش.

٧ – محاربة الربا وتحريمه والقضاء على كل تعامل على أساسه، وتنظيم المصارف تنظيمًا يؤدى إلى هذه الغاية، وتكون قدوة فى ذلك بإلغاء الفوائد في مشروعاتها الخاصة بها.

٨ – تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية، وهذا هو باب التحول إلى الروح أو العقلية الصناعية.

٩ – إرشاد الشعب إلى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار في ذلك قدوة للصغار، وتقديم المشروعات الضرورية على الكماليات في الإنشاء والتنفيذ.

١٠ – تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم وعلاواتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

١١ – حصر الوظائف وخصوصًا الكثيرة منها، والاقتصار على الضرورى، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعًا عادلاً والتدقيق فى ذلك.

١٢ – العناية بشؤون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم في مختلف النواحى الحيوية.

١٣ - تشجيع الإرشاد الزراعى والصناعى، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

وفي نهاية هذا الجانب من البرنامج السياسى لمشروع النهضة، يشدد الأستاذ البنا على ضرورة العمل الجاد لعلاج الخلل بحسم قاطع وسرعة مناسبة، فيقول:

« إن الأمر جدُ لا هزل فيه، وقد بلغ غايته، ووصل إلى مداه، ولابد من علاج حاسم وسريع، ولن تجده إلا فى طب الإسلام الحنيف وعلاجه»

(رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامى: النظام الاقتصادى)

* * *

القسم الثالث

برنامج الإصلاح السياسى

يقول تعالى فى سورة المائدة:

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

يقول الإمام الغزالى رضى الله عنه:

(اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع).

يقول الأستاذ البنا:

«لا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون (دولة رسالة) لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها. كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

ويسعى برنامج الإخوان فى الإصلاح السياسى – وفقًا لفكر الأستاذ البنا – إلى:

«قيام نظام سياسى يضمن تحقيق مبدأ التكريم الإلهى للإنسان، ويحفظ حقوقه وحرياته، ويوجه الجهود لبناء مؤسسات الحكم بما يحقق لها الاستقامة والفاعلية، كما يضمن النزاهة والحرية لعمليات انتخاب الحاكمين وحسن مراقبتهم خلال الفترة الموقوتة لحكمهم اعتماداً على أسس دستورية تضبط مسار الحكم وتضمن سلامته وإحكام إدارته وتداول سلطته وانتقالها بصورة سلمية» (الإخوان وقضايا معاصرة).

ويشمل هذا القسم البنود التالية:

١ - دعائم النظام السياسي .

٢ - السلطات الرئيسة في الدولة .

٣ - إدارة مؤسسات الدولة .

٤ - الدفاع والأمن .

٥ - السياسة الخارجية .

وسوف نعرض للبنود الأربعة الأولى، ونرجىء تناول البند الخامس إلى الفصل التالي .

١ - دعائم النظام السياسي

ويرى الإخوان - تأكيداً لفكر الأستاذ البنا - ضرورة أعمال مبدأ الفصل بين وظائف الدولة الثلاث . وفي ذلك تنص دراستهم على :

> **«إن تجميع السلطات وتركيزها بيد فرد أو جهة يشكل أخطر وأوسع مداخل الاستبداد الذى يفسد الدولة والمجتمع معاً، ويهز بنيانها ويقوض دعائمهما . ولذلك كان توزيع وظائف الدولة بين سلطات ثلاث : تشريعية وتنفيذية وقضائية، وإعمال مبدأ الفصل بينهما ضرورة اقتضتها حكمة التنظيم السياسي منعاً للاستبداد وتحقيقاً للعدل»**
>
> (الإخوان وقضايا معاصرة) .

٢ - سلطات الدولة

ويتناول الأستاذ البنا السلطات الثلاث بشيء من التفصيل كما يلي :

(أ) السلطة التشريعية (الدستور) :

يرى الأستاذ البنا أن تقوم السلطة التشريعية بممارسة مسئولياتها في ضوء الأسس التالية :

١ - الانتخاب الدورى الحر وإصلاح جذرى لقانون الانتخاب .

٢ - الأداء الرقابي والتشريعي .

٣ – تقييم أداء الحكومة .

٤ – تكوين الأجهزة الفنية والإدارية والمعلوماتية المساندة .

٥ – الاتصال الفعال بين النائب والمواطن .

٦ – تجذير الممارسة الديمقراطية الشورية .

٧ – استكمال تقنين أحكام الشريعة الإسلامية .

(ب) السلطة التنفيذية (الإدارة أو الوزارة أو الحكومة) :

يرى الأستاذ البنا أن تقوم السلطة التنفيذية بممارسة مسئولياتها فى ضوء الأسس التالية :

١ – انتخاب الرئيس ضمن منهجية برامجية .

٢ – تحديد العلاقة بين السلطات الثلاث .

٣ – هيكلة الحكومة وفقًا للقواعد الدستورية .

٤ – ضبط استخدام المال العام .

٥ – التنظيم الإدارى السليم .

(جـ) السلطة القضائية (القانون) :

يرى الأستاذ البنا أن تقوم السلطة القضائية بممارسة مسئولياتها فى ضوء الأسس التالية :

١ – تكريس مبدأ استقلال القضاء .

٢ – استقلالية شرطة القضاء .

٣ – تحديد نظام لتعيين رئيس مجلس القضاء ونائب المحكمة العليا والنائب العام .

٤ – بسط الرقابة القضائية .

٥ – تنظيم المؤسسات العقابية .

٦ – إبعاد القضاء عن الحزبية .

٧ – إنشاء محكمة دستورية عليا .

٨ – إنشاء نيابات ومحاكم إدارية .

٩ – اختيار القيادات على أساس الكفاءة والأهلية .

١٠ – الأمن الشخصي للقضاة .

٣ – إصلاح إدارة مؤسسات الدولة

المبادئ العامة التي تحكم مؤسسات الدولة : يرى الأستاذ البنا لإصلاح المؤسسات الحكومية ضرورة الأخذ بالمبادئ التالية :

١ – بث الروح الإسلامية في دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعًا بأنهم مطالبون بذلك .

٢ – تقديم مواعيد العمل في الدواوين صيفًا وشتاءً حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضي على السهر الكثير .

٣ – القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط .

٤ – أن تُوزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية . فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لا تصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات في الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة (رسالة نحو النور)

٤ – الدفاع والأمن

«إن استقرار الأوضاع الداخلية وتوفير الطمأنينة للأفراد والجماعات، وحماية المؤسسات الدستورية وترسيخ النهج الشوري الديمقراطي، وضمان مبدأ التداول السلمي للسلطة، وصون السيادة الوطنية، والحفاظ على كيان المجتمع الحضاري، مقدمات لازمة لإنجاز مهام البناء

والتنمية الشاملة، وتحقيق المشروع الحضارى الإسلامى. بيد أنه من غير المتصور إمكانية تحقيق كل تلك الأمور وتجسيدها واقعاً ملموساً ما لم تبن المؤسسة العسكرية والأمنية على أسس إيمانية ووطنية تنأى بها عن كل الأهواء والعصبيات الضيقة» (الإخوان وقضايا معاصرة).

وحول مسالة الدفاع والأمن تكلم الأستاذ البنا كلاماً واضحاً مفيداً ومعبراً عن اهتمامه فى هذا المجال الحيوى قائلاً:

«ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً، عنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة، وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواتها عن الحق، كما تجد ذلك فى دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ فياضة بكل هذه المعانى السامية، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات..... أيها الإخوان: إن الأمة التى تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة. وما الوهن الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت.....» (رسالة الجهاد).

وسوف نتناول، كما ذكرنا فى بداية هذا القسم، العلاقات الدولية فى الفصل التالى.

* * *

الفصل الرابع عشر

سياسة الدولة

تـقـــــديـم : مكانة الدولة فى الإسلام.

القسم الأول : السياسة الداخلية (أنظمة شئون الدولة).

القسم الثانى : السياسة الخارجية (العلاقات الخارجية).

تقديــم

مكانة الدولة فى الإسلام

١ - مكانة الدولة :

فى تحديده لمكانة الدولة، يقول الأستاذ البنا :

«يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به للناس، فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام، فقد قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه : (إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه)، كما قال فى حديث آخر لبعض أصحابه كذلك : (وإذا كنتم ثلاثة فأمّروا عليكم رجلاً)... وجميل قول الإمام الغزالى رضى الله عنه : (اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع)، فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة صماء لا روح فيها. كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى : نظام الحكم).

٢ - أهمية الدولة : (احتضان الفكرة) :

ويرى الأستاذ البنا أن النظام الإسلامى فيه سعادة ليس للأمة الإسلامية فحسب، بل للبشرية جمعاء، وفى ذلك يقول :

«لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مستقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذى بين يديها، وجلال النظام الإسلامى الذى ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها، وهداية الناس جميعاً.. لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعو الدنيا باسم الإسلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها سوقاً إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من

وسائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتسبت مركزاً روحياً وسياسياً وعملياً بين غيرها من الحكومات. ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير فى نفسه الحماسة والجد والعمل».

«عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها، ... وأن تجد الفاشستية والنازية أمماً تقدسها، ... وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصاراً أقوياء، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها. ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الذى جمع محاسن هذه النظم جميعاً وطرح مساوئها، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة، وأوجبها على المسلمين شعوباً وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]» (رسالة تحت راية القرآن).

٣ - شكل الدولة:

وعن هذا العنصر يقول الأستاذ البنا:

«النظام الإسلامى فى هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التى لا يكون الحكم صالحاً بدونها، ومتى طبقت تطبيقاً يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض. ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحى والشعور الحقيقى بقدسية هذه التعاليم، وإن فى المحافظة عليها وصيانتها الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وهو ما يعبرون عنه فى الاصطلاح الحديث (بالوعى القومى) أو (النضج السياسى) أو (التربية الوطنية) أو نحو هذه الألفاظ، ومردها جميعاً إلى حقيقة واحدة هى اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه.. إذ أن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

٤ - خصائص الدولة، وواجباتها، وحقوقها:

ووفقاً لفكر الأستاذ البنا، تتحدد خصائص الدولة وواجباتها وحقوقها فيما يلي:

*** خصائصها:**

١ - الشعور بالتبعة.

٢ - الشفقة على الرعية.

٣ - العدالة بين الناس.

٤ - العفة عن المال العام.

٥ - الاقتصاد فيه.

*** واجباتها:**

١ - صيانة الأمن.

٢ - إنفاذ القانون.

٣ - نشر التعليم.

٤ - إعداد القوة.

٥ - حفظ الصحة.

٦ - رعاية المنافع العامة.

٧ - تنمية الثروة وحراسة المال.

٨ - تقوية الأخلاق ونشر الدعوة.

*** حقوقها:**

١ - الولاء والطاعة.

٢ - المساعدة بالنفس والأموال.

* * *

القسم الأول

السياسة الداخلية

(أنظمة شئون الدولة)

١ - مفهوم السياسة الداخلية:

يحدد الأستاذ البنا مفهوم السياسة الداخلية، فيقول:

«دعونى أيها الأخوة أسترسل معكم فى تقرير هذا المعنى، فأقول إن كان يراد بالسياسة معناها الداخلى من حيث أمر الحكومة وبيان مهماتها وتفصيل حقوقها وواجباتها ومراقبة الحاكمين والإشراف عليهم ليُطاعوا إذا أحسنوا ويُنقدوا إذا أساءوا.. فالإسلام قد عنى بهذه الناحية، ووضع لها القواعد والأصول، وفصل حقوق الحاكم والمحكوم، وبين مواقف الظالم والمظلوم، ووضع لكل حداً لا يعدوه ولا يتجاوزه. فالدساتير والقوانين المدنية والجنائية بفروعها المختلفة عرض لها الإسلام، ووضع نفسه منها بالموضع الذى يجعله أول مصادرها وأقدس منابعها. وهو حين فعل هذا إنما وضع الأصول الكلية، والقواعد العامة والمقاصد الجامعة، وفرض على الناس تحقيقها، وترك لهم الجزئيات والتفاصيل يطبقونها بحسب ظروفهم وعصورهم، ويجتهدون فى ذلك ما وسعهم المصلحة وواتاهم الاجتهاد... ولهذا كانت تعاليم القرآن لا تنفك عن سطوة السلطان، ولهذا كانت السياسة الحكومية جزءاً من الدين، وكان من واجبات المسلم أن يعنى بعلاج الناحية الحكومية كما يعنى بعلاج الناحية الروحية. وذلك موقف الإسلام من السياسة الداخلية» (رسالة مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

٢ - بناء النظام السياسى (نظام الحكم):

فى تحديد نظام الحكم، يقول الأستاذ البنا:

«الحكومة فى الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هى الهيكل الأساسى لنظام الحكم الإسلامى.. فهى تقوم على: مسئولية الحاكم، ووحدة الأمة، واحترام إرادتها ولا عبرة بعد بالأسماء والأشكال» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

وعليه، يقوم النظام السياسى الإسلامى (نظام الحكم) على الدعائم التالية:

الدعامة الأولى: مسئولية الحاكم.

الدعامة الثانية: وحدة الأمة.

الدعامة الثالثة: احترام إرادة الأمة.

فيما يلى شرح موجز لهذه الدعامات وفقاً لفكر الأستاذ البنا.

الدعامة الأولى: تحديد مسئولية الحاكم (العقد الاجتماعى)

فى هذا يقول الأستاذ البنا:

«فالحاكم مسئول بين يدى الله وبين الناس، وهو أجير لهم وعامل لديهم، ورسول الله ﷺ، يقول: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)، وأبو بكر رضى الله عنه يقول عندما ولى الأمر وصعد المنبر: (أيها الناس، كنت أحترفُ لعيالى فأكتسب قوتهم، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لى من بيت مالكم). وهو بهذا قد فسر (نظرية العقد الاجتماعى) أفضل وأعدل تفسير، بل هو وضع أساسه، فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة، فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه» (رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

ويفصل الأستاذ البنا مسئولية الحاكم، فيقول:

«فأما عن مسئولية الحاكم فإن الأصل فيها فى النظام الإسلامى أن المسئول فيها هو رئيس الدولة كائناً من كان، له أن يتصرف، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة، فإن أحسن أعانته وإن أساء قومته. ولا مانع فى الإسلام فى أن يفوض رئيس الدولة غيره فى مباشرة هذه السلطة

وتحمل هذه المسئولية، كما عرف فى (وزارات التفويض) فى كثير من العهود الإسلامية، ورخص الفقهاء المسلمون فى ذلك وأجازوه مادام فيه مصلحة، والقاعدة فى مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة. قال الماوردى فى كتاب الأحكام السلطانية: (والوزارة على ضربين، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ...)» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

ويمكن تلخيص المبادئ الأساسية التى تبنى عليها مسئولية الحاكم فيما يلى:

١ ـ أن الحاكم هو أجير للأمة وعامل لديها ضمن حقوق وواجبات ينظمها الدستور والقانون.

٢ ـ أن الحكم عبارة عن عقد اجتماعى بين الأمة والحاكم لرعاية مصالحها.

٣ ـ أن البيعة بين الأمة والحاكم بيعة موقوتة.

٤ ـ أن الحكم قائم على مبدأ الفصل بين السلطات.

٥ ـ للحاكم أن يختار الكيفية المناسبة لممارسة صلاحياته إما بالتفويض أو بالتنفيذ المباشر (أو حسب ما يقرر الدستور).

٦ ـ أن يمارس الحاكم صلاحياته وسلطاته فى ضوء مبدأ سيادة القانون.

الدعامة الثانية: وحدة الأمة (الوحدة الوطنية)

وعن هذه الدعامة، يقول الأستاذ البنا:

«والأمة الإسلامية واحدة، لأن الأخوة التى جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها. ولا يمنع ذلك حرية الرأى وبذل النصح من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصغير، وذلك هو المعبر عنه فى عرف الإسلام ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر».

«ولا تكون الفرقة فى الشئون الجوهرية فى الأمة الإسلامية، لأن نظام الحياة الاجتماعية الذى يضمنها نظام واحد هو الإسلام، معترف به من أبنائها جميعاً. والخلاف فى الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضاً ولا

خصومةً ولا حزبيةً يدور معها الحكم كما تدور.. ولكنه يستلزم البحث والتمحيص، والتشاور وبذل النصيحة» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

الدعامة الثالثة: احترام إرادة الأمة (الحياة النيابية)

وعن هذه الدعامة، يرى الأستاذ البنا اتساق قواعد النظام الإسلامى أساسًا مع قواعد النظام النيابى. وعليه، نقرأ فى رسالة مشكلاتنا....:

«يقول علماء الفقه الدستورى إن النظام النيابى يقوم مسئولية الحاكم، وسلطة الأمة، واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها، وليست الفرقة والخلاف والحزبية شرطاً فيه... وعلى هذا فليس فى قواعد هذا النظام النيابى ما يتنافى مع القواعد التى وضعها الإسلام لنظام الحكم، وهو بهذا ليس بعيداً عن النظام الإسلامى ولا غريباً عنه» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

وعليه، فإن أفضل ضمانة لاحترام إرادة الأمة واختياراتها هو ترسيخ الحياة النيابية، على أن تقوم هذه الحياة النيابية أو البرلمانية على المبادئ الخمسة التالية:

١ – مبدأ سيادة القانون.

٢ – مبدأ الشورى.

٣ – مبدأ الانتخاب الحر.

٤ – مبدأ التمثيل والمشاركة.

٥ – مبدأ التداول السلمى للسلطة.

وسنتناول هذه المبادئ الخمسة بشىء من التفصيل فيما يلى:

المبدأ الأول: مبدأ سيادة القانون

عن هذا المبدأ، يقول الأستاذ البنا:

«القانون أداة اجتهادية مرنة للضبط الاجتماعى لا يكون له من القبول والاحترام إلا بقدر اتساق أحكامه الجزئية مع مبادئ وقواعد القانون

الأعلى فى المجتمع (الدستور) فيتسق وينسجم مع ما ترسخ فى ضمير الأمة ووجدانها (رسالة مشكلاتنا الداخلة فى ضوء النظام الإسلامى؛ نظام الحكم).

المبدأ الثانى : مبدأ الشورى

ويفصل الأستاذ البنا هذا المبدأ، فيقول:

«ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة، وتشير عليه بما ترى فيه الخير. وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك، فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] **. وأثنى به على المؤمنين خيراً، فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾** [الشورى: ٣٨]**، ونصت على ذلك سنة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين من بعده: إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأى من المسلمين، واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه. فيقول أبو بكر رضى الله عنه: (فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى أو قومونى). ويقول عمر بن الخطاب: (من رأى فىّ اعوجاجاً فليقومه)** (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

المبدأ الثالث : مبدأ الانتخاب الحر

وعن هذا المبدأ، يضع الأستاذ البنا شرط نجاح الانتخاب الحر، فيقول:

«ولقد رتب النظام النيابى الحديث طريق الوصول إلى أهل الحل والعقد بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة. والإسلام لا يأبى هذا التنظيم مادام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد، وذلك ميسور إذا لوحظ فى أى نظام من نظم تحديد الانتخاب صفات أهل الحل والعقد، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

وعليه، لكى يطبق مبدأ الانتخاب الحر بنزاهة لابد من اتباع الشروط التالية:

١ - وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم.

٢ - وضع حدود للدعاية الانتخابية.

٣ - إصلاح الجداول الانتخابية.

٤ - وضع عقوبة قاسية للتزوير من أى نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥ - تحرير النواب من ضغط ناخبيهم، وإحلال المصالح العامة محل المصالح الشخصية. (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

المبدأ الرابع: مبدأ التمثيل والمشاركة

وتحديداً لأهل الحل والعقد، يقول الأستاذ البنا:

«وأما عن احترام رأى الأمة، ووجوب تمثيلها واشتراكها فى الحكم اشتراكاً صحيحاً، فإن الإسلام لم يشترط استبانة رأى أفرادها جميعاً فى كل نازلة، وهو يعبر فى الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام. ولكنه اكتفى فى الأحوال العادية (بأهل الحل والعقد) ولم يعينهم بأسمائهم، ولا بأشخاصهم، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم:

١ - الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم فى الفتيا واستنباط الأحكام.

٢ - وأهل الخبرة فى الشئون العامة.

٣ - ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة فى الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل...» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى: نظام الحكم).

المبدأ الخامس: مبدأ تداول السلطة

وأخيراً، يرى الأخوان، استناداً إلى فكر الأستاذ البنا، أن:

«التداول السلمى للسلطة هو جوهر الشورى والديمقراطية وأسلوبها الأمثل لحل مشكلة الصراع على السلطة بمختلف مستوياتها. ولن يكون

النظام السياسى شورياً وديمقراطياً ما لم يتضمن الآليات التى تتيح للجماعة السياسية التى تحظى بتأييد الأغلبية الشعبية بتولى السلطة لتنفيذ البرنامج الذى كانت تدعو إليه، وذلك من خلال اقتراع دورى يُحتكم إليه، فالمجتمع وحده الذى يرجح هذا الاتجاه أو ذاك» (الإخوان وقضايا معاصرة).

٣ - بناء النظام الاقتصادى:

وبالنسبة لهذا الجانب من جوانب بناء الدولة وفقاً لمشروع النهضة، يقول الأستاذ البنا:

«وهنا أتناول (وضعنا الاقتصادى) بمثل هذا البيان رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذاناً مصغية، وقلوباً واعية، تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه، من قبل أن يستشرى الداء، ويتسع الخرق على الراقع.. ولا يحرك النفوس ويثير الخواطر، ويؤلم المشاعر شىء كالضائقة المالية، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها.. ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة.. ولا حاجة أشد من حاجة القوت، وطالب القوت ما تعدى. دخلت الجارية على محمد بن الحسين الشيبانى صاحب أبى حنيفة، فقالت: يا سيدى فنى الدقيق. فقال: قاتلك الله! أذهبت من رأسى أربعين مسألة. وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو يتجاهلها منها: الخيرات الطبيعية غير المستغلة لصالح مجتمعنا، واستغلال الأجنبى لثروتنا، والثراء الفاحش والفقر المدقع، والتخبط الاقتصادى... بين الأنظمة الاقتصادية».

«وأعتقد أنه لا خير لنا فى واحد من هذه النظم جميعاً، فلكل منها عيوبه الفاحشة، كما له حسناته البادية.. وهى نظم نبتت فى غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما فى مجتمعنا.. فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذى يؤدى إلى الإصلاح الشامل فى توجيهات الإسلام الحنيف، وما وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقاً سليماً، لانحلت مشكلاتنا، ولظفر بكل ما فى هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا

كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة» (رسالة مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى: النظام الاقتصادى).

يقوم النظام الاقتصادى الإسلامى كما عددناها فى الفصل السابق على الأصول العشرة التالية:

الأصل الأول: اعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه.

الأصل الثانى: إيجاب العمل والكسب على كل قادر.

الأصل الثالث: الكشف عن منابع الثروات الطبيعية ووجوب الاستفادة منها.

الأصل الرابع: تحريم موارد الكسب الخبيث.

الأصل الخامس: التقريب بين الطبقات ليقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع.

الأصل السادس: حرمة المال واحترام الملكيات الخاصة.

الأصل السابع: تنظيم المعاملات المالية، والتدقيق فى شئون النقد.

الأصل الثامن: الضمان الاجتماعى.

الأصل التاسع: تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام.

الأصل العاشر: حظر استغلال النفوذ.. من أين لك هذا؟

ولقد تم عرضها فى الفصل السابق بشىء من التفصيل عند تناولنا للبرنامج السياسى للدولة وفقاً لمشروع النهضة.

٤ – بناء النظام الاجتماعى:

ويشير الأستاذ البنا إلى هذا الجانب الهام فى بناء الدولة، فيقول:

«والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعى الشامل، وقد أخذ يتنزل على النبى ﷺ، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الظروف والمناسبات: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً (٣٢) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ [الفرقان: ٣٢–٣٣]. **حتى اكتمل به الوحى**

وحفظ فى الصدور والسطور فى مدى اثنتين وعشرين سنة ونيفاً، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شىء (رسالة بين الأمس واليوم).

وعليه، يقوم برنامج الإصلاح الاجتماعى الإسلامى، كما حددناه فى الفصل السابق، على الأصول العشرة التالية :

الأصل الأول : تحقيق الربانية والتدين فى المجتمع.

الأصل الثانى : الحفاظ على الآداب العامة وتعزيز مؤسسات النظام الاجتماعى.

الأصل الثالث : رعاية الأسرة (المرأة والشباب والطفولة).

الأصل الرابع : محاربة الجرائم والفساد.

الأصل الخامس : إحياء نظام الحسبة.

الأصل السادس : إقامة العدل الاجتماعى وتوفير العمل والكسب.

الأصل السابع : إصلاح التربية والتعليم.

الأصل الثامن : العناية بالصحة العامة.

الأصل التاسع : توجيه الإعلام والفن.

الأصل العاشر : تنظيم السياحة والأصطياف.

ولقد تم شرح هذه الأصول بشىء من التفصيل عند تناولنا للبرنامج السياسى للدولة وفقاً لمشروع النهضة، فى الفصل السابق.

٥ - بناء النظام الجهادى :

ويحدد الأستاذ البنا هذا الجانب الهام فى بناء الدولة، فيقول :

«ولست تجد نظاماً قديماً أو حديثاً دينياً أو مدنياً، عنى بشأن الجهاد والجندية واستنفار الأمة وحشدها كلها صفاً واحداً للدفاع بكل قواها عن الحق، كما تجد فى دين الإسلام وتعاليمه، وآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ فياضة بكل هذه المعانى السامية، داعية بأفصح عبارة وأوضح أسلوب إلى الجهاد والقتال والجندية وتقوية وسائل الدفاع

والكفاح بكل أنواعها من برية وبحرية وغيرها على كل الأحوال والملابسات».

«أيها الإخوان: إن الأمة التي تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب الله لها الحياة العزيزة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة. وما الوهن الذي أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة».

«واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله» (رسالة الجهاد).

وعليه، شملت السياسة الداخلية، عند الأستاذ البنا، النظام السياسي، والنظام الاقتصادي، والنظام الاجتماعي، والنظام الجهادي.. كأنظمة رئيسة في بناء الدولة النموذج، تطبيقًا لمشروع النهضة.

* * *

القسم الثانى

السياسة الخارجية

(العلاقات الخارجية)

١ - مفهوم السياسة الخارجية :

يرى الإخوان - اتساقًا مع فكر الأستاذ البنا - أن :

«العلاقات الدولية تحظى بأهمية كبيرة فى عالمنا المعاصر، إذ لم يعد ممكناً لأى شعب أن يعيش بمعزل عمن حوله فى عصر أصبح فيه الاعتماد المتبادل بين الدول ضرورة حيوية، ومدخلاً مؤثراً فى العلاقات الدولية فى مختلف جوانبها الثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية.
والجماعة ترى أن على الدول العربية والإسلامية أن تبذل المزيد من الجهد فى تطوير صيغ التنسيق والتعاون الصادق من خلال توثيق الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية دفعاً نحو الاستقرار والتنمية وحماية المصالح المشتركة والمشروعة، وتلبية طموحات وآمال شعوبها العربية والإسلامية، مستفيدة من التجارب الناجحة التى شهدتها وتشهدها مناطق إقليمية متعددة من العالم.

والطليعة النهضوية تتطلع - أيضاً - إلى عالم يسوده التعاون بين الأمم كمرتكز أساس للمحبة والسلام، فإنه يدعو إلى مجتمع دولى متسامح تتجسد فيه معانى الأخوة الإنسانية وتسود فيه روح التكافل والتعاون والتراحم بين شعوبه وأممه، وتقوم العلاقات بين دولة على العدل وتكافؤ المصالح، واحترام التمايزات الحضارية، والثقافية والوفاء بالعقود والعهود الدولية» (الإخوان وقضايا معاصرة).

ولتحديد مفهوم هذه السياسة، وفقاً للأستاذ البنا، يقول :

«فإن أريد بالسياسة معناها الخارجى، وهو المحافظة على استقلال الأمة وحريتها وإشعارها كرامتها وعزتها والسير بها إلى الأهداف المجيدة التى

تحتل بها مكانتها بين الأمم ومنزلتها الكريمة فى الشعوب والدول، وتخليصها من استبداد غيرها بها وتدخله فى شئونها، مع تحديد الصلة بينها وبين سواها تحديداً يفصل حقوقها جميعاً، ويوجه الدول كلها إلى السلام العالمى العام وهو ما يسمونه (القانون الدولى)، فإن الإسلام قد عنى بذلك كل العناية وأفتى فيه بوضوح وجلاء، وألزم المسلمين أن يأخذوا بهذه الأحكام فى السلم والحرب على السواء، ومن قصر فى ذلك وأهمله فقد جهل الإسلام أو خرج عليه».(رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

ويستطرد الأستاذ البنا قائلاً:

«قرر الإسلام سيادة الأمة الإسلامية وأستاذيتها للأمم فى آيات كثيرة من القرآن منها قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وأكد قوامتها وأرشدها إلى طريق صيانتها وإلى ضرر تدخل غيرها فى شئونها بمثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨ - ١١٩]، وأشار إلى مضار الاستعمار وسوء أثره فى الشعوب فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤] (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

ثم أكد ضرورة المحافظة على سيادة الأمة وحدد شروط ذلك، إذ يقول:

«ثم أوجب على الأمة المحافظة على هذه السيادة، وأمرها بإعداد العدة، واستكمال القوة، حتى يسير الحق محفوظاً بجلال السلطة كما هو مشرق بأنوار الهداية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]،

ولم يغفل التحذير من سورة النصر ونشوة الاعتزاز وما تجلبه من مجانبة للعدالة وهضم للحقوق، فحذر المسلمين العدوان على أية حال فى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، مع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١] (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

ثم ينتقل ليبين طريق الجهاد وشروط المجاهدين، فيقول:

«ومن هنا أيها الإخوة رأينا أخلاء المسجد، وأنضاء العبادة، وحفظة الكتاب الكريم، بل وأبناء الربط والزوايا من السلف رضوان الله عليهم، لا يقنعون باستقلال بلادهم، ولا بعزة قومهم، ولا بتحرير شعوبهم، ولكنهم ينسابون فى الأرض؛ ويسيحون فى آفاق البلاد فاتحين معلمين، يحررون الأمم كما تحرروا، ويهدونها بنور الله الذى اهتدوا به، ويرشدونها إلى سعادة الدنيا والآخرة، ولا يغلون ولا يغدرون، ولا يعتدون، ولا يستعبدون الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

وأخيراً يقدم أمثلة وضيئة لمجاهدى السلف فيقول:

«ومن هنا رأينا عقبة بن نافع يخوض الأطلسى بلبة جواده قائلاً: اللهم لو علمت وراء هذا البحر أرضاً لمضيت فى البلاد مجاهداً فى سبيلك، فى الوقت الذى يكون فيه أبناء العباس الأشقاء قد دفن أحدهم بالطائف إلى جوار مكة، والثانى بأرض الترك من أقصى الشرق، والثالث بأفريقيا من أقصى المغرب، جهاداً فى سبيل الله وابتغاءً لمرضاته. وهكذا فهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان أن السياسة الخارجية من صميم الإسلام» (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

وعليه، تستند الدعوة فى شقها الخارجى (العلاقات الخارجية) على عدد من المبادئ، من أهمها ما يلى:

١ - المحافظة على استقلال وسيادة الأمة.

٢ - إعادة الأمة إلى مكانتها الكريمة بين الأمم.

٣ - تخليص الأمة من استبداد غيرها بها وتدخله في شئونها.

٤ - تحديد الصلة بين الأمة وبين سواها تحديداً يفصل حقوقها جميعاً.

٥ - تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعاً، وبخاصة العربية منها تمهيداً للتفكير الجدى العملي في شأن الخلافة الضائعة.

٦ - الكفالة التامة لحقوق غير المسلمين، سواء أكانت حقوقاً دولية أم كانت حقوقاً وطنية للأقليات غير المسلمة (رسالة الطلبة ورسالة نحو النور).

٢ - العلاقات الخارجية:

وسوف نتناولها في ثلاث دوائر، كما يلي:

أ - العلاقات العربية (الوحدة العربية):

١ - الأساس الذى نقيم على ضوئه علاقاتنا:

أوضح الأستاذ البنا أساس علاقتنا مع الآخرين، إذ يقول:

«أما إذا عرفت هذا فاعلم - أيدك الله - أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين: قسم اعتقد ما اعتقدوا من دين الله وكتابه وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحن إليهم ونعمل في سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال.. وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هي الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه لأنه خير الإنسانية كلها ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، **﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ**

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩] (رسالة دعوتنا).

٢ - الوحدة العربية: ثم انتقل إلى الدائرة الأولى في علاقاتنا وهي الدائرة العربية، فيقول:

«أحب هنا أن ننبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبي (ألا أن العربية اللسان)، ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه، ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية» (رسالة المؤتمر الخامس).

واستطرد الأستاذ البنا مبيناً مكانة العرب في الدعوة، فيقول:

«والعروبة، أو الجامعة العربية، لها في دعوتنا كذلك مكانها البارز وحظها الوافر، فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخيرَ، وبحق ما قاله ﷺ: (إذا ذل العرب ذل الإسلام) ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها..» (دعوتنا في طور جديد).

ب- العلاقات الإسلامية (الوحدة الإسلامية):

بعد ذلك، انتقل الأستاذ البنا لتحديد العلاقات الإسلامية، إذ يقول:

«بقي علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية، والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وأنه قضى على الفوارق النسبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] والنبي ﷺ يقول: (المسلم أخو المسلم)، والمسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم، فالإسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعاً أمة واحدة،

ويعتبر الوطن الإسلامى وطناً واحداً مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده... إن الإخوان المسلمين يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله)».

يقول بعض الناس: إن ذلك يناقض تيار الفكرة السائدة فى العالم فكرة التعصب للأجناس والألوان، والعالم الآن تجرفه موجة القوميات الجنسية، فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس؟... وجواب ذلك أن الناس يخطئون وأن نتائج خطئهم فى ذلك ظاهرة ملموسة فى إقلاق راحة الأمم وتعذيب ضمائر الشعوب مما لا يحتاج إلى برهان، وليست مهمة الطبيب أن يجارى المرضى ولكن أن يعالجهم وأن يهديهم سواء السبيل، وتلك مهمة الإسلام ومن وصل دعوته بالإسلام».

«ويقول آخرون: إن ذلك غير ممكن والعمل له عبث لا طائل تحته ومجهود لا فائدة منه، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم. والجواب على هذا أن هذه لغة الضعف والاستكانة. فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل متخالفة فى كل شيء: فى الدين واللغة، والمشاعر والآمال والآلام، فوحدها الإسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء، ومازال الإسلام كما هو بحدوده وبرسومه، فإذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة إليه وتجديده فى نفوس المسلمين، فإنه يجمع هذه الأمم جميعاً من جديد كما جمعها من قديم، والإعادة أهون من الابتداء، والتجربة أصدق دليل على الإمكان» (رسالة المؤتمر الخامس).

ويتضح من كلام الأستاذ البنا مدى إيمانه ورسوخ اعتقاده بالوحدة الإسلامية، وأن هذه الوحدة أيسر فى الوضع الجديد منها فى الوضع القديم.

جـ - العلاقات الدولية (المجتمع الدولى):

وهنا، يقرر الأستاذ البنا بحقيقة أن العالمية هى الغاية العظمى للدعوة، فيقول:

«أما العالمية أو الإنسانية فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الإصلاح، والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة. فهذا التجمع فى الأمم، والتكتل فى الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلّها محل الفكرة الشعوبية القومية التى آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا بهذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة، وهى خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفاً، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم فى هذا البناء الإنسانى لبنته وليس علينا أن يتم البناء، فلكل أجل كتاب» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

ثم يشير إلى الآثار السلبية القاسية للعصبية القومية والتى جاء الإسلام لمعالجتها بالتعاون والإخاء فيقول:

«وإذا كان فى الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التى تستهوى قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم، فإن هذه الدروس القاسية التى يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفيء الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء، ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً، ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك، وظهر هذا المعنى الساحر النبيل فى كل فروعه العملية» (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

وأخيراً، يوضح أسس التعاون والإخاء الإسلامى بين الشعوب، فيقول:

«فرب الناس واحد، ومصدر الدين واحد، والأنبياء جميعاً مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلها من عند الله والغاية المنشودة اجتماع القلوب: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

د- النظام العالمى الجديد :

وعدد الأستاذ البنا مقولات قادة عصره الوضعيين بالنسبة للنظام الجديد، فيقول :

«لقد ردد الساسة جميعاً كلمة (النظام الجديد) .. فهتلر يريد أن يتقدم للناس بنظام جديد، وتشرشل يقول إن انجلترا المنتصرة ستحمل الناس على نظام جديد، وروزفلت يتنبأ ويشيد بهذا النظام الجديد، والجميع يشيرون إلى أن هذا النظام الجديد سينظم أوربا ويعيد إليها الأمن والطمأنينة والسلام، فأين حظ الشرق والمسلمين من هذا النظام المنشود؟» (رسالة المؤتمر السادس).

وهذه المقولات لا تقدم شيئاً فالفكرة الاستعمارية وراءها .. ومن ثم فالفشل مصيرها، وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«نريد هنا أن نلفت أنظار الساسة الغربيين إلى أن الفكرة الاستعمارية إن كانت قد أفلست فى الماضى مرة، فهى فى المستقبل أشد فشلاً لا محالة، وقد تنبهت المشاعر وتيقظت حواس الشعوب، وإن سياسة القهر والضغط والجبروت لم تأت فى الماضى إلا بعكس المقصود منها، وقد عجزت عن قيادة القلوب والشعوب، وهى فى المستقبل أشد عجزاً .. وإن سياسة الخداع والدهاء والمرونة السياسية إن هدأ بها الجو حيناً فلا تلبث أن تهب العاصفة قوية عنيفة، وقد تكشف هذه السياسة عن كثير من الأخطاء والمشكلات والمنازعات، وهى فى المستقبل أضعف وأوهى من أن توصل إلى المقصود» (رسالة المؤتمر السادس).

وعليه، يخلص الأستاذ البنا إلى النتيجة المنطقية، وهى ضرورة وجود سياسة جديدة تعمل فعلاً لهداية العالم ويسود السلام، وفى هذا يقول :

«وإذن فلابد من سياسة جديدة، هى سياسة التعاون والتحالف الصادق البرىء المبنى على التآخى والتقدير، وتبادل المنافع والمصالح المادية والأدبية بين أفراد الأسرة الإنسانية فى الشرق والغرب لا بين أوربا فقط،

وبهذه السياسة وحدها يستقر النظام الجديد وينتشر فى ظله الأمن والسلام».

«إن حكم الجبروت والقهر قد فات... ونحن نضع هذه النظريات أمام أعين الساسة البريطانيين والساسة الفرنسيين وغيرهم من ساسة الدول الاستعمارية على أنها نصائح تنفعهم أكثر مما هى مطالب تنفعنا، فليأخذوا أو ليدعوا، وقد وطنا أنفسنا على أن نعيش أحراراً عظماء أو نموت أطهاراً كرماء» (رسالة المؤتمر السادس).

ويؤكد الأستاذ البنا أن هذه الأسس الجديدة كفيلة بتحقيق تعاون وسلام حقيقيين، ثم يؤكد أن محاولات الغرب مآلها إلى الفشل، فيقول:

«وعلى هذه الأسس العادلة يظفر العالم بتعاون شريف وسلام طويل، أما أغنية الديمقراطية والدكتاتورية فأنشودة نعتقد أن الحرب الحالية ستدخل عليها ألحاناً جديدة وأنغاماً جديدة، ولن يكون فى الدنيا بعد هذه المحنة ديمقراطية كالتى عهدها الناس، ولا ديكتاتورية كهذه الديكتاتورية التى عرفوها، ولن تكون هناك فاشية ولا شيوعية على غرار هذه الأوضاع المألوفة، ولكن ستكون هناك نظم فى الحكم وأساليب فى الاجتماع تبتدعها الحرب ابتداعاً ويخترعها الساسة اختراعاً، ثم يضعونها موضع التجربة من جديد.. وتلك سنة الله ونظام المجتمع» (رسالة المؤتمر السادس).

وفى النهاية يصدع بالإسلام كمخرج وحيد للإنسانية من شقائها، فيقول:

«وما أجل أن يهتدى هؤلاء الساسة يومئذ بنور الله، ويكشفوا عن قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم غشاوة التعصب الممقوت، ويتخذوا الإسلام الحنيف الذى أخذ من كل شيء أحسنه أساساً لنظمهم السياسية والمدنية والاجتماعية، فتتحقق الوحدة الإنسانية الروحية التى طال عليها الأمد والتى لا يحققها إلا سماحة الإسلام وهدى الإسلام:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المائدة: ١٥ - ١٦] (رسالة المؤتمر السادس).

وعليه، أكد الأستاذ البنا أن جوهر العلاقات الخارجية في صورتها الإنسانية الهادية، والمخرجة للبشرية من الظلمات إلى النور لا تتم إلا باعتماد الإسلام أساساً للنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية على جميع المستويات أو الدوائر.. القطرية والعربية والإسلامية والعالمية.

* * *

الفصل الخامس عشر

الجانب الحضارى للدولة

تقديم : مفهوم الحضارة

القسم الأول : إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية

القسم الثانى : تحقيق الأستاذية والتدافع الحضارى

تقـديم

مفهـوم الحضـارة

المفهوم اللغوى:

جاء فى «لسان العرب» أن كلمة «حضر» بمعنى «شهد» أى الحضور كنقيض للمغيب، والحضارة بمعنى الشهادة. وانطلاقًا من الجذر اللغوى «حضر» بمعنى «شهد» من الحضور الذى هو نقيض المغيب، نبحث عن الدلالات القرآنية لهذا المفهوم، فنجد أن «حضر» فى القرآن الكريم تعنى «شهد»، ﴿**إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ [البقرة: ١٨٠]، ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى**﴾ [النساء: ٨]، ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥] وجميع هذه الدلالات تؤدى معنى الشهادة أو الحضور».

الدلالات الشرعية:

وللشهادة فى القرآن الكريم دلالات أربع متكاملة فيما بينها تتحد لتؤدى معنى «الحضارة» أو الشهادة فى الفهم الإسلامى، هذه المعانى أو الدلالات لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت مضمونها ومعناها، فأى واحدة من هذه المعانى الأربعة تمثل جزءًا من بناء مفهوم الحضارة، ومن ثم لا يمكن القول إن أيًا منها يعبر عن مفهوم الحضارة، بل لابد من توافرها جميعًا فى منظومة أو نسق واحد تعطى كامل معانيه، وهذه الدلالات هى:

١ - الشهادة: بمعنى التوحيد والإقرار بالعبودية لله.

٢ - الشهادة: بمعنى قول الحق وسلوك طريق العدل.

٣ - الشهادة: بمعنى التضحية والفداء وتقديم النفس فى سبيل الله.

٤ - الشهادة: كوظيفة لهذه الأمة ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقد أدرك الصدر الأول من هذه الأمة أن الشهادة على الناس تعنى أن تكون هذه

الأمة قوة عالمية محررة تقوم على العدل وتعمل به، وتحمى حق الآخرين فى الاختيار وحرية إرادتهم فى إقامة مجتمع جديد، يقوم على التحرير من عبادة العباد والتخلص منها إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

المفهوم الاصطلاحى:

وطبقًا لهذه المعانى الأربعة، فإن الحضارة هى: الحضور والشهادة بجميع معانيها التى ينتج عنها «نموذج إنسانى» يستبطن قيم التوحيد والربوبية، وينطلق منها كبعد غيبى يتعلق بوحدانية خالق هذا الكون وواضع نواميسه وسننه والمتحكم فى تسييره. ومن ثم، فإن دور الإنسان ورسالته هى تحقيق الخلافة عن خالق هذا الكون فى تعمير أرضه وتحسينها وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق تمام التمكين عليها والانتفاع بخيراتها وحسن التعامل مع المسخرات فى الكون وبناء علاقة سلام معها.

النموذج الإنسانى (جوهر الحضارة):

ومن هنا، نجد أن جوهر الحضارة فى الإسلام هو الحضور والشهادة، ومن ثم فإن الحضارة بالمعنى الذى سبقت الإشارة إليه هى حضارة الإسلام أو حضور الإسلام فى الكون. وهذا لا يعنى أنه نموذج حضور جميع الخبرات والمذاهب الأخرى، بل إن لكل واحدة منها حضوراً قد يكون قريبًا أو بعيداً عن حضور الإسلام، ومن ثم فإن مفهوم الحضارة بمعناها العام هو مطلق الحضور، أى طبيعة ونسق حضور أية تجربة بشرية استطاعت أن تصوغ نموذجًا بشريًا للحياة بكل أبعادها ونواحيها، تسعى لتقديمه للآخرين ليقتدوا به ويسيروا وفق منظومته على أساس أنه النموذج الإنسانى الأجدر بالاتباع.

ومن ثم، فإن الحضور مرحلة متقدمة فى أى مجتمع، إذ أن كثيراً من المجتمعات الإنسانية تقتصر على مجرد الوجود دون حضور (كما يقول مالك بن نبى). إن قيام المجتمع – أى مجتمع – يستلزم نمطًا من القيم والمعايير والمعتقدات والأفكار والسلوكيات (عالم الأفكار)، كذلك يستلزم أيضًا نمطًا من المبتكرات والأدوات والمؤسسات والعمارة والفنون وطرق الإنتاج والمعايش (عالم الأشياء). كلا هذين النمطين يعنى أن المجتمع قد حقق نوعًا من العمران، أى تعمير الأرض وبناء نموذج

إنسانى عليها، لكن لا يعنى الحضارة. إذ أن مجرد قيام العمران فقط فى المجتمع لا يعنى أكثر من الوجود مثل أنموذج الصين. وذلك لأن الحضور يستلزم فوق العمران تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به، أى نمط من العلاقات مع بنى البشر، ومع الكون أو مسخّرات الله فى الكون، أى طرح نموذج إنسانى للاقتداء به أو التبشير به بغض النظر عن مضمون النموذج.

الأبعاد السياسية للحضارة:

وبعيداً عن إضفاء أى قيمة حسنة على مفهوم الحضارة، فقد تكون الحضارة بهذا المعنى سيئة أو مدمرة، أو غير مناسبة للحياة البشرية، وإنما هذا لا يمنع من إطلاق لفظ الحضارة عليها ما دامت تحققت الأبعاد التالية:

١ – وجود نسق عقائدى يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله سلبًا أو إيجاباً.

٢ – وجود بناء فكرى سلوكى فى المجتمع يشكل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.

٣ – وجود نمط مادى يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنظم والعمارة والفنون وجميع الأبعاد المادية فى الحياة.

٤ – تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته وعالم أشيائه وقواعد التعامل مع هذه المسخرات وقيمها.

٥ – تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أى المجتمعات الإنسانية الأخرى وأسس التعامل معها وقواعده، وأسلوب إقناعها بهذا النموذج والهدف من ذلك الإقناع.

ومن ثم يمكننا تعريف التجارب البشرية وتقويمها ما دامت حققت مفهوم الحضارة أى تعدّت مفهوم الوجود إلى الحضور. فإذا ما أردنا وصف الحضارة الغربية أو معرفة كنهها لابد من دراسة موقفها من هذه الأبعاد، ومن ثم معرفة نموذجها الإنسانى الذى تقدمه للبشر. هل يصلح للاقتداء به أم لا؟ ويمكن تطبيق الأمر نفسه مع أى تجربة بشرية أخرى. ومن هنا، يتضح لنا أنه لا يمكن منطقيًا أن تكون هناك حضارة واحدة تتعدد روافدها، إلا إذا كانت هذه الحضارة هى أفضل نموذج بشرى، مما يجعل جميع

الشعوب تتخلى عن موروثها ونماذجها وتتبناه كلية. كذلك، فإن تنافس أو «اختلاف الحضارات»، أمر منطقى يفرضه الوجود البشرى ومعطياته لأن الاختلاف سنة من سنن الله فى الكون: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٢]. كذلك لا يمكن اعتبار كل حضارة أنها تحمل نموذجًا راقيًا للإنسان. فلفظ الحضارة لا يعنى قيمة حسنة فى ذاته أو صفة جيدة توصف بها الأشياء والأفكار، وإنما هو لفظ محايد يختلف باختلاف نموذج الحضور ومكوناته.

* * *

القسم الأول

١ - إعادة الخلافة

أ - شروط الإعادة :

كجزء من بناء الدولة النموذج، يقرر الأستاذ البنا أن هذا سيتم بتحرير الأوطان الإسلامية، فيقول :

«إعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة. وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه : ﴿ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩]، **﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾** [التوبة : ٣٢] (رسالة التعاليم).

ب - مفهوم الخلافة :

ولمزيد من تحديد مفهوم الخلافة الإسلامية، يقول الأستاذ البنا :

«إن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى ﷺ، ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها. والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابد منها . . .» (رسالة المؤتمر الخامس).

وعليه، يرى الأستاذ البنا أن مفهوم الخلافة يشير إلى ما يلى :

١ – الخلافة رمز الوحدة الإسلامية.

٢ – الخلافة مظهر الارتباط بين أمم الإسلام.

٣ – الخلافة شعيرة إسلامية يجب التفكير فيها.

٤ – الخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله.

جـ– الخطوات العملية لإعادة الخلافة:

يرى الأستاذ البنا ضرورة توافر شروط عملية لإعادة الخلافة، فيقول:

«لابد من تعاون ثقافى واجتماعى واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها، يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه البلاد، وأن المؤتمر البرلمانى الإسلامى لقضية فلسطين، ودعوة وفود الممالك الإسلامية إلى لندن للمناداة بحقوق العرب فى الأرض المباركة لظاهرتان طيبتان وخطوتان واسعتان فى هذا السبيل، ثم يلى ذلك تكوين عصبة الأمم الإسلامية، حتى إذا تم ذلك للمسلمين نتج عنه الاجتماع على (الإمام) الذى هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفئدة» (رسالة المؤتمر الخامس).

وعليه، فمتطلبات الخلافة تتمثل، وفقًا لفكر الأستاذ البنا، فيما يلى:

١ – تعاون ثقافى.

٢ – تعاون اجتماعى.

٣ – تعاون اقتصادى.

٤ – تكوين الأحلاف والمعاهدات.

٥ – عقد المجامع والمؤتمرات.

٦ – إنشاء المؤتمر البرلمانى الإسلامى.

٧ – تكوين هيئة الأمم الإسلامية.

٨ – انتخاب الإمام.

٢ - حول النظام العالمى الجديد

أ - مفهوم الفكرة العالمية ختام حلقات المشروع الحضارى:

حدد الأستاذ البنا «العالمية» أو الإنسانية كهدف أسمى لتتحقق الوحدة الأخيرة، إذ يقول:

«أما العالمية أو الإنسانية فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الإصلاح. والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة، فهذا التجمع فى الأمم والتكتل فى الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية القومية التى آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة. وهى خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم فى هذا البناء الإنسانى لبنته وليس علينا أن يتم البناء فلكل أجل كتاب» (دعوتنا فى طور جديد).

ب - الأسس التسعة لمفهوم العالمية والنظام العالمى:

١ - أخص خصائص الدعوة أنها عالمية.

٢ - تحقيق الأخوة العالمية.

٣ - المساهمة فى السلام العالمى وبناء الأخوة العالمية.

٤ - احترام القانون الدولى فى السلم والحرب.

٥ - التعهد بكفالة الحقوق الدولية (ميثاق الشرف الدولى).

٦ - المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات.

٧ - البر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم.

٨ – تحريم العنصرية والعصبية الطائفية.

٩ – اعتماد سياسة التعاون والتحالف الصادق.

وسنتناول كل أساس من هذه الأسس، وفقًا لفكر الأستاذ البنا بشيء من التفصيل فيما يلي:

١ – أخص خصائص الدعوة أنها عالمية: يؤكد الأستاذ البنا هذا الأساس، فيقول:

«فأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة، لأن الناس في حكمها أخوة: أصلهم واحد وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]» (دعوتنا في طور جديد).

٢ – تحقيق الأخوة العالمية: وللإشارة إلى هذا الأساس، يقول الأستاذ البنا:

«لقد جاء الإسلام الحنيف يقرر للدنيا أعدل المبادئ وأقوم الشرائع الربانية، ويسمو بالنفس الإنسانية، ويقدس الأخوة العالمية..» (رسالة المناطق).

٣ – المساهمة في السلام العالمي وبناء الحياة الجديدة: ويحدد هدف الدعوة العالمي، فيقول:

«فمن دعوتكم أيها الأخوة الأحبة أن تساهموا في السلام العالمي، وفي بناء الحياة الجديدة للناس بإظهارهم على محاسن دينكم وتجلية مبادئه وتعاليمه لهم، وتقديمها إليهم بعد هذا الظمأ القاسي الذي التهبت به أكبادهم في هذه الحياة المادية الميكانيكية القاسية» (رسالة المناطق)

٤ – احترام القانون الدولي في السلم والحرب: وعن هذا الأساس، يقول الأستاذ البنا:

«السياسة الخارجية فى المفهوم الإسلامى.. توجيه الدول كلها إلى السلام العالمى العام وهو ما يسمونه (القانون الدولى).. فإن الإسلام قد عنى بذلك كل العناية وأفتى فيه بوضوح وجلاء، وألزم المسلمين أن يأخذوا بهذه الأحكام فى السلم والحرب على السواء، ومن قصر فى ذلك وأهمله فقد جهل الإسلام أو خرج عليه» (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

٥ - التعهد بكفالة الحقوق الدولية (ميثاق الشرف الدولى): وعن كفالة حقوق الغير، يقول الأستاذ البنا:

«إن سياسة الإسلام داخلية أو خارجية تكفل تمام الكفالة حقوق غير المسلمين، سواء أكانت حقوقًا دولية أم كانت حقوقًا وطنية للأقليات غير المسلمة، وذلك لأن شرف الإسلام أقدس شرف عرفه التاريخ، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، ويقول: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، ويقول تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]» (رسالة فى مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين).

٦ - المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: وفى هذا يقول الأستاذ البنا:

«فعلى ساسة هذه الدول جميعًا أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولى هو أقدس شرف عرفه التاريخ، وأن القواعد التى وضعها الإسلام الدولى لصيانة هذا الشرف وحفظه ارسخ القواعد واثبتها.

فالإسلام هو الذى يقول فى المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]. ويقول: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]. ويقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة : ٦]

(رسالة نحو النور) .

٧ - البر والإحسان بين الناس وإن اختلفت عقائدهم : وفى هذا يقول الأستاذ البنا :

«ويخطىء من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة ، فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية بين بنى الإنسان فى مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣] **، وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى فى حالات الغضب والخصومة فقال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾** [المائدة : ٨] **، ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾** [الممتحنة : ٨]» (رسالة إلى الشباب) .

٨ - تحريم العنصرية والعصبية الطائفية ، وفى هذا يقول الأستاذ البنا :

«فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية ، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان ، ولكننا ندعو إلى الأخوة العادلة بين بنى الإنسان» (رسالة إلى الشباب) .

٩ - اعتماد سياسة التعاون والتحالف الصادق : وفى هذا يقول الأستاذ البنا :

«إذن لابد من سياسة جديدة ، هى سياسة التعاون والتحالف الصادق البرىء المبنى على التآخى والتقدير» (رسالة المؤتمر السادس) .

٣ - المفهوم الغربى للعالمية والنظام العالمى الجديد :

حدد الأستاذ البنا ما ردده الساسة ، فى عصره ، لمفهوم النظام الجديد . . فيقول :

«لقد ردد الساسة جميعًا كلمة (النظام الجديد) . . فهتلر يريد أن يتقدم للناس بنظام جديد ، وتشرشل يقول إن إنكلترا المنتصرة ستحمل الناس على نظام جديد ، وروزفلت يتنبأ ويشيد بهذا النظام الجديد ، والجميع

يشيرون إلى أن هذا النظام الجديد سينظم أوروبا ويعيد إليها الأمن والطمأنينة والسلام، فأين حظ الشرق والمسلمين من هذا النظام المنشود؟. نريد هنا أن نلفت أنظار الساسة الغربيين إلى أن فكرة الاستعمارية إن كانت قد أفلست فى الماضى مرة فهى فى المستقبل أشد فشلاً لا محالة، وقد تنبهت المشاعر وتيقظت حواس الشعوب، وإن سياسة القهر والضغط والجبروت لم تأت فى الماضى إلا بعكس المقصود منها، وقد عجزت عن قيادة القلوب والشعوب، وهى فى المستقبل أشد عجزاً.. وإن سياسة الخداع، والدهاء والمرونة السياسية إن هدأ بها الجو حيناً فلا تلبث أن تهب العاصفة قوية عنيفة، وقد تكشف هذه السياسة عن كثير من الأخطاء والمشكلات والمنازعات، وهى فى المستقبل أضعف وأوهى من أن توصل إلى المقصود» (رسالة المؤتمر السادس).

٤ – الأسس العادلة التى نريد للنظام العالمى الجديد:

ثم يوضح أخيراً الأسس العادلة للنظام العالمى الجديد الإسلامى، فيقول:

«إذن لابد من سياسة جديدة، هى سياسة التعاون والتحالف الصادق البرىء المبنى على التآخى والتقدير، وتبادل المنافع والمصالح المادية والأدبية بين أفراد الأسرة الإنسانية، فى الشرق والغرب، لا بين دول أوروبا فقط وبهذه السياسة وحدها يستقر النظام الجديد وينتشر فى ظله الأمن والسلام» (رسالة المؤتمر السادس).

* * *

القسم الثانى

تحقيق الأستاذية والتدافع الحضارى

١ - تحقيق الأستاذية :

أ - الأستاذية مرتبة وحلقة فى مشروعنا : يحدد الأستاذ البنا «الأستاذية» كحلقة فى المشروع الحضارى، فيقول :

«والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله فى أرضه، ولها فى العالم مرتبة الأستاذية بحكم هذه الأمانة، فلا يسمح لها أن تذل لأحد، أو تلين قناتها لغامز أو تخضع لغاصب» (رسالة مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى).

ب - إحياء حضارتنا والحفاظ على هويتنا الحضارية : وعن ضرورة الإحياء الحضارى يقول الأستاذ البنا :

«وقد شاءت لنا الظروف أن ننشأ فى الجيل الذى تتزاحم الأمم فيه بالمناكب وتتنازع البقاء أشد التنازع وتكون الغلبة دائماً للقوى السابق. وشاءت لنا الظروف كذلك أن نواجه نتائج أغاليط الماضى ونتجرع مرارتها وأن يكون علينا رأب الصدع وجبر الكسر وإنقاذ أنفسنا وأبنائنا واسترداد عزتنا ومجدنا وإحياء حضارتنا وتعاليم ديننا» (رسالة هل نحن قوم عمليون).

ولتأكيد هذا الإحياء، يصف الأستاذ البنا رجال الدعوة بالغرباء، فيقول :

«أحب أن تتبينوا جيداً من أنتم فى أهل هذا العصر؟.. وما دعوتكم بين الدعوات.. وأية جماعة جماعتكم.. ولأى معنى جمع الله بينكم ووحد قلوبكم ووجهتكم، وأظهر فكرتكم فى هذا الوقت العصيب الذى تتلهف فيه الدنيا إلى دعوة السلام والإنقاذ.. فاذكروا جيداً أيها

الأخوة.. أنكم الغرباء الذين يصلحون عند فساد الناس، وأنكم العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به للإنسانية بين الحق والباطل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١]» (رسالة المؤتمر السادس).

وعن كون الشرق مبعث الحضارات ومهبط الرسالات، يقول الأستاذ البنا:

«إن هذا الشرق الذى وضع فى صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات والحضارات ومهبط الرسالات، وهو مفيض ذلك كله على الغرب، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر. ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هى نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان، لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات..» (دعوتنا فى طور جديد).

وعليه، يؤكد الأستاذ البنا أن أستاذية الأمة الإسلامية، لم تأت من فراغ، وإنما استندت إلى الإسلام العظيم، مما يجعل معتنقيه بالضرورة حملة العقل الجديد الذى يريد الله أن يفرق به الإنسانية بين الحق والباطل.

٢ - الاستعداد للتدافع الحضارى:

أ - سنة التدافع:

يقول الله عز وجل: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾** [البقرة: ٢٥١] فالتدافع بين الحق والباطل يعنى تنحية أحدهما للآخر أو إزالته ومحوه بالقوة عند الاقتضاء، لقوله تعالى **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾** [البقرة: ٢٥١]، **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾** [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: **﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾** [الرعد: ١٧]، **﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾** [البقرة: ٢١٧]، **﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾** [الشورى: ٢٤]، **﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾** [الأنبياء: ١٨].

وقد يكون من المفيد هنا، أن نشير إلى أن الصراع، أو التدافع، أو التداول، أو الحوار الحضارى، سنة اجتماعية من سنن الله تعالى وقوانينه والتى لا تتخلف، ولا تتبدل. كما أنها سنة فردية أيضًا، فالإنسان كفرد ليس خارجًا عن دائرة الصراع والتدافع الذاتى فى الاختيار بين دوافع الخير، ونوازع الشر. فالصراع والتدافع، هو سبيل الحيوية، والنمو، والزيادة، وعلامة الحياة والاستمرار، ابتداء من الخلية وانتهاء بالحياة الحية. وهو أحد محركات الحياة الاجتماعية وامتداد التاريخ البشرى، وله صوره المتعددة، وشوكاته المتنوعة، من الحوار، والمفاكرة، والمثاقفة، والمناظرة، والقتال، والمواجهة، والمنافسة، والسباق، والمغالبة، فكلها صور ومعارك: منها المشروع المحكوم بضوابط ليست من وضع الإنسان، ومنها ما يستخدم وسائل غير مشروعة. وكل ذلك يقع ضمن دائرة الصراع الحضارى، والصراع بين الخير والشر، والعدل والظلم، والحب والحقد، والعفو والثأر، والإيثار والأثرة، والحق والباطل، وبعبارة أخرى: الصراع بين المعروف والمنكر، لا يتوقف إلا بتوقف الحياة.

والذى يدرك سنة التدافع والصراع، وأطرافه، وميادينه، وأسلحته، ومساراته، يصبح قادراً على حسن تسخيره، والفقه بنتائجه، ويمتلك القدرة على المداخلة، والتحكم، ومغالبة سنة بسنة، أو قدر بقدر، ويمتلك القدرة على الحركة فى كل الظروف وإيجاد مساحات لتوافر الحقيقة وتنميتها.

ب - الاستعداد للكفاح والصراع: وهنا يؤكد الأستاذ البنا هذا التدافع، فيقول:

> **«إن الأمة التى تحيط بها ظروف كظروفنا وتنهض لمهمة كمهمتنا وتواجه واجبات كتلك التى نواجهها لا ينفعها أن تتسلى بالمسكنات أو تتعلل بالآمال والأمانى وإنما عليها أن تعد نفسها لكفاح طويل عنيف، صراع قوى شديد بين الحق والباطل..»** (رسالة دعوتنا فى طور جديد).

جـ - نتيجة التدافع: ثم يخلص الأستاذ البنا إلى الحقيقة الإسلامية والنتيجة الإيمانية فيقول:

> **«وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا كذلك مؤمنين بهذا الحق معتزين بانتسابهم إليه، فإن الله معهم يعينهم ويرشدهم وينصرهم ويؤيدهم**

ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير، وهو معهم أينما كانوا. وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرأون هذه المعاني واضحة في كتاب الله:

﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [المجادلة: ٢١].

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢].

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧].

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥]

(رسالة دعوتنا في طور جديد).

وعليه، يؤكد الأستاذ البنا سنة التدافع الحضاري، وأن الغلبة في النهاية للحق.. فالله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

خـــاتمـــة

لا أجد خاتمة لهذه المحاولة الأولية للاقتراب – ولو جزئيًا – وبصورة « رصد مباشر » فقط، لأجزاء صغيرة ومقتطفات محدودة من فكر الأستاذ البنا فيما يتصل بأساسيات مشروع النهضة خير وأشمل من « نقل » رسالة « الإخوان المسلمون تحت راية القرآن ».

إلى الشباب الظامئ للمجد التليد . . إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق . . إلى ورثة الدم القانى الذى سطر على هام الزمان آيات الفخار . . إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة فى الدنيا والسعادة فى دار القرار نقدم:

خطاب الإمام الشهيد حسن البنا

رسالة الماضى القوى الملتهب إلى الحاضر الفتى المضطرب، وعُدة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر. أيها الشباب . . أيها الهائم يبغى الحياة . . أيها التائق لنصر دين الله . . أيها المقدم روحه بين يدى مولاه: هنا الهداية والرشاد . . هنا الحكمة والسداد . . هنا نشوة البذل ولذة الجهاد، فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء، ولتعمل تحت راية سيد الانبياء، وليضمك معسكر « الإخوان المسلمين » « حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ».

بسم الله الرحمن الرحيم . . الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . أحييكم بتحية الإسلام تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً. فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته. أيها الإخوان المسلمون . . أيها الناس أجمعون: فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان، وفى هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون، وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر . .

نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين . . هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة.

متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرواسي.. محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعًا.. خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب، ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحي، ورعاية الله.. مجردة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين في العمل لها السيادة في الدنيا والجنة في الآخرة.

على ضوء الدعوة الأولى:

أيها الإخوان المسلمون.. أيها الناس أجمعون:

اسمعوها صريحة داوية، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعد، كما جلجل بها من قبل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴾ [المدثر: ١ - ٣].

ويدوي معها سر قوله تعالى: ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الحجر: ٩٤].

ويهتف بها لسان الوحي مخاطبًا الناس أجمعين: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

أين نحن من تعاليم الإسلام؟

أيها الإخوان المسلمون.. أيها الناس أجمعون:

إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل أحكامًا، وأن نزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحرم حرامًا، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم، وهداكم سواء السبيل؛ فهل اتبعتم إمامه، واحترمتم نظامه، وأنفذتم أحكامه، وقدستم كتابه، وأحللتم حلاله، وحرمتم حرامه؟.

كونوا صرحاء في الجواب، وسترون الحقيقة واضحة أمامكم، كل النظم التي تسيرون عليها في شئونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه.

نظام الحكم الداخلى، نظام العلاقات الدولية، نظام القضاء، نظام الدفاع والجندية، نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد، نظام الثقافة والتعليم، بل نظام الأسرة والبيت، بل نظام الفرد فى سلوكه الخاص.

الروح العام الذى يهيمن على الحاكمين والمحكومين، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها، كل ذلك بعيد عن الإسلام وتعاليم الإسلام. وماذا بقى بعد هذا؟.

هذه المساجد الشامخة القائمة التى يعمرها الفقراء والعاجزون، فيؤدون فيها ركعات خالية من معانى الروحانية والخشوع إلا من هدى الله؟ .. هذه الأيام التى تصام فى العام فتكون موسمًا للتعطل والتبطل والطعام والشراب، وقلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح.. ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ** ﴾ [ص: ٢٤].

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس، واللحى والمراسم، والطقوس والألفاظ والكلمات.. أهذا هو الإسلام الذى أراده الله أن يكون رحمته العظمى، ومنته الكبرى على العالمين؟.

أهذا هدى محمد ﷺ الذى أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؟ أهذا هو تشريع القرآن الذى عالج أدواء الأمم ومشكلات الشعوب، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول؟.

موجة التقليد الغربى:

أيها الإخوان المسلمون.. بل أيها الناس أجمعون.. من الحق أن نعترف بأن موجةً قويةً جارفةً وتيارًا شديدًا دفاقًا قد طغى على العقول والأفكار فى غفلة من الزمن، وفى غرور من أمم الإسلام، وانغماس منهم فى الترف والنعيم.. فقامت مبادىء ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات، وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام فى نفوس أبنائها، وغزت أممه فى عقر دارها، وأحاطت بهم من كل مكان، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل، واجتاحت أممًا إسلامية بأسرها، وانخدعت بها دول كانت فى الصميم

والذؤابة من دول الإسلام، وتأثر ما بقى تأثرًا بالغًا ونشأ فى كل الأمم الإسلامية جيل مخضرم، إلى غير الإسلام أقرب، تصدر فى تصريف أمورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها، فدفع بالشعوب مغافلة إلى ما يريد، بل إلى ما ألف، وهى لا تدرى ما يراد بها ولا ما تصير إليه، وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية: أن خلصونا مما بقى من الإسلام وآثار الإسلام، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رؤوسكم ونفوسكم، ولا تكونوا مخادعين منافقين معاندين، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين.

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الإسلام وأصوله وقواعده، والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع، وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه فى كل شىء بمن ليسوا من دين الله على شىء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، لنجرى وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين.

حقًا لقد تقدم العلم، وتقدم الفن، وتقدم الفكر، وتزايد المال، وتبرجت الدنيا، وأخذت الأرض زخرفها وازينت، وأترف الناس ونعموا؛ ولكن هل جلب شىء من هذا السعادة لهم؟ وهل أمَّن لهم شىء من هذا الحياة، أو ساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة؟.

هل اطمأنت الجفون فى المضاجع؟ هل جفت الجفون عن المدامع؟ هل حوربت الجريمة، واستراح المجتمع من شرور المجرمين؟ هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التى تفوق الحصر بطون الجائعين؟ هل ساقت هذه الملاهى والمفاتن، التى ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء، العزاء إلى المحزونين؟ هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين؟ لا شىء من هذا أيها الناس، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات؟ وهل هذا فحسب؟.

ألسنا نرى هذه النظم والتعليم والفلسفات حتى فى العلوم وفى الأرقام يحطم بعضها بعضًا، ويقضى بعضًا على بعض، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان؟.

مهمتنا :

ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين؟

أما إجمالاً : فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التى جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبى ﷺ وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا، ولسنا واقفين عند هذا الحد بل سنلاحقها فى أرضها، وسنغزوها فى عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبى ﷺ، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينتشر ظل الإسلام الوارف على الأرض. وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴿ **لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الروم : ٤ - ٥].

وأما تفصيلاً : هذه مهمتنا نحن الإخوان المسلمين إجمالاً، فأما فى بعض تفاصيلها فهى أن يكون فى مصر أولاً، بحكم أنها فى المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم فى غيرها كذلك :

- نظام داخلى للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ [المائدة : ٤٩].
- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم : ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾ [البقرة : ١٤٣].
- ونظام عملى للقضاء يستمد من الآية الكريمة : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [النساء : ٦٥].
- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام : ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [التوبة : ٤١].

– ونظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى: ﴿ وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾ [النساء: ٥].

– ونظام للثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام، ويطابق جلال الوحى فى أول آية من كتاب الله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

– ونظام للأسرة والبيت ينشىء الصبى المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم، ويحقق قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[التحريم: ٦].

– ونظام للفرد فى سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩].

– روح عام يهيمن على كل فرد فى الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ﴾ [القصص: ٧٧].

نحن نريد:

الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، والحكومة المسلمة، والدولة التى تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام.

عدتنا:

هذه غايتنا أيها الناس، وهذا منهاجنا. فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج؟

عدتنا هى عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذى غزا به زعيمنا محمد رسول الله ﷺ وصحابته معه العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد. هو السلاح الذى سنحمله لنغزو به العالم من جديد. لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده،

بالله ونصره وتأييده: ﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم** ﴾ [آل عمران: ١٦٠]؛ وبالقائد وصدقه وإمامته: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ [الأحزاب: ٢١]؛ وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته: ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام** ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]؛ وبالإخاء وحقوقه وقدسيته: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [الحجرات: ١٠]؛ وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته: ﴿ **ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وبأنفسهم: فهم الجماعة التى وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين، وكتب لهم الفضل بذلك، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

لقد سمعوا المنادى ينادى للإيمان فآمنوا، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان، ويزينه فى قلوبنا كما حببه إليهم، وزينه من قبل فى قلوبهم. فالإيمان أول عدتنا.

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه، أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد، والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال؛ فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح، وجاهدوا فى الله حق جهاده، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم: ﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره** ﴾ [التوبة: ٢٤]. فأصاخوا للنذير، وخرجوا عن كل شيء، طيبة بذلك نفوسهم، راضيةً قلوبهم، مستبشرين ببيعهم الذى بايعوا الله به.

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف: ركضًا إلى الله بغير زاد.

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً: أبقيت لعيالى الله ورسوله.

ويخطر أحدهم والسيف على عنقه:

كذلك كانوا: صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل. وكذلك نحاول أن نكون!

فالجهاد من عدتنا كذلك.

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله، مطمئنون إلى تأييده:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

بين الخيال والحقيقة:

سيقول الذين يسمعون هذا إنه الخيال بعينه، وإنه الوهم، وإنه الغرور.

وأنى لهؤلاء الذين لا يملكون إلا الإيمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتألبة المجتمعة، والأسلحة المتنوعة المختلفة، وأن يصلوا إلى حقهم، وهم بين ذراعي وجبهة الأسد. سيقول كثيرون هذا، ولعل لهم بعض العذر، فهم قد يئسوا من أنفسهم، ويئسوا من صلتهم بالقوى القادر. أما نحن فنقول إنها الحقيقة التي نؤمن بها ونعمل لها، ونحن نقرأ قول الله تعالى: **﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾** [النساء: ١٠٤].

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا، ومكن الله لهم في الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عدداً، ولا أعظم عدة؛ ولكنهم مؤمنون مجاهدون، ونحن سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله ﷺ يوم قال: «بشر خُبيبًا بظهور هذا الأمر حتى يسير الراكب من عدن إلى عمان لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه»، وكانوا إذ ذاك يستترون.

ويوم وعد سراقة بن مالك سوارَيْ كسرى، وكان مهاجراً بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه.

ويوم هتف مطلعًا على قصور الروم البيضاء، وقد حاصره المشركون في مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفل منهم: **﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾** [الأحزاب: ١٠].

ثم ماذا كان بعد ذلك؟.

كان أن أصغى مسمع للدهر لدعوة رسول الله ﷺ، وترددت فى فم الزمان آيات قرآنية، وأشرقت شموس الهداية فى كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه، وعم الكون نور، ورفرف على الدنيا سلام، وتذوقت الإنسانية حلاوة السعادة بعدالة الحكم، وأمن المحكوم فى ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد صلوات الله عليه وسلامه، وفتحت قصور الروم، ودانت مدائن الفرس، ومدت الأرض بأعناقها، وألقت بجرانها، وزويت أكتافها، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة، ترف عليها أنفاس النبوة، وتمازجها أنفاس الوحى المقدس، وتحف بها رحمة الله من كل جانب.

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥ – ٢٧].

سنعتد أيها الناس اليوم بهذه العدة، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وسيحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥ – ٦].

– **﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾** [الروم: ٦٠].

لو كانت لنا حكومة:

– لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مستقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذى بين يدها، وجلال النظام الإسلامى الذى ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها، وهداية الناس جميعًا.. لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدنيا باسم الإسلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها سوقًا إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتسبت مركزًا روحيًا وسياسيًا

وعمليًا بين غيرها من الحكومات، ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب، وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير فى نفسه الحماسة والجد والعمل.

عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها، وتدعو إليها، وتنفق فى سبيلها، وتحمل الناس عليها، وأن تجد الفاشية والنازية أممًا تقدسها، وتجاهد لها، وتعتزل باتباعها، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها، وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصارًا أقوياء، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها.

ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الذى جمع محاسن هذه النظم جميعًا وطرح مساوئها، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة، وأوجبها على المسلمين شعوبًا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

ولكن أنى لحكامنا هذا، وهم جميعًا قد تربوا فى أحضان الأجانب، ودانوا بفكرتهم، على آثارهم يهرعون، وفى مرضاتهم يتنافسون؟ ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا إن الفكرة الاستقلالية فى تصريف الشئون والأعمال لم تخطر ببالهم، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم.

لقد تقدمنا بهذه الأمنية إلى كثير من الحاكمين فى مصر، و كان طبيعيًا ألا يكون لهذه الأمنية أثر عملى. فإن قومًا فقدوا الإسلام فى أنفسهم وبيوتهم وشئونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه، وفاقد الشىء لا يعطيه.

ليست هذه مهمتهم أيها الإخوان، فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها، ولكنها مهمة هذا النشء الجديد، فأحسنوا دعوته، وجدوا فى تكوينه، وعلموه استقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملأوا

روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجنده تحت لواء محمد ورايته، وسترون منه فى القريب الحاكم المسلم الذى يجاهد نفسه ويسعد غيره.

طبيعة فكرتنا:

أيها الإخوان المسلمون.. بل أيها الناس أجمعون.

لسنا حزبًا سياسيًا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا.. ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا.. ولسنا فرقًا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا.. لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنها جميعًا تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحى بتأليفها إلا مجرد الرغبة فى تأليف هيئة، والتحلى بالألقاب الإدارية فيها.

ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين.

نحن أيها الناس – ولا فخر– أصحاب رسول الله ﷺ، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشروا، ورحمة الله للعالمين: ﴿**وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**﴾ [ص: ٨٨].

أيها الإخوان المسلمون:

هذه منزلتكم، فلا تصغروا فى أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا فى دعوتكم سبلاً غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التى تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التى تبررها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام. لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض للعمل، وتخليص الغاية لله. وهذا نجاح فوق ماكنتم تنتظرون، فواصلوا جهودكم، واعملوا والله معكم، ولن يتركم أعمالكم.

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غداً، وللسابق عليه الفضل. ومن رغب عن دعوتنا، زهادةً، أو سخريةً بها، أو استصغاراً لها، أو يائساً من انتصارها، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق.

فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون، والمجاهدون المخلصون، فهنا الطريق السوى، والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

حسن البنا

رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه

فهرس المحتويات

